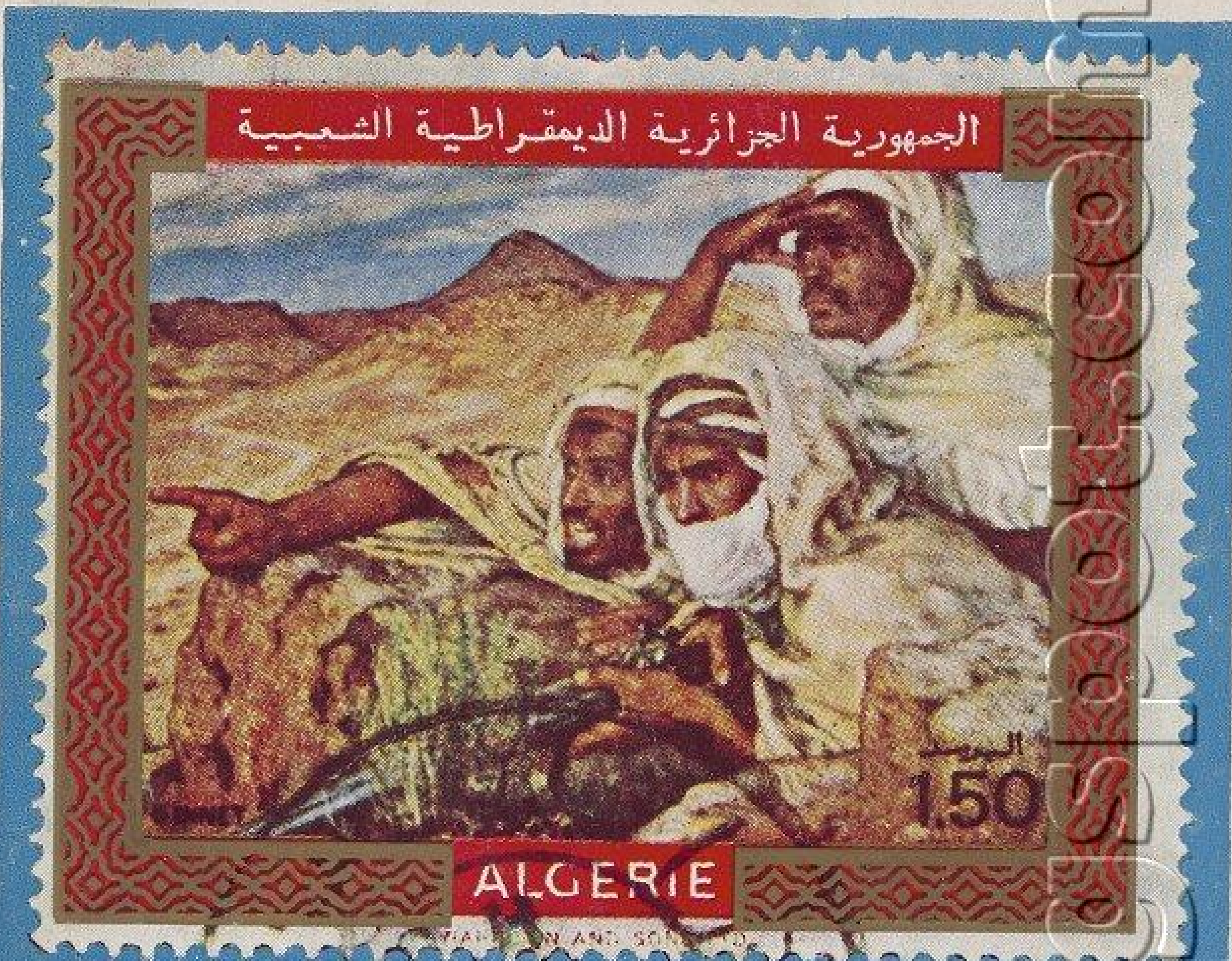

قصة الثورة الجزائرية

أحمد الشقيري

دار العودة - بيروت

DT
295
.S58
1960z

https://albordj.blogspot.com
https://albordj.blogspot.com

أحمد الشقيري

قصة الثورة الجزائرية

من الاحتلال إلى الاستقلال

دار العودة - بيروت

https://albordj.blogspot.com

https://albordj.blogspot.com

قصة الثورة الجزائرية

الكتاب والمؤلف

احمد الشقيري ، السياسي العربي المناضل ، وخطيب العرب في المنابر الدولية ، نقل الثورة الجزائرية من جبال الاوراس الى منبر الامم المتحدة .. وسرد قصة الكفاح الجزائري منذ عهد الامير عبد القادر الجزائري في القرن التاسع الى عهد جبهة التحرير الجزائرية في القرن العشرين .. وخاض حوارا رفيعا مع الجنرال ديجول والرئيس كندي ودول ميثاق الاطلنطي .. رفع الفكر الافرنسي الى اعلى عليين . ونزل بالاستعمار الافرنسي الى اسفل سافلين .. ويكاد القاريء ان يعيش مع الثورة الجزائرية في ميدان القتال ، وان يلمس دم الشهداء ساخنا بين انامله ، ويسمع سياط العذاب تتهاوى في السجون والمعتقلات .. كل ذلك في اسلوب رائع جمع بين وثائق التاريخ واسانيد القانون .

هذه هي الخطب التي القاها السيد احمد الشقيري في الامم المتحدة باسم الوفود العربية والاسيوية والافريقية ، عن الثورة الجزائرية من الاحتلال حتى الاستقلال ..

وانه ليسر دار العودة ، ان تترجم هذه الخطب الى اللغة العربية وتقدمها الى الامة العربية لتقرا سيرة الكفاح البطولي المجيد الذي خاضته على ارض الجزائر ، وتكلل ـ نهاية ـ بالحرية والاستقلال بعد مئة وثلاثين عاما من الجهاد ..

وسيرى القارىء العربي بين دفتي هذا الكتاب قصة الكفاح الجزائري ضد الاستعمار الافرنسي منذ عهد المجاهد العربي الكبير الامير عبد القادر الجزائري ، في اوائل الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، حتى قيام جبهة التحرير الجزائرية التي قادت الحرب الجزائرية في الخمسينات من القرن العشرين ..

والى جانب الوقائع المثيرة التي يسردها هذا الكتاب ، نبض زاخر من الاسانيد القانونية ، والمواقف السياسية ، والاحداث التاريخية ،

والحوار الدولي ، مما لا يجده القارىء في اي مرجع او كتاب ، كل ذلك في اسلوب ادبي رفيع يأخذ بمجامع القلوب ..

وعلى صعيد الحوار الدولي ، فقد تصدى السيد احمد الشقيري لزعيم فرنسا العظيم شارل ديجول ، وتساءل كيف « خان الرئيس ديجول الجنرال ديجول » .

وتصدى كذلك لرئيس الولايات المتحدة وتساءل « كيف خان الشيخ كندي الرئيس كندي » .. كما تصدى لوزراء خارجية دول ميثاق الاطلنطي الذين وقفوا الى جانب فرنسا ، اذ ذاك ، في حربها الاستعمارية ضد الشعب الجزائري البطل ..

ومن اروع جوانب هذا الكتاب ، تلك الصور الساحرة التي عرض فيها السيد احمد الشقيري سيرة فرنسا ازاء الثورة الجزائرية ، فرفع امجاد الفكر الافرنسي الى اعلى عليين ، ونزل بالاستعمار الافرنسي الى اسفل سافلين ، كما تناول المفاوضات الافرنسية الجزائرية بالنقد الغاضب في بدايتها ، وبالتحية والتقدير في نهايتها ..

وقد جاءت الخطبة الاخيرة ، غداة اعلان استقلال الجزائر ، آية في البلاغة والروعة ، فقد اودع فيها السيد احمد الشقيري ارفع المعاني الانسانية في الاشادة بالحرية والاستقلال ، وبالعرفان الكريم للدور التاريخي الذي قام به الرئيس ديجول في « تحرير فرنسا من النازية ، وفي تحرير فرنسا من تركة الاستعمار البغيض » .

وسيرى المواطن العربي حين ينكبّ على هذا الكتاب انه يسمع ولا يقرأ ..

اجل ، انه يسمع طلقات المدافع وازيز الطائرات .. يسمع صيحات المجاهدين وهم يخوضون عشرات المعارك ..

بل انه يكاد يرى القتال في حومة القتال ، ويكاد يلمس دم الشهداء ينزف ساخنا بين انامله ، ويكاد يسمع سياط العذاب وهي تتهاوى في السجون والمعتقلات .

هذا وغير هذا تقراه في هـذا الكتاب وتسمعه ، لتعيش مـع الثورة الجزائرية ، في احلك اعوامها ، وفي اسعد ايامها ، واكثرها بهاء وسناء ..

وما ابهى الحرية واسعد الاستقلال ، بعد ضراوة الكفاح والنضال ..

« دار العودة » ـ بيروت

منشة الذباب
والاستعمار الافرنسي

(اكتوبر ١٩٥٧)

في حديثي اليكم في الجمعية العامة، ارى لزاما علي أن ابدأ بالقضية الجزائرية ، ذلك ان الجزائر تشهد على ارضها حربا ضارية ، ونحن نجتمع اليوم لنحتفل بمرور ثلاثة اعوام عليها .. ولسنا في حاجة الى عبقرية بارعة لنبسط القضية الجزائرية ، وفي كلمات موجزة واضحة ، ان الشعب الجزائري كأي من شعوب الارض ، يملك الحق العام في الحرية والسيادة والاستقلال .. ومن جهة ثانية فان وضع فرنسا في الجزائر ، هو وضع استعماري ، ولا تستطيع اية فصاحة جدلية ان تدافع عن هذا الوضع الاستعماري ، مهما أوتيت من قدرة وخبرة .

وان فرنسا مشغولة هذه الايام بوضع نظام خاص للجزائر، وهو ذلك النظام الذي ادى الى سقوط الحكومة الافرنسية ..، وهي مشغولة كذلك على ارض الجزائر في تعبئة كل قدراتها العسكرية لتفتح الجزائر مرة ثانية .. ولكن فرنسا ستبوء بالفشل الذريع ولن تستطيع ان تحقق ايا من هذين الهدفين .. ان النظام السياسي لاي شعب يجب ان يضعه الشعب بنفسه لنفسه .. اما مصير الحرب فستكون نصرا للحرية ـ نصرا للشعب الجزائري .. واذا كنتم في حاجة الى دليل على ذلك .، فدونكم العشرين دولة افريقية التي ظفرت بحريتها واستقلالها ، وشقت طريقها في هذا العام الى الامم المتحدة .

ولا يغيب عنا في هذا المقام ان نعرب عن اشد معاني النقمة والاستنكار للاعمال البربريه التي تقوم بها الفرق الافرنسية في الجزائر .. ولو اننا اردنا ان نلتزم بقواعد الحرب وتقاليد القتال ، فانه من الصعب علينا ان

نجعل القوات الافرنسية في مصاف الجيوش ».. ولقد اهتز الضمير العالمي للفظائع الرهيبة التي اقترفتها السلطات الافرنسية في الجزائر .. وانه لما يعزينا ان المفكرين والكتاب الاحرار في فرنسا قد حركتهم هذه الفظائع فأعربوا عن استنكارها واستفظاعها .. وانه مما يواسينا كذلك ان وزير الخارجية الافرنسية قد قوبل بمظاهرات صاخبة في امريكة اللاتينية احتجاجا على هذه المظالم (١) .. ولقد وقعت هذه المظاهرات ، في قارة بعيدة عن الجزائر ، ولكنها قريبة منها ، بما يربطها بعواطف الاخوة الانسانية ..

وفي كلمة موجزة فان ارض الجزائر قد تحولت الى مسرح للدماء والدمار ، وجميع اساليب القمع والقهر ، التي تنفر منها المشاعر الانسانية في عصرنا الحاضر .

ونحن لو عدنا بالذاكرة الى ما قررته الجمعية العامة في صدر ميثاق حقوق الانسان ، لوجدنا ان الشعب الجزائري ، كما اعلن ذلك الميثاق ، كان « مضطرا الى الالتجاء الى الثورة لدفع الظلم والاستعباد » ، واذا كانت فرنسا قد اصطنعت لنفسها « حق » الظلم ، فان الشعب الجزائري يملك بكل تأكيد « حق » الثورة على هذا الظلم .

وقد اصبح « حق » الثورة على الظلم ، في طليعة الحقوق الانسانية وان الشعب الجزائري حين يتمرد على الاستعباد الافرنسي فانما يمارس حقه الطبيعي والانساني في الثورة والتمرد على الظلم والاستبداد .. وقد اعلنها الشعب الجزائري حرب تحرير .. كما اعلنتها فرنسا من جانبها حرب ابادة ..

ولكننا في الامم المتحدة لا نستطيع ان نقف مكتوفي اليدين ، نشاهد هذه المأساة الانسانية من بعيد .. يجب ان تخضع فرنسا لمشيئة الاسرة الدولية .. وان أدنى واجبات المنظمة العالمية ان تقوم بتحقيق دقيق في الجزائر .. حتى يعرف العالم الحقائق الرهيبة عن الفظائع التي ترتكبها فرنسا في الجزائر .. وان المستر همرشلد ، بوصفه خادم الميثاق لا يعدم الوسيلة للاشراف على هذا التحقيق ..

---

(١) كان وزير الخارجية الافرنسية ، يزور دول امريكا اللاتينية ليقنعها بتاييد وجهة النظر الافرنسية في قضية الجزائر ..

اما من حيث الموضوع ، فاننا نعتقد اعتقادا صادقا ، بأن هذه الحرب المقدسة التي يشتعل لهيبها المقدس على ارض الجزائر ، لا يمكن اطفاؤها الا بالاعتراف بحق الشعب الجزائري بالحرية والاستقلال ، وتأييد حقه في عضوية الامم المتحدة . وهذا الحل وحده هو الذي يفضي الى السلام .

وليس علينا إلا ان نعير سمعنا وقلوبنا ، الى النداء الرفيع الذي توجه به وزير خارجية ايرلندا ، مناشدا فرنسا ان تحرر نفسها من الجزائر .. واذا اصغت فرنسا الى هذا النداء النبيل ، الذي ينم عن شجاعة الشعب الايرلندي ، فستكون قد حررت نفسها بنفسها ، وستكتب تاريخها مرة ثانية ، كما صنعت في الايام المجيدة ، للثورة الافرنسية المجيدة . ولو كان لنا ان نضع الامور في نصابها ، لوجب ان يكون للقضية الجزائرية المقام الاول على جدول اعمال الامم المتحدة ، وان تسبق جميع المواضيع الاخرى .. ورغما عن اهمية المواضيع التي تعالجها الامم في دورتها الحاضرة ، فان قضية الجزائر يجب ان تكون اولا ...

ان قضية الجزائر لا تنطوي على الحرب ، ولكنها هي الحرب بكل معاني الحرب ، من آلام وخراب ودمار .. ولا شك ان عدداً من القضايا التي تعالجها الامم المتحدة في دورتها الحاضرة ، حاسمة ودقيقة وقابلة للانفجار ولكن في الجزائر فان المشكلة قد تفجرت .. والحرب دائرة الان .. ولعلها الحرب الوحيدة المشتعلة الان في اي من ارجاء العالم .. وقد كان من حقنا ان نطالب بدرس القضية الجزائرية في مطلع الدورة ، ولكن ... ولكن تقاليد الفروسية والشهامة قد منعتنا عن ذلك .. لم يكن في فرنسا حكومة ونحن لا نريد ان نتعرض لفرنسا في غيابها .. واذا كانت فرنسا تخوض الحرب في الجزائر ، وهي متحللة من كل تقاليد الحرب ، فاننا في الوقت ذاته لا نستطيع ان نتحلل من شرفنا وتقاليدنا ، فآثرنا الانتظار حتى تألفت الحكومة الافرنسية الاخيرة ، لنواجهها بالقضية الجزائرية ، بكل معاني الجدية التي تثيرها في نفوسنا ، وبكل آيات الصراحة ، العارمة التي تعتمل في قلوبنا .

والقضية الجزائرية بند جديد لمشكلة قديمة .. ذلك لانها تؤلف فصلا مفجعا في تاريخ افريقيا ، وليست كلمة « مفجع » بعيدة عن الحقيقة والواقع .. بل انها لا تتضمن اية مبالغة . ولست اجد تأييدا لكلامي هذا اكثر من البيان البليغ الذي القاه امامكم المسيو بينو وزير الخارجية

الافرنسية .. لقد قال المسيو بينو ، في كلمات راجفة ، ان مشكلة الجزائر هي « دراما سببت الكثير من الدماء والدموع .. »

اجل ، ان القضية الجزائرية هي دراما سببت الكثير من الدماء ، وما اعز تلك الدماء .. وسببت الكثير من الدموع وما اسخن تلك الدموع .. ولقد بدات هذه الدراما منذ ١٢٧ عاما ، وهذا الفصل الحاضر يدخل الان عامه الرابع .. وان مسرح هذه الدراما بكل نواحيها ، هو في الجزائر — في مدنها وقراها ، في جبالها ووديانها ، في صحرائها وشواطئها ، وفي غاباتها ومروجها .. وان اشخاص هذه الدراما ليسوا افرادا او جماعات، ولكنهم شعب بكامله ، برجاله ونسائه في الحواضر والبوادي .. وليست لغة هذه الدراما شعرا ولا نثرا ، انها تلفظ الدموع وتنطق بالدماء .. وليس في هذه الدراما مجازات واستعارات ، ولكنها تعيش في القاذفات والمقاتلات والدبابات .. وهي دراما تقرؤ في عيون الايتام ، وحسرات الارامل ، وزفرات الثكالى ، وآلام الاجيال والاجيال .. جزائريين وافرنسيين على السواء ..

واني اقول «الجزائريين والافرنسيين على السواء بكل حزن واسى .. فان هذه الدراما هي عند الجزائريين تضحية مقدسة من أجل هدف مقدس .. أما للافرنسيين فانها تضحية من غير هدف كريم .. ورغما عن ذلك فان دراما المسيو بينو لم تأسر عواطف المستر بينو ..

ولقد افجعنا المسيو بينو ، حينما ذكر في خطابه قبل بضعة ايام انه «من السذاجة أو سوء النية انتظار حل سريع للقضية الجزائرية» .. وليقل المسيوبينو مايشاء، فاننا نعتبر الوصول الى حل سريع للقضية الجزائرية، ذروة في المشاعر الانسانية النبيلة ، وأروع تعبير للحرية ، وأرفع تكريس للسلام؛ وفوق هذا وذاك ، فانه يمثل الاحترام الصادق الامين ، لاقدس اهداف ميثاقنا المقدس ..

وانه من الانصاف لهذه الدراما ، التي وضعها أمامنا المسيو بينو ، ان نستعرضها من البداية الى النهاية .. ليعرفها الذين لا يعرفونها ، وليتذكرها الذين يعرفونها ..

وتبدا وقائع هذه الدراما في القرن التاسع عشر ، حينما بدات الدول الغربية مندفعة وراء المنافسات والمنازعات والتوازن الدولي ، تمارس مؤامراتها وخططها الاستعمارية في الشمال الافريقي ، ابتداء من المحيط

الاطلنطي الى خليج السويس .. وقد جرت أحداث رهيبة وكانت نتيجتها السيطرة والاستعمار .

وحدث من جراء ذلك ، أن وقعت الجزائر وتونس والمغرب وليبيا ومصر فريسة الاستعمار الغربي ، واحدة بعد الاخرى .. غير ان شعوب هذه الاقطار ، وقد فطروا على التعلق بالحرية والسيادة ، لم يبخلوا باية تضحية ، مهما عظمت ، ليلقوا عن اكتافهم نير الاستبداد والاستعباد ، وهكذا فقد بدات مرحلة الكفاح والتحرير ، بعد مرحلة السيطرة والاستعمار ..وانطلقت قوى الحرية في مسيرتها التاريخية .. وكان ان استقلت مصر ، لتلعب دورا قياديا في الحياة العربية ؛ واستقلت ليبيا واصبحت عضوا في الامم المتحدة .. وكذلك فقد إستقلت كل من تونس والمغرب واصبحتا من اعضاء الامم المتحدة .. اما الان فان الجزائر ، تغوص في حمامات الدم ، وتقاتل في معركة ضارية ، لتحقق للشعب الجزائري امانيه القومية ، في الحرية والسيادة والاستقلال .

هذه هي قصة الكفاح في الشمال الافريقي ، في عبارات موجزة بسيطة .. ولكن العجيب الغريب ، انه من بين أقطار الشمال الافريقي ، فان الجزائر وحدها هي التي ما تزال محرومة من الحرية القومية والسيادة الوطنية ؛ واننا لا نعرف حجة على وجه الارض ، حتى ولو اقترنت بفصاحة المسيو بينو ، يمكن ان تبرر هذا الوضع الشاذ في الجزائر ، وتعزلها عن اخواتها : المغرب وتونس وليبيا ومصر ، وتنكر عليها حقها الطبيعي في الاستقلال ... وان العالم لا يستطيع ان يتحمل وجود جيش استعماري كبير ، في قلب الشمال الافريقي ، على ميمنته وميسرته دول كاملة الحرية والاستقلال ..

ولقد عرضتُ هذه الصورة الخاطفة عن الشمال الافريقي ، ليكون الامر واضحا امامكم بكامله .. وانني لم اقصد ان اقحم على هذه المناقشة امورا غريبة عنها ، او خارجة عن سياقها .. ذلك ان القضية الجزائرية لا تفهم فهما كاملا الا حينما ينظر اليها ضمن اطارها الصحيح .. ولقد كرس المسيو بينو الشطر الاخير من خطابه ، لمعالجة الشمال الافريقي كموضوع متكامل ، واعتبره مدخلا للقضية الجزائرية .. فاذا كان الشمال الافريقي موضوع متكامل ، فليس للمسيو بينو ان يعالج القضية الجزائرية في معزل عن الشمال الافريقي ؛ ان قضية الجزائر هي جزء لا يتجزأ من الاستعمار في شمال افريقيا .. وان الكفاح الجزائري هو جزء لا يتجزأ من

الكفاح في الشمال الافريقي بأسره.. وأن الشمال الافريقي ينعم الان بحريته واستقلاله، وتناضل الجزائر الان لبلوغ حريتها واستقلالها .. وليس هناك من سبب، كائنا ما كان، يفرض على الجزائر ان تكون جزيرة مستعبدة وسط محيط فسيح من الحرية والاستقلال .. وما تمتعت به مصر وتونس وليبيا والمغرب، يجب ان تتمتع به الجزائر .. ان الجزائر هي جزء في ذلك الكل؛ وقد عانت الجزائر مع اخواتها شرور الاستعمار، ومعهم دفعت ضريبة البذل والفداء، ومعهم يجب ان تنعم الجزائر بكل مقومات الحرية والاستقلال.

وعلى خلاف ما ذهب اليه المسيو بينو، فليس في القضية الجزائرية أمور معقدة غريبة .. فان تاريخ الجزائر هو في الواقع تاريخ الشمال الافريقي .. لقد كان الكفاح واحدا، ولا بد ان يكون المصير واحدا .. ذلك هو حال الاسرة الواحدة .. وحين يزعم المسيو بينو ان امر الجزائر يختلف عن بقية الاقطار المجاورة، فان ذلك اسطورة دولية، وخرافة سياسية .. واننا نربأ بالامم المتحدة ان تكون مسرحا لمثل هذه الاساطير والخرافات ...

صحيح ان خطط الاستعمار في اقطار الشمال الافريقي كانت مختلفة، فهي حماية في هذا القطر، واستعمار مكشوف في ذلك القطر، ولكن الاساس واحد في جميع الظروف والاحوال؛ ولقد أعلن المسيو بينو ان فرنسا موجودة في الجزائر منذ ١٣٠ سنة، وهذه ليست واقعة جديدة علينا؛ والواقع ان هذه الواقعة، على قدمها، هي سبب شكوانا؛ ان جميع الدول الاستعمارية، قد وجدت في مستعمراتها قبل عام ١٨٣٠ او بعده، ومنذ ذلك الوقت تحطمت امبراطوريات عظمى، واصبحت شظاياها دولا مستقلة. واذا كان علينا ان نأخذ بنظرية عام ١٨٣٠ كما عرضها المسيو بينو، فان ما لا يقل عن ستين دولة من اعضاء الامم المتحدة يجب ان تحتجب عن هذه المنظمة العالمية .. وكائنة ما كانت التسميات والحجج التي ادلى بها المسيو بينو، فان الاستعمار هو الاستعمار، مهما تنوعت الصيغ وتعددت الاسباب.

ويتضح من هذا ان الجزائر ليست لفرنسا ولا أرضا افرنسية .. الا اذا كنا نريد ان نزعم ان الشمال الافريقي هو اوروبا .. فان الدول الاوروبية، بوسيلة او باخرى، كان لها شأن في الشمال الافريقي .. وكذلك فان الجزائر ليست لفرنسا، الا اذا كانت لدينا الشجاعة الوقحة،

بأن نزعم بأن آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية كلها هي أوروبا . لقد استولت اوروبا في الماضي على اقطار من العالم ، هي ممثلة الان في ما لا يقل عن سبعين دولة من أعضاء الامم المتحدة .. راخيرا فان الجزائر ليست لفرنسا ، كما اراد ان يصور لكم المسيو بينو ، الا اذا جرؤنا على القول بان الولايات المتحدة هي لبريطانيا .. ان « حق » بريطانيا في الثورة على الولايات المتحدة ، هو بنفسه « حق » الجزائر بالثورة على فرنسا ، مع تباين الظروف والاعتبارات .. ونحن هنا نقف من اجل الحرية ، وليست الحرية حكرا على قارة بذاتها ، يصح انكارها على قارة اخرى.. وان من حق الجزائر ان تتمتع بما نتمتع به ، من حرية واستقلال ، الا اذا كنا مستعدين ان نخون ، على مشهد من التاريخ ، المبادىء السامية التي اعلنها ميثاق الامم المتحدة .

ومن اجل ذلك فانه يجب علينا ، الان والى الابد ، ان ننزع من اذهاننا تلك الخرافة السياسية التي ينطوي عليها موقف فرنسا .. ان الجزائر ليست جزء من التراب الافرنسي .. وليس شعب الجزائر جزء من الشعب الافرنسي . ان الجزائر هي جزء من الوطن العربي الكبير ، الممتد من المحيط غربا الى الخليج شرقا ، وان شعب الجزائر هو جزءمن الامة العربية ، يشترك معها في ثقافتها وحضارتها ، ويتكلم لغتها ، وله تقاليدها وعاداتها ؛ وان شعب الجزائر تهزه مع الامة العربية ، مخاوفها وآمالها والامها ؛ وان تاريخ الجزائر هو فصل من تاريخ الامة العربية ، في انتصاراتها وفي هزائمها ، في وحدتها وفي فرقتها ، في الحرب والسلم على السواء .

ولقد قيل في عدد من المناسبات ، ان تاريخ الجزائر قد ارتبط بالامة العربية منذ عهد الفتوحات الاسلامية في القرن السابع الميلادي . والاصح انه ازداد ارتباطا .. وعلينا ان لاننسى الحقيقة الفينيقية التي سبقت انبثاق النصرانية .. فلقد ابرز الوجود العربي ذاته عن طريق الفينيقيين الذين هم فرع من فروع الاسرة العربية .. وانني اقولها بكل شجاعة وصراحة ـ ولا اخشى معها تحديا ، ان ارتباط الجزائر بالامة العربية ، قد سبق باجيال ، وجود فرنسا كدولة ، بل وجود فرنسا كشعب ..

ومع هذا ، يجب ان يكون واضحا ، بان الجزائر لا تكافح من اجل ان تمارس مجددا حقا طبيعيا ، ولكنها تكافح لتسترد ، لتستعيد ، حقا

طبيعيا كانت تمارسه بصورة كاملة .. أن الجزائر لا تكافح لتنال استقلالها ، ولكنها تكافح لتسترد ، وتستعيد استقلالا انتزع منها . ان الجزائر لا تكافح لتبني دولة جديدة ، ولكنها تكافح لتسترد ، وتستعيد دولتها التي كانت قائمة .. في زمن لم تكن فيه عدد من الدول المعاصرة قائمة او موجودة .

ولقد اجهد المسيو بينو نفسه امامكم ، وهو يعرض على الجزائر امورا ثلاثة : وقف اطلاق النار ، الانتخابات ، فالمفاوضات ، ولم يتفوه بكلمة واحدة عن السيادة والاستقلال .. بل انه ادان حركة التحرير الجزائرية لانها تطالب بالاستقلال ، ورفض كذلك وساطة المغرب وتونس على اساس الاستقلال ..

اما وقد عرض المسيو بينو لتاريخ المشكلة الجزائرية ، فقد اصبح من واجبنا ان نذكر المسيو بينو بالوقائع الصحيحة للتاريخ الصحيح .. لقد كانت الجزائر دولة مستقلة ، كاملة السيادة ، شأنها في ذلك شأن اي دولة مستقلة ممثلة الان في هذه المنظمة العالمية .. وكان لرئيس دولة الجزائر معاهدة صداقة مع بريطانيا العظمى وهولندا .. وكانت للجزائر الدولة دورا لا يقل عن اية دولة من الدول المعاصرة .. ففي عام ١٦٧٩ دخلت الجزائر في علاقات تعاقدية مع هولندا .. وفي عام ١٦٨٢ وقعت الجزائر معاهدة صداقة مع بريطانيا العظمى وهولندا .. وكانت للجزائر من اوائل الدول التي اعترفت باستقلال الولايات المتحدة .. وقد وقعت الجزائر مع الولايات المتحدة ثلاث معاهدات في ١٧٩٥ ، ١٨١٥ ، ١٨١٦ ، وبموجب المعاهدة الاولى تعهدت الجزائر ان لا تبيع سفنا حربية لاية دولة هي في حالة حرب مع الولايات المتحدة ؛ وقد نصت المادة ١٨ من تلك المعاهدة انه في حالة الحرب بين البلدين ، فان على القنصل والرعايا الامريكان ان يخرجوا من ـ مملكة الجزائر ـ ؛ وقد كتب القنصل الامريكي في الجزائر في عام ١٨٢٦ يقول ـ ان الداي يمارس كامل حقوق السيادة والسلطة عقب انتخابه مباشرة ـ .

هذه هي السيادة القومية التي كانت تمارسها الجزائر ، والتي ينكرها اليوم المسيو بينو وزير خارجية فرنسا .

اما بالنسبة لبريطانيا ، فقد كانت للجزائر معها علاقات شيقة ، ما أظن المندوب البريطاني يستطيع انكارها .. وان عراقة الدبلوماسية

البريطانية هي التي تجعل هذه العلاقات مثيرة حقا .. وإن من الحق ان نسرد الوقائع حتى لا يستمر المندوب البريطاني في معارضة القضية الجزائرية ......

يذكر تاريخ العلاقات الدبلوماسية ، ان جزائريا اسمه الحاج حسن كان سفيرا للجزائر في لندن .. ولا أظن احدا غير الانجليز أنفسهم ، يستطيعان يصف العلاقات التي كانت قائمة بين بريطانيا والجزائر في القرن التاسع عشر ؛ فلقد بعث ولي عهد بريطانيا ، نيابة عن والده، الملك جورج الثالث ، كتابا الى الداي في الجزائر .. ولا احسب ان هنالك ما هو افصح وابلغ من ذلك الكتاب .. وسأجعله يتكلم عن نفسه بنفسه .. يقول الكتاب : « ان ولي العهد نيابة عن والده جورج الثالث ، يأسف لان المرض الذي لازم والده طويلا ، قد حال دون الاجابة على كتاب الداي الذي حمله سفيره الحاج حسن ، ويؤكد اقوى الصداقة للداي ، استنادا إلى المعاهدة القائمة ، كما يؤكد للداي العزم على حماية عاصمته باسطوله ، ما بقيت الصداقة الحاضرة قائمة بين شعبينا ؛ ويعلن ان الاسطول البريطاني هو سيد البحار ، يرهب جميع الدول البحرية ، ومستعد لقهر كل من يحاول معارضته .. ويرجو الداي ان لا يسمح لاعداء بريطانيا للانتفاض من الانسجام القائم بين شعبينا ، وان لا يصغي لاقوالهم الشريرة ؛ وان سفيركم سيخبركم عن الاستقبال والمعاملة اللائقين اللذين وجدهما في انجلترا ؛ وقد ارسل معه بعض مصنوعات المملكة على سبيل الهدية .. » حرر في قصر كارلتون في ٤ يناير سنة ١٨١٢ » .

ولست أرى حاجة للتعليق على هذا الكتاب ، لانه يتحدث عن نفسه بنفسه ، واني آمل ان لا ينكر المندوب البريطاني ، بعد اليوم ، سيادة الجزائر واستقلالها ، وحقها الكامل في مؤهلات الدولة المستقلة .

واني لآمل ان لا يضيق صدر المسيو بينو ، اذا انا تعرضت لهذه الناحية بالنسبة لفرنسا ... لقد تمت بين اعوام ١٦١٩ – ١٨٣٠ ، سبع وخمسون معاهدة بين فرنسا والجزائر .. تصوروا !! سبع وخمسون معاهدة دولية بين فرنسا من جانب والجزائر من جانب آخر .. ولقد كانت بين الدولتين بعثات دبلوماسية .. وذات مرة رفضت فرنسا ان يقوم مواطن من أصل امريكي بتمثيل الجزائر في فرنسا ، ورشحت الجزائر فيما بعد مواطنا جزائريا مولودا في الجزائر .. وفي عام ١٨٦٠ ، بعد غزو الجزائر ، كان نابليون الثالث يزور الجزائر ، فكتب الى الحاكم العام في الجزائر

يقول « أن الجزائر ليست مستعمرة ولكنها مملكة عربية » . ولقد كان هذا الكتاب قبل قرن بكامله من هذا العام الذي يقف فيه المسيو بينو امام الامم المتحدة ليعلن ان الجزائر هي ارض فرنسية .

وعلى هذا فان الاستنتاج الطبيعي ، الذي لا مرد له ، ان الجزائر كانت دولة مستقلة ، كاملة السيادة ، شاركت في الحياة الدولية ؛ وما هذه المعاهدات العديدة التي اشرت اليها ، الا مظهرا واحدا من مظاهر السيادة والاستقلال .. ان المعاهدات التي تمت بين فرنسا والجزائر لا تترك مجالا للشك في سيادة الجزائر كدولة مستقلة ، الا اذا كان المسيو بينو يستطيع أن يثبت ان فرنسا قد تعاقدت مع فرنسا ، وان فرنسا كانت لها علاقات دبلوماسية مع فرنسا !!

وكلنا نعرف ما الذي جرى فيما بعد لدولة الجزائر المستقلة .. لقد قامت فرنسا في عام ١٨٣٠ ، بانتهاك سيادة الجزائر ، فاحتلت الارض الجزائرية ، واخضعت البلاد للسيطرة الافرنسية .. وهذه هي الواقعة الاساسية التي تشكل القضية الجزائرية .. ولقد كانت عواقب الاحتلال وخيمة وفظيعة ، وان كانت اسبابه ومبرراته سخيفة وتافهة .. انها تدعو الى السخرية حقا ..

لقد شرحت دائرة المعارف البريطانية ، وهذه ليست مرجعا عربيا ، مبررات الاحتلال الافرنسي للجزائر كما يلي : في ابريل من عام ١٨٢٧ ، نشأ نزاع مع الداي ، بسبب شحنة قمح قام بتوريدها اثنان من الجزائريين .. وفي اثناء المفاوضات حول هذا النزاع ، ضرب الداي القنصل الافرنسي دوفال بمنشة الذباب ... وقد ادت هذه الحادثة الى التدخل العسكري .. وضرب حصار بحري حول مدينة الجزائر لمدة ثلاثة أعوام ، فلم يؤد الى نتيجة ؛ وعلى اثر ذلك قامت حملة افرنسية على الجزائر .. ونزلت قوة افرنسية مؤلفة من ٣٧ الف جندي على الشاطىء الجزائري في سيدي فرج في ١٤ يونيو ١٨٣٠ .. واستسلمت الجزائر في اليوم الخامس من شهر يوليو » .

وهكذا فقد كانت منشة ذباب ، هي التي كانت سببا في تدمير دولة واخضاع شعب .. وان دعوى فرنسا تقوم الان على منشة الذباب ... واستنادا الى منشة الذباب هذه ، فان المسيو بينو يحذركم من التدخل في شئون الجزائر .. ولكن منشة الذباب لا يمكن ان تكون هي النهاية

بالنسبة الى شعب واع لوجوده القومي ، متحفز لحريته ، متطلع لاستقلاله.

ان القضية المطروحة امامكم ليست كقضية مقاطعتي سافوي ونيس، التي اشار اليهما المسيو بينو ، شارحا كيفية اندماجهما في فرنسا .. ليس هنالك تشابه بين القضيتين من قريب أو بعيد ، ولا في أي وجه من الوجوه ... ان مقاطعتي سافوي ونيس قد اندمجتا في فرنسا ، وقبلتا الحكم الافرنسي ، وأصبحتا افرنسيتين من حيث اللغة والثقافة والحضارة والتقاليد .. وهاتان المقاطعتان ، لم تعلنا الثورة على الحكم الافرنسي ، وعلى الاندماج بفرنسا ؛ على حين ان الشعب الجزائري قد رفض الاندماج وقاوم الاحتلال .. أن الشعب الجزائري لم يستسلم أبدا .. لقد قاتل بشجاعة ، من اجل وطنه ، بما يزيد عنماية عام ، قدم خلالها اعظم التضحيات في الارواح والاموال ..

وانني اعترف للمسيو بينو انه كانت في هذه الحقبة الطويلة فترات متقطعة من الهدوء ، ولكنها كانت فترات من وقف اطلاق النار .. والشعب الجزائري كان على الدوام ، ومن غير انقطاع يؤكد مطلبه في الحرية والاستقلال ، ومعارضته لسياسة الاندماج ، واصراره على بناء دولة الجزائر في اطار من السيادة الكاملة .. ونحن لا نستطيع ان ننسى في هذا المقام ، تلك المجزرة الدموية التي قامت بها القوات الافرنسية في عام ١٩٤٥ ، ويا للعار في يوم عيد الهدنة ؛ ولقد إثارت تلك المذبحة ، التي ذهب ضحيتها الاف من الجزائريين ، ضمير العالم بأسره ، وخاصة ضمائر اولئك الاحرار الشرفاء في فرنسا .. والاحرار الشرفاء في فرنسا كثيرون ..

والان .. بعد هذه السنين المتوالية من سفك الدماء والفظائع الوحشية ، تأتي اليكم قضية الجزائر محملة بالارهاب ، مثقلة بالعسف والجور .. واذا كان لاحد ان يرى القضية الجزائرية على انها مشكلة داخلية لفرنسا ، فالامر في بساطة هو جريمة ابادة للجنس البشري ، أما الذين يرون انها ليست مشكلة داخلية ، فهي قضية حرب وابادة .. وسموها ما شئتم ، فانها مأساة انسانية ، تحضكم على التدخل ، حماية للانسانية ، وصونا للامن والسلم ..

ولقد اختار المسيو بينو ان يسترسل طويلا فيما اسماه بالارهاب والارهابيين ، وكل ما اورده في هذا الصدد ، هو مجموعة من الاباطيل ..

وانني لا اريد ان أنتهز هذه الفرصة ، لاقحم عليكم موضوع أرهاب الثورة الافرنسية ، على الافرنسيين إنفسهم ، وعلى ابطال افرنسا .. فانتم عارفون بتلك الوقائع الفظيعة التي سجلها تاريخ الثورة الافرنسية ، ولكني سأقتصر على الارهاب الرهيب الذي اقترفته السلطات الافرنسية ، في شعب الجزائر ، وفي ارض الجزائر .. وانه من الغريب حقا ، كيف ان وزيرا افرنسيا حصيفا ذكيا ، مثل المسيو بينو ، قد اختار موضوعا ، احرزت فرنسا فيه رقما قياسيا ، يتجاوز كل رقم قياسي في العالم ؛ ولهذا فانه يصبح من الواجب إن نستعرض الاحداث من البداية .. كما جاءت في الصحف العالمية ، ومن جملتها الصحف الافرنسية .. وسأقتصر على القليل للدلالة على الكثير .

في ٢٦ آب من عام ١٩٥٥ ، ذكرت جريدة واشنطن بوست ، بان الاوامر صدرت الى القوات الافرنسية ، بأن « تضرب اولا وتستوضح ثانيا » .. وفي ١٠ آب ١٩٥٥ ، كتب احد مراسلي جريدة النيويورك تايمس يقول بان الجنرال (باولاني) ذكر له بانه يستطيع « ان يقتل ٣٠ الفا ، ٤٠ الفا وحتى ١٠٠ الف اذا اقتضى الامر » وهذه المقتبسات ليست في حاجة الى تعليق او تعقيب .

وفي ٧ آب ١٩٥٥ ، نشرت جريدة الهرالد تريبيون ، ان الفرقة الفرنسية الآلية الثانية ، كانت تتدرب على اسلحة صاروخية في فرنسا ، قبل ان تسحب من قوات حلف الاطلنطي ، وترسل الى الجزائر .

وهنالك تقارير وافرة عن اساليب القمع الوحشية ، التي قامت بها القوات الافرنسية ، وكانت سببا في اثارة مشاعر الاستنكار والاشمئزاز في العالم بأسره .. فلقد قصفت قرى بكاملها ، وتحولت الى رماد وانقاض .. وقد ازدحمت معسكرات الاعتقال باحرار الجزائريين الذين لم يكن لهم الا ذنب واحد هو حبهم لوطنهم .. والرهائن الذين يخطفون ليلا ونهارا يعدون بالعشرات والمئات .. والاعدام من غير محاكمة قد اصبح هو القانون السائد .. وفي العام الماضي اختطفت فرنسا خمسة من زعماء الجزائر من الجو ، وهم في طريقهم لتحقيق غاية سلمية في مهمة للمفاوضات ... وهذه جريمة قرصنة دولية ، تنفرد فرنسا في بشاعتها وشناعتها .. وعلى الجملة فلم ينج من إرهاب فرنسا المدنيون ، ولا العزل من السلاح .. حتى اصبحت الحالة في الجزائر يسودها قانون الارهاب .. او ارهاب من غير قانون .. ويكفي ان اذكر لكم ، انه في هذه الساعة التي

https://albordj.blogspot.com

احدثكم فيها ، يتزاحم ما يقرب من ٣٠٠ الف جزائري في معسكرات اللاجئين ، بعد ان اضطرهم الارهاب الافرنسي الى النزوح الى الاقطار المجاورة .

هذه هي صورة موجزة للحالة في الجزائر حينما كانت تنظر الامم المتحدة في القضية في دورتها الاخيرة .. وقد روعت الجمعية العامة يومئذ ، وهي تستمع الى انباء الفظائع التي يتعرض لها شعب الجزائر .. ولكن الامم المتحدة اختارت اسلوب اللين والمجاملة مع فرنسا .. فلم تقرر ادانتها ، لتعطيها الفرصة الكافية للوصول الى تسوية عادلة للقضية الجزائرية .. وكل ما قررته الامم المتحدة في الدورة الماضية ، ان اعربت عن املها في ايجاد تسوية سلمية ديمقراطية عادلة ، في روح من التعاون ، وعن طريق الوسائل المناسبة ، بموجب مبادىء ميثاق الامم المتحدة (قرار ١٠١٢ (١١)) .

كان هذا قرار الامم المتحدة ، في لحمه وعظمه .. صدر بلغة هادئة ناعمة ، من غير تراجع عن مبادىء الامم المتحدة .

ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ وكيف استجابت فرنسا لذلك القرار الذي حرص ان يحفظ لفرنسا كرامتها وماء وجهها .. لقد كانت النتيجة مخيبة للامال ، حتى لدى اولئك الذين كانوا حريصين على مجاملة فرنسا .. وها نحن نجتمع اليوم لنرى ان قراركم «اللطيف» ، قد تجاهلته فرنسا من غير « لطف » ، واننا لا نرى الحل السلمي الديمقراطي العادل الذي كنتم تتطلعون اليه ، ولا نرى ، كذلك ، ان السلام والديمقراطية والعدالة قد تحقق شيء منها على ارض الجزائر .. وبدلا من ذلك فان فرنسا مضت هذا العام في اتصعيد الحرب ، بعيدا عن تقاليد الحرب .. انها حرب ابادة تهدف فرنسا من ورائها الى افناء شعب ، كل ذنبه انه يريد ان يعيش كما يشاء في وطنه .

وعلى هذا فان الجواب الوحيد الذي قدمته فرنسا اليكم هو الحرب، وانني لارجو أن لا تظنوا انني اوجه هذه التهمة الى فرنسا من غير مبرر .. ففي حزيران من عام ١٩٥٧ اعلن رئيس وزراء فرنسا في المجلس الوطني قائلا « يجب ان نستمر في المعركة ما دامت مفروضة علينا » وانه ليصعب علينا ان نصدق رئيس وزراء فرنسا في قوله هذا ... ان احدا لم يفرض هذه الحرب على فرنسا .. ان فرنسا هي التي فرضت الحرب على فرنسا .

وان سجل الاحداث في هذا العام ، يثبت بصورة قاطعة ازدراء فرنسا بالامم المتحدة ، وتجاهلها للميثاق .. ولقد قامت فرنسا ، ومباشرة بعد قراركم الاخير .. ، بتصعيد حملة الرعب والارهاب ، تلك الحملة التي تسميها فرنسا سياسة التهدئة .. ولقد اثارت قصص التعذيب والمذابح التي اقترفت على الشعب الجزائري ، اشد مشاعر الاشمئزاز في جميع انحاء العالم .. وفي فرنسا نفسها أعرب عدد كبير من احرار فرنسا الشرفاء من مختلف الوان الفكر السياسي ، عن عميق استنكارهم للفظائع الافرنسية .. ولقد بعث ٣٥٧ مفكرا من الشخصيات الافرنسية المعروفة ، رسالة الى رئيس الجمهورية الافرنسية يحتجون فيها على « الاعمال التي تثير الضمير الانساني » ، وقد اشاروا بصورة خاصة الى « اعمال التعذيب التي تقترف ضد السجناء ، الذين يحرمون من ان يعاملوا بموجب اتفاقية جنيف ، او بموجب الضمانات القضائية التي يمنحهم اياها القانون الافرنسي » ونوهوا كذلك « باعدام الرهائن ، وهدم القرى واعمال الانتقام والتعسف » .. وكان بين موقعي هذه الرسالة ، بل بالاحرى هذه الادانة ، السيد فرانسوا ميرياك الحائز على جائزة السلام ، وعدد من الاساتذة الجامعيين في السوربون وليون ، ومجموعة من الفلاسفة والمفكرين والصحفيين ..

وفي شهرمارس من هذا العام ، اجتمع الكرادلة والمطارنة في فرنسا ، واستعرضوا الموقف في الجزائر ، وناشدوا فرنسا ان « توفر الضمانات الكافية لاحترام الكرامة الانسانية ، وان تتجنب كل ما من شانه ان يهتك القانون الطبيعي وشريعة الله » ثم حذروا فرنسا من اتباع « وسائل الارهاب وانه حتى ولو كان الهدف نبيلا ، فان ذلك لا يبرر استخدام اعمال العنف والتعذيب » . وكانت آخر كلمات الكرادلة والمطارنة تتضمن الدعاء الى الله «لتحقيق سلام حقيقي، مستند الى اساس سليم من العدل والحق».

وان شعب الجزائر من جانبه لا يتوق الا للعدل ، وان الثوار الجزائريين حينما يصلون في جبالهم ، حيث معاقلهم ، انما يدعون الله ان يحقق لهم السلام القائم على العدل ، تماما كدعاء الكرادلة والمطارنة الاجلاء في فرنسا .

غير انه لا بد لنا ان نسجل تحفظا بسيطا بالنسبة للكرادلة والمطارنة .. اننا لنرجو ان لا يتهم هؤلاء الاحبار الاجلاء بالشيوعية .. فان تأييد اية حركة تحريرية ، تستهدف السلام القائم على العدل ، انما يعتبر

عملا شيوعيا . وربما وقع على كاهل اكرادلة والمطارنة ، ان يثبتوا براءتهم من الشيوعية .. فهذه هي التهمة التي يوجهها المسيو بينو للحركة الجزائرية ..

واری من واجبي كذلك ان اقرأ عليكم رسالة اخرى مليئة بغضب نبيل ، واستنكار شريف ينبىء عن أكرم العواطف الانسانية .. وليست هذه الرسالة في حاجة الى اي تقديم او تعريف ، إنها تقول :

« الى السيد وزير التربية الوطنية في فرنسا ..

علمت الان من اخبار الاذاعة ، بأن علي بومنجل قد القى بنفسه من بلكون عال في الجزائر ، وسقط ميتا ، وذلك لينجو من التحقيق ..وحينما كنت اقود حركة المقاومة في شمال افريقيا، كان علي بومنجل احد تلاميذي في كلية الحقوق في الجزائر ، لقد افجعني خبر وفاته ، واصبحت اصدق ما كتبه أفري ب. هـ. سيمون في كتابه عن التعذيب الافرنسي .

« وطالما تقوم حكومة بلادي بممارسة هذه الوسائل الارهابية ، التي لم تمارس ضد اسرى الحرب الالمان ، فانني لا استطيع ان استمر في القاء دروسي في كلية الحقوق الافرنسية ، ولا سبيل امامي الا التوقف عن القاء دروسي .

« ولعلك تقرر استدعائي الى العمل إذا كنت قادرا على ذلك .. وانني مستعد ان اتلقى بكل رضاء ، اي اجراء يساهم في تعريف الراي العام ، باحتجاجي على هذه الاعمال المشينة ، التي تخل بشرف فرنسا ، اذا اختارت ان تسكت عليها » .

رينى كابيتن
استاذ القانون في باريس ، والوزير السابق للتربية
الوطنية في حكومة الجنرال ديجول

ان كل كلمة في هذه الرسالة ، ايها السادة ، تنطق بنفسها ، فيما هو ابلغ من كل خطابة بليغة ، وان علي بومنجل هو واحد من قافلة طويلة من الشهداء الجزائريين ، الذين يتساقطون على ارض الجزائر ، من اجل وطنهم وحرية شعبهم .

ولقد اصدر واحد وستون عالما ، من ابرز علماء فرنسا ، بيانا صارخا أعلنوا فيه « ان استخدام وسائل الارهاب ، لا يؤدي فحسب الى

سقوط الروح المعنوية في شبابنا ، الذين يطلب اليهم تطبيق هذه الوسائل، وانما تؤدي كذلك الى انتقاص القيم الروحية لشعبنا .. »

وانني اغتنم هذه الفرصة لابعث بتحية الاعجاب والتقدير ، لهؤلاء الاحرار الشرفاء في فرنسا ، الذين رفعوا صوتهم احتجاجا على هذه المظالم ، التي يتعرض لها شعب الجزائر المناضل .

وانه بوسعي أن اضع امامكم طائفة كبيرة من امثال هذه البيانات ، التي تكشف عن الارهاب الافرنسي في الجزائر ، ولكني اقتصر على هذا القدر .. لاننا لسنا هنا لنفضح فرنسا أو نجعلها عرضة المهانة والاحتقار .. كل الذي نقصد اليه ، ان يستمع المسيو بينو الى مناشدة احرار بلاده .. وكل الذي نقصده اولا وآخرا ، ان نصل الى تسوية للقضية الجزائرية ، تتفق واحكام ميثاق الامم المتحدة .

ومن اجل ذلك فانني انتقل الان الى بحث الاسس العامة التي يجب ان يقوم عليها الحل الصحيح للقضية الجزائرية .

ويجب عليّ ان اقول ، باديء ذي بدء ، ان اسطورة الاندماج بين الجزائر وفرنسا يجب التخلي عنها بصورة مطلقة .. لا بد من الاعتراف بحق الجزائر في السيادة الوطنية بكل مقوماتها ونتائجها .. ان التجربة الافرنسية في سياسة الادماج تدخل الان قرنها الثاني ، لتثبت انها فشلت فشلا ذريعا .. وبعد عشرات من السنين مضت على هذه المحاولة التي قامت بها فرنسا ، بقيت الجزائر عربية في لغتها وتقاليدها ، عاداتها وآمالها القومية ؛ وستظل الجزائر مدمجة ، ولكن في الحياة العربية . هذه هي الحقيقة المطلقة التي لا بديل عنها ، ومن هذه الحقيقة المطلقة يجب ان ينبع الحل الجزائري ..

والحقيقة المطلقة الثانية ، هي ان حركة التحرير الجزائرية لا بد ان تحقق النصر للشعب الجزائري ، كائنة ما كانت القوات العسكرية التي تعبئها فرنسا لهذه المعركة . وعلينا ان نذكر ان الثورة الجزائرية تدخل عامها الرابع في ١ نوفمبر سنة ١٩٥٧ . ولقد القت فرنسا في ميدان المعركة بكل طاقاتها العسكرية والاقتصادية ، بما في ذلك ٥٠٠ الف جندي، بالاضافة الى نفقات تبلغ ثلاثة ملايين دولار يوميا .. وان الخسائر الجسيمة ، والتضحيات الكبيرة ، التي تنزل بفرنسا ، لن تنجي فرنسا من هذه المعركة الخاسرة ، مهما طال امد هذه المعركة .. وانني اقول هذا

للمسيو بينو الذي حاول من غير جدوى ، ان يثبت لكم ان الحركة الجزائرية تقترب من نهايتها ..

لقد قال لكم المسيو بينو ، « ان الهدوء يخيم في معظم المناطق في الجزائر ، وان « العصيان » في الجزائر قد اختفى فعلا في الاشهر الماضية .. وان « العصاة » قد دحروا في الجبهة العسكرية ، ودحروا كذلك في الجبهات السياسية والمعنوية .. وان الناس في كل مختلف ارجاء البلاد ، في المدن وفي القرى ، يزاولون اعمالهم اليومية ؛ وان السيارات تروح وتغدو في الشوارع ، وان التلاميذ يتسابقون الى المدارس .. وان الضرائب تجبى بصورة منتظمة ..» . ان هذه الوقائع طريفة حقا ، وشيقة حقا ، كما استشهد بها المسيو بينو . « واني لاعجب ما اذا كانت القضية الجزائرية تستحق ان تعرض عليكم ، بعد هذه الحكايات المثيرة ، التي وضعها المسيو بينو امامكم ..

ولعله من حقنا ان نسال المسيو بينو ، ما اذا كان الامر كذلك خلال حركة المقاومة الافرنسية للاحتلال النازي ؛ لقد كان الافرنسيون يزاولون أعمالهم ، والسيارات تغدو وتروح في باريس ، والتلاميذ يتسابقون الى المدارس .. والضرائب تجبى بانتظام .. اليس كذلك يا مسيو بينو ..

ولكن معلومات المسيو بينو عن الحرب الجزائرية ، يجب ان نقراها الى جانب معلومات مماثلة اخرى ، لها صفة رسمية .. ولا احسب اننا نستطيع ان نجد مصدرا اكثر طرافة من المسيو روبرت لاكوست ، الوزير الافرنسي لشئون الجزائر .. وهذا بعض بياناته التي اعلنها على الشعب الافرنسي وعلى الراي العام العالمي :

« ٧ ابريل ١٩٥٦ : اعتقد اننا سنجد الحل قبل نهاية الصيف .

يونيو ١٩٥٦ : سنربح الحرب في خلال ستة اشهر لاننا نجحنا في اخضاع عدة مناطق ..

سبتمبر ١٩٥٦ : ان خطة التهدئة تسير باسرع من كل تقديراتنا .

اكتوبر ١٩٥٦ : نوشك ان نحقق النصر الكامل .

نوفمبر ١٩٥٦ : نحن في ربع الساعة الاخيرة ، وسنواصل خطتنا اكثر من اي وقت مضى ..

اغسطوس ١٩٥٧ : لم نبلغ نهاية الطريق بعد ، ولكن الطريق الان اوضح ، واستطيع ان ارى نهاية عملنا الشاق .

وانني لاتساءل الان ، وقد انقضى على الحرب الجزائرية اربع سنوات ، اذا كان السيدان لاكوست وبينو يستطيعان ان يريا نهاية الطريق التي كانا يتنبآن عنها الشيء الكثير .. ان هذه البيانات الصادرة عن السيدين بينو ولاكوست انما تثبت بما لا يرقى اليه الشك ، ان النصر في النهاية هو لشعب الجزائر.. وان الهزيمة في النهاية هي لفرنسا.

غير ان المسيو بينو قد لجأ الى اسلوب معروف ، لتقليل فشل السياسة الافرنسية في اخضاع الشعب الجزائري وفي قهر الثورة الجزائرية .. والمستعمرون كانوا وما يزالون يتمسكون في هذا التعليل للتنديد بجميع الحركات التحررية حيثما كانت .. لقد تحدث المسيو بينو طويلا عما سماه بالشيوعية الجزائرية ، والمعاونة الاجنبية للثورة الجزائرية ؛ وفي هذين الموضوعين سجل المسيو بينو فشلا ذريعا .

وفيما يتعلق بالشيوعية الجزائرية ، اذا كان شيء من هذا موجودا في الجزائر ، فاني لا ارى داعيا لان يتسرب القلق الى المسيو بينو ، ذلك ان الشيوعية لها وجودها واثرها في المجتمع الافرنسي .. ولا تستطيع اية حكومة فرنسية ، وهي تتقدم الى المجلس الوطني باي قانون او مشروع ، ان تسقط من حسابها قوى الشيوعيين في فرنسا .. سواء بالنسبة لاصواتهم او سياستهم او نفوذهم .. ان تهمة التسلل الشيوعي اصبحت شائعة ، تلازم حركات التحرر الوطني .. ولو اردنا ان نرجع الى القاموس السياسي للدول الغربية ، لوجدنا ان كلمة شيوعية قد اصبحت مرادفة لكلمة قومية .. واذا كان الغربيون مخلصين وصادقين في هذا التفسير ، فتكون الشيوعية ، اذن ، شيئا مجيدا ، ولا يمكن ان تكون شيطانا شريرا ، كما يصفون ؛ اما اذا كانوا غير صادقين فيما يدعون فتكون حينئذ مهاجمتهم للحرب التحررية الجزائرية عملا من اعمال الاستعمار واسلوبا من اساليب حرب الاعصاب ، وهذه لم تعد تجوز على احد ، او تخفى على احد .

غير ان الواقع ، ان المسيو بينو لا يصدق الحجج التي قدمها بنفسه اليكم ، وكل ما يهدف اليه ان يجمع حوله اصوات الدول غير الشيوعية .. ان المسيو بينو يريد ان يحذركم ، ان يخيفكم ، بل ان

يلقي الرعب في نفوس الدول الغربية .. والمسيو بينو خانته كلماته ، فلقد قال لكم « اذا انسحبت فرنسا من الجزائر فسيتولى امورها الشيوعيون ... » .

وهذه الكلمات واضحة كل الوضوح ، ان فرنسا تحرض الغرب ، تحرضها على البقاء في الجزائر .. هذه هي المصيدة التي نصبتها فرنسا ، وما حكاية الشيوعية الا الستارة في هذه المصيدة .

اما بصدد العون الخارجي ، فلقد اشار المسيو بينو الى ما تقدمه مصر وسوريا والجامعة العربية من عون للحركة الجزائرية ، وانني لا املك التحدث باسم مصر وسوريا ، فان مندوبي هاتين الدولتين موجودان هنا معكم ، وانهما وحدهما يملكان حق الكلام باسم حكومتيهما ؛ وانني لا ارغب ان ادلي باية ايضاحات حول هذا الوضوع ، ذلك انني لا اريد ان ادخل السرور على قلب المسيو بينو .. ولن اذكر ما نعمل وما لا نعمل .. وليست الدول العربية هنا في قفص الاتهام .. نحن مسؤاون امام شعوبنا ، وامام شعوبنا فقط .. وما تتلقاه الجزائر من عون ، انما هو واجب قومي وانساني .. وانه واجبنا المقدس ان ندعم كفاح الشعب الجزائري .. ان الجزائريين هم اخواننا ، والجزائر جزء لا يتجزأ من وطننا العربي الكبير .

وانه لواجب على جميع الشعوب المحبة للحرية ، وعليكم جميعا تقديم العون لاية حركة تحريرية ، حيثما كانت .. ولقد تلقت جميع الحركات التحريرية في العالم اشكالا متعددة من العون .. ولعل عددا كبيرا من الدول الممثلة في الامم المتحدة ، لها سيرة معروفة بالنسبة الى العون الخارجي ؛ ان عددا من دولكم قد تلقى عونا خارجيا ، وعددا من دولكم قد قدم العون الى شعوب ناضلت من اجل حريتها واستقلالها . وان فرنسا لم تخرج ، عن هذه القاعدة .. ان فرنسا التي تشكو الان من العون الخارجي الذي يقدم للجزائريين ، كان لها شأن مع العون الخارجي .. لقد قدمت عونا ، وقد تلقت عونا ..

وان تقديم العون للحركات التحريرية ، اذا جاز لي أن اذكر المسيو بينو ، كان من اشرف تقاليد فرنسا .. ولا احسب انني في هذا الموضوع حجة اكبر من المسيو بينو نفسه .. واني استميح المسيو بينو عذره وصبره ، اذا اذن لي بان استعير فصاحته ، لاصف لكم دور البطل

الافرنسي لافيت في الثورة الامريكية .. واذا كان لنا ان ننسى كل شيء في تاريخ فرنسا ، فعلينا ان لا ننسى سيرة لافيت ؛ فلقد ترك لنا لافيت في مذكراته صورة مشرقة عن تقاليد فرنسا الكريمة ، في معاونة الحركات الثورية .. وسأقرأ كلماته بالانجليزية فانني اخشى اذا قراتها بالافرنسية ان انتقص من روعتها وبهائها .. لقد قال لافيت : « حينما سمعت بالانباء الاولى عن الثورة الامريكية فقد تغلغلت في فؤادي .. » هذه هي كلمات لافيت .. وكان من نتائجها ان فرنسا قدمت لامريكا العون على الارض الامريكية .. وحين نرجع بالذاكرة الى تلك الايام المجيدة نجد في محاضر الكونجرس الامريكي بتاريخ ٣١ يوليو ١٧٧٧ قرارا عظيما يقول « نقرر قبول خدمات لافييت .. ونمنحه رتبة جنرال في جيش الولايات المتحدة ، بالنظر لما اظهره من شجاعة وحماسة » .

هذا هو العون الافرنسي الذي قدمته فرنسا الى « العصاة » في امريكا ، الى الولايات المتحدة في ثورتها المجيدة .. وشهدت محاضر الكونجرس الامريكي ، بهذا العون شهادة اصبحت جزء من تاريخ كفاح الشعب الامريكي ..

وفي هذه المناسبة فانني ارغب ان اذكر المسيو بينو ، أن فرنسا لم تقدم العون فحسب ولكنها تلقت العون كذلك .. ففي الحرب العالمية الأولى ، قامت امريكا بسداد دينها لفرنسا ، وفاء من الولايات المتحدة للشعب الافرنسي ؛ وحينما وضع الجنرال الامريكي « برشنج » قدمه على ارض فرنسا ليعمل على تحرير فرنسا ، تذكر البطل الافرنسي لافيت ، وصاح بأعلى صوته، وبتقاليد الفارس في اروع تقاليد الفروسية : « لافييت نحن هنا .. »

وان من حقنا ان نضيف الى ذلك انه كان بين الابطال الجزائريين كثيرين من امثال البطل لافييت ، لقد بذلوا دماءهم ليعيدوا لفرنسا حريتها واستقلالها .. وفي نفس الروح الثورية التي عرف فيها لافييت ، انطلق الجنود الجزائريون البواسل في الحرب العالمية الاولى والثانية يعملون على تحرير فرنسا .. ولكن فرنسا لم تف بدينها .. والجزائر تكافح الآن لتصفية هذا الحساب .. وعلى كل حال ، فان الجزائر ستخرج منتصرة بالنهاية ، كما انتصرت كثير من الدول الممثلة الآن في الامم المتحدة ، ان الكلمة النهائية هي لقضية الحرية على الدوام ، وان

مسيرة الحرية قد تتأخر بعض الوقت ، ولكنهـا لن تتوقف او تتعطل ، لا بد ان يكون النصر حليفها ، فتلك حتمية التاريخ ان شئتم . او القضاء والقدر ، للذين يؤمنون بالقضاء والقدر .

ان كثيرا من الدول المستقلة اليوم ، كانت جماعات من « العصاة » بالامس ، والولايات المتحدة هي اقدم هؤلاء « العصاة » في قافلة الحرية.. وانه ليس عارا بل فخرا ، ان دول الامم المتحـدة في معظمها مؤلفة من « عصاة » كانوا يقاتلون من اجل حرية بلادهم .. وانه لمن دواعي اعتزازنا وفخرنا اننا كنا حتى الامس القريب « عصابات » تناضل العسف والاستبداد ؛ وكنا نحسب ان فرنسا قد تلقت درسا تاريخيا من الاحداث في الهند الصينية وتونس والمغرب ، وما آلت اليه حروب التحرير في تلك الاقطار .. ان الجزائر لا تختلف عن هذه الاقطار في شيء .. ولا بد لها ان تنتصر وتحقق كل آمالها القومية ، وهـذه هي الحقيقة الثانية التي يجب ان ينبثق منها اي حل للقضية الجزائرية .

والحقيقة الثالثة ، ان فكرة تقسيم الجزائر مرفوضة بصورة مطلقة، جملة وتفصيلا .. ان وحـدة الوطن الجزائري لا تخضـع لاي بحث او نقاش .. ان الصحراء في الجنوب ، والشواطىء في الشمال ، وجميـع الموارد الطبيعية ، هي عناصر اساسية لاي حل جزائري .. وانني اشير الى هذا الموضوع ، لان المسيو بينو ، قد شرح اخطـار التقسيم بمقدرة وفصاحة .. ولكن المسيو بينو لم يكن في حديثه يهدف الى بيـان اخطار التقسيم .. انه كان يستهدف القاء الرعب في نفوس الجزائريين ، فلقد كان المسيو بينو واضحا كل الوضوح حينما قال « ان تطبيق مبدا تقرير المصير يؤدي الى تقسيم الجزائر الى دولتين او اكثر » .. وعلى هذا فان المسيو بينو يقدم للشعب الجزائري هذه المعادلة : تقرير المصير يساوي التقسيم ، والتقسيم هو نتيجة تقرير المصير ...

وعلى هذا فان كلام المسيو بينو يوضح نفسه بنفسه ، انه يرمي الى ترويع الشعب الجزائري بالتنازل عن تقرير المصير تفـاديا للتقسيم ، وبهذا تتكرر حكاية سيدنا سليمان : تنازل عن الطفل تفاديا لتقطيعه .. واذا كان الترويع هو الوسيلة، فليست لفرنسا مناعة ضد هذا الترويع.. ومن نفس هذا المنطق ، يمكننا ان نقـول أن خلق دولـة للافرنسيين في الجزائر يعني ان مصير الافرنسيين انفسهم ، سيظل في خطر دائم داهم .

أن الشعب الجزائري قادر على أرهاب فرنسا ، أكثر مما تستطيع فرنسا ارهاب الجزائر ..

وليس للجزائر ان تشهد في وسطها اسرائيل اخرى ، وما يتبع ذلك من اخطار على السلم ... ولقد وضع المعلق السياسي ريمون آرون كتابا اسمه « المأساة الجزائرية » استعرض فيه فكرة التقسيم ، وتوصل في النهاية الى النتيجة الآتية « لقد كان التقسيم موضوع دراسة من قبل عدد من الزعماء السياسيين .. ومن هذه المقترحات ، اقامة دولة للافرنسيين ودولة للجزائريين المسلمين .. ولا يخلو هذا الاقتراح من صعوبات عملية جمة .. ومعنى ذلك ان تطبق في شمال افريقيا الحل الاسرائيلي ، الذي طبق في الشرق الاوسط .. ولكن هذه السابقة لا تشجع على اعادة تطبيقها .. ان الجالية الافرنسية في الجزائر لا تؤلف مجتمعا قادرا على الاكتفاء الذاتي .. ذلك ان جميع فئاتهم التجارية متصلة ومختلطة بالجزائريين المسلمين .. والتقسيم يفصل هذه العلاقات ويؤدي الى امور غير طبيعية ليست في صالح اي من الفريقين .. »

ان صاحب هذا الكتاب ، لا يمكن ان يتهم بانه مناهض لليهودية او معاد للسامية .. أن اسمه آرون ـ يتحدث عن يهوديته وساميته ..

وانتقل الان الى الحقيقة الرابعة : ان على فرنسا ان تنزع من تفكيرها الان والى الابد فكرة الاستعلاء العنصري للجالية الافرنسية في الجزائر ... ليس هنالك من سبب يدعو الى اعطاء المعمر الافرنسي اي وضع متميز .. ولا يمكن اعطاء اية طائفة اية معاملة خاصة في الجزائر .. وانما المساواة للجميع ومن غير تمييز .. ان الاعتراف باية معاملة مميزة للمعمرين ، سيؤدي حتما الى الفوضى وعدم الاستقرار .. ان مصير احد عشر مليونا من الجزائريين لا يجوز ان يقرره مليون من المعمرين ، المتحدرين من اصول متعددة .. ان الجزائر ليست تربة صالحة لاي استعلاء عنصري .. ان على المعمرين ان يختاروا بين احد امرين ، اما ان يعيشوا بهدوء ونظام في الجزائر ، او يخرجوا منها .. انهم يستطيعون ان يخرجوا الى حيث يستطيعون ان يشبعوا شهوة الاستعلاء في نفوسهم.

ولم تغفل الحركة الجزائرية عن ملابسات هذا الموضوع .. لقد أعلنت جبهة التحرير الجزائرية موقفها من الاقلية الاوروبية بطريقة ديمقراطية عادلة ، فلقد اصدرت بيانا ذكرت فيه « ان الاقلية الاوروبية

يمكن أن تقبل في المجتمع الجزائري على أساس المساواة الفردية الكاملة .. وانا نترك لافراد هذه الاقلية ، الخيار بين الاندماج في الشعب الجزائري، او الاحتفاظ بالجنسية الافرنسية كأجانب في اطار نظام يكفل لهم الحفاظ على جميع حقوقهم المشروعة ، من غير الامتيازات المنبثقة من النظام الاستعماري .. »

هذا هو الموقف الذي اعلنته جبهة التحرير الجزائرية بشأن الاقليات الاوروبية .. ولكن ممثل بريطانيا قد اختار ان يهاجم جبهة التحرير الجزائرية فيما سماه « بالتشدد والتطرف » .. لقد حاول ممثل بريطانيا ان ينجد زميله المسيو بينو لاسباب معروفة ، فوقع في خطأ علمي فاحش .. لقد اعلن ممثل بريطانيا ان الجزائر « وطن متعدد الجنسيات » وان اهل الجزائر « مجتمع متعدد الاجناس » وهذا الكلام من جانب ممثل بريطانيا لا يعدو ان يكون خرافة مؤسفة ، ان الاقليات الاوروبية على اكرم تقدير ، لا يؤلفون اكثر من عشر السكان .. فكيف يجوز ان نصف المجتمع الجزائري بانه متعدد الاجناس .. ليس هذا الموضوع ، ايها الممثل البريطاني ، موضوع الجنسيات المتعددة ، ولكنه الاحتضار والنزاع لحكام الاستعمار وبقايا الامبريالية .. واني اقول هذا دون ان اطمع في اقناع الممثل البريطاني لتغيير آرائه او تصحيح اخطائه .. انه من العبث ان نحاول اقناع الممثل البريطاني باخطائه .. فلقد اعلن هو بنفسه امامكم بان حكومته « تحمل آراء محددة في الموضوع » فكيف لنا ان نخرجه من الخنادق التي حفرها لنفسه ، وخندق فيها ، وصمم أن لا يتزحزح منها.

غير انني سأحاول في تجربة يائسة ، ان ادل الممثل البريطاني على اخطائه .. وسأترك المجال في هذه المهمة لوزير بريطاني سابق ، هو المستر ناتنج الذي تراس وفد بريطانيا الى الامم المتحدة في مناسبات سابقة ؛ لقد كتب المستر ناتنج اثني عشر مقالا في جريدة « الهرالدتربيون » تعرض فيها الى ما سماه الممثل البريطاني بالمجتمع الجزائري المتعدد الجنسيات ، فقال : « على اية حال ، ان موضوع المعمرين قد احيط بمبالغات ضخمة.. ولقد تناولت هذه المبالغات عدد الافرنسيين الحقيقيين وقوة مشاعرهم ، بقصد تأييد الدعوى الافرنسية في الاحتفاظ بالجزائر مقاطعة افرنسية .. ولهذا فستظل الجزائر مشكلة مفجعة .. وقد تستطيع فرنسا في الوقت الحاضر ان تربح المعركة ولكنها لن تستطيع ان تربح الحرب.. ولن يهدأ بال الجزائريين حتى يحققوا حريتهم واستقلالهم،

وخاصة انهم يرون من حولهم تونس والمغرب دولتين مستقلتين ، وافريقيا السوداء تتمتع بقسط وافر من الحكم الذاتي .. وانك تستطيع ان تلمح هذه المعاني في عيون الجزائريين .. ان وراء نظراتهم الملتهبة تشع شعلة القومية المتوهجة .. والافرنسيين يتعامون عن هذه الحقيقة » .

ومن هنا فاننا نستطيع ان نضع المعالم الرئيسية للحل الجزائري ، كما نراه من غير بديل .. يجب ، اولا ، الاعتراف غير المشروط بحق الشعب الجزائري في الاستقلال كعنصر اساسي في حل القضية الجزائرية. وكما قال السيد جون كندي عضو مجلس الشيوخ الامريكي في تموز سنة ١٩٥٧ (١) « ان الحالة الجزائرية اشبه ما تكون بقنبلة زمنية ، ستنفجر يوما ما ، في وجه العالم الحر بأشد خطرا من قضية الهند الصينية » ان استقلال الجزائر هو امر حتمي ، لا يمكن تجنبه ، ولا مرد له ، شأنه في ذلك شأن القدر النازل من السماء .. ولقد وضع عضو مجلس الشيوخ الامريكي العبء على كاهل « العالم الحر » فاذا اخفق هذا « العالم الحر » فلن يكون جديرا باسمه وشهرته .. وستكون حينئذ عبارة « العالم الحر » بمثابة اعلان تجاري ينفر الجميع ، ولا يجتذب احدا ..

ويجب ، ثانيا ، الاعتراف بحكومة جزائرية مؤقتة ، لتبدأ مفاوضات عاجلة مع فرنسا ، على مائدة مستديرة ، للوصول الى تسوية عادلة للمشاكل القائمة بين الطرفين .. ان المفاوضات المباشرة بين الجزائر وفرنسا ، على اساس الاستقلال ، هي المفتاح الوحيد للمشكلة الراهنة .. ولقد كتب المسيو اندريه فيليب في « الاكسبرس » في ١٧ اكتوبر سنة ١٩٥٧ ما يلي « لقد دنت ساعة المفاوضات بين فرنسا والجزائر لحل المشكلة الجزائرية ، سواء كان هذا الاقتراح يرضي المتطرفين او يغضبهم .. ان عام ١٩٥٨ سيشهد هذه المفاوضات .. وانني اخشى ان نخسر كل شيء ، اذا كنا لا نعترف بالوقت المناسب بما يؤدي الى انقاذ ما يمكن انقاذه .. » .

وهذه حقيقة صارخة من غير شك .. فاذا ما بقيت فرنسا ترفض المفاوضات مع الجزائر ، واستمرت في هذه الحرب ، فانها ستخسر والى الابد ، كل ما يمكن الحفاظ عليه في الوقت الحاضر .. وان تشكيل حكومة

---

(١) رئيس جمهورية الولايات المتحدة ١٩٦٠

جزائرية مؤقتة ليس بالامر العسير .. وتستطيع جبهة التحرير الجزائرية ان تتخذ الخطوات المناسبة في هذا السبيل .. ولقد اعترفت تونس والمغرب بالجبهة الجزائرية كأعلى هيئة ممثلة للشعب الجزائري .. وفي راينا ان جبهة التحرير الجزائرية تمارس سلطة فعلية ، في كل ما يتصل بالنشاط السياسي والعسكري للشعب الجزائري ..

والواقع ان الاعتراف بالجزائر الحرة ، هو محل اهتمام ودراسة جدية من اكثر من مرجع واحد .. ولست اذيع سرا اذا قلت ، ان الامر ينتظر اتنفيذه ، الصورة النهائية للقرار الذي يصدر عنكم ، بشأن القضية الجزائرية في هذه الدورة .

ويجب ، ثالثا ، الافراج عن المعتقلين السياسيين ، كخطوة اساسية لخلق جو ملائم تسير في ظله مفاوضات بناءة وايجابية .

واخيرا لا آخرا يأتي موضوع وقف اطلاق النار .. ان هذا الموضوع يجب ان يكون شاملا للجميع ، ولجميع المناطق .. يطبق على الافرنسيين والجزائريين سواء بسواء .. وواضح تماما ان وقف اطلاق النار لا يمكن ان يبدأ الا بقبول المبادىء الاساسية التي اشرت اليها .

وعلى هذا فان الحل في نظرنا يجب ان يكون : الاعتراف بالاستقلال ، قيام حكومة جزائرية مؤقتة ، المفاوضات ، وقف اطلاق النار .

ولكن المسيو بينو قد عكس الآية فلقد اقترح : وقف اطلاق النار ، الانتخابات والمفاوضات . وان الموضوع لا ينطوي على اختيار هذه الصيغة او تلك .. ان الامر يتصل بحرية شعب ، كان تحت السلاح قرابة مئة وسبعة وعشرين عاما ، وان التعابير المعسولة لا يمكن ان تزيل مرارة الحالة الحاضرة .. ولقد ذكر المسيو بينو في اكثر من موضع من خطابه ، بان المفاوضات مع فرنسا يجب ان لا ترتبط باية شروط سابقة ؛ ويبدو في الظاهر ، على كل حال ، ان موقف فرنسا يستبعد اية شروط سياسية سابقة للمفاوضات .. فلننعم النظر في هذا الموقف ، كما اعلنه المسيو بينو ..

لا بد لنا اولا ، ان نؤكد ان الاستقلال ليس شرطا سياسيا سابقا .. انه حق طبيعي .. ولا بد لنا ، ثانيا ، ان نلاحظ ان المسيو بينو هو الذي يشترط للمفاوضات شروطا سياسية ، ولو اننا فكرنا مليا في خطابه

لرأينا انه يدعو الجزائريين لان يعملوا ما يأتي : أولا وقف اطلاق النار ، ثانيا ،: الانتخابات ، ثالثا ، المفاوضات . وفيما يتعلق بالانتخابات فان فرنسا هي التي تصدر التشريعات اللازمة ، فتحدد الطريقة والاسلوب ، وتعين المناطق الانتخابية ، وتشكل الهيئات التشريعية والتنفيذية وتنص على اختصاصها وعددها ..

ان الشعب الجزائري هو الذي يجب ان يؤسس لنفسه المجلس التأسيسي ، تراسه حكومة جزائرية تملك الصلاحيات الكاملة .. ولقد تحدث المسيو بينو بسخاء وافراط عن النظم الديمقراطية .. ولكن اقتراحاته ليست على الديمقراطية في شيء ، ان المسيو بينو يعرض على الجزائر ان تبني فرنسا كل شيء : الانتخابات والمؤسسات الدستورية ، ثم يتعين على الجزائر ان تأتي لتفاوض .. وهذه هي الشروط المسبقة بذاتها .. وبهذا فان المسيو بينو ، يعرض على الجزائر ان تفاوض ولكن بموجب هذه الشروط ، وبعد ان تضع فرنسا كل القوانين التي تريدها ، وتقيم الاوضاع الدستورية كما تشاء ..

ومن الجدير بالتنويه ان ممثل بريطانيا لم يشأ ان يترك المسيو بينو يتخبط وحده في هذا الموضوع ، وهذا ما دفعه الى تأييد وجهة النظر الافرنسية ، وان الاسباب التي تدعو الى هذا التحالف الافرنسي البريطاني يمكن فهمها وادراكها .. ان قضية قبرص ، وهي قضية تهم بريطانيا ، تأتي مباشرة على جدول الاعمال بعد قضية الجزائر .. وهذا الترتيب ، هو لا شك ، من باب المصادفة ، ولكنه يفسر لنا اسباب التعاطف بين فرنسا وبريطانيا بالنسبة لقضية الجزائر .. فان الاستعمار يربط بين البلدين .

ولقد اعلن الممثل البريطاني أمامكم انه « لا يحسن بنا ان نُصدّر من نيويورك آراءنا الى الجزائر .. » وهذا تصريح خطير فعلا ، ومما يزيد خطورته انه يبدو لاول وهلة انه بريء كل البراءة .. والواقع ان ملاحظة الممثل البريطاني تمس جذور الامم المتحدة . نحن هنا مطالبون بان نُصدّر آراءنا من نيويورك الى كافة ارجاء العالم .. ومن حقنا ان نتساءل ماذا نعمل هنا في نيويورك ، اذا كنا لا نصدّر آراء ومقترحات وقرارات ؟ ومع هذا فان اصدار الآراء هو ما بقي لهذه المنظمة المسكينة ! واذا كنا ننزع من الامم المتحدة حقها في اصدار الآراء ، فاننا ندفعها الى حياة الكسل والخمول .. وفوق كل هذا ، الم تكن الامم المتحدة خلال الاثني عشر عاما

السابقة منصرفة الى أصدار الآراء والمقترحات في جميع المشاكل الدولية. ألم تساهم بريطانيا في اصدار الآراء والمقترحات بشأن قضايا كوريا والبانيا واليونان ، واخيرا في قضية المجر ، فلماذا لا تفعل مثل ذلك في قضية الجزائر ، وخاصة فيما يتعلق في موضوع الانتخابات الجزائرية التي اسرفت فرنسا في الحديث عنها .. ثم اننا ، ونحن جالسون هنا في نيويورك ، كيف نسمح لفرنسا ، ومن فرنسا ان تصدّر الى الجزائر نظاما انتخابيا .. ان الانتخابات ليست عطورا يمكن تصديرها ، بعد ان يكتب عليها « صنع في فرنسا » ان الانتخابات شيء ، والعطور شيء آخر، وعلى الامم المتحدة ان تميز بين العطور والانتخابات . .

اما فيما يتعلق بالمفاوضات ، فان من حقنا ان نتساءل : ما هو المقصود منها ؟ وما هي الاهداف التي ينتظر ان تحققها ؟. وانني اسأل المسيو بينو : ما هي مقاصد فرنسا ؟ وماذا يدور في خلد فرنسا ؟ ما هي الامور التي تريد فرنسا ان تفاوض الجزائر على اساسها ؟ وهل تريد فرنسا من وراء هذه المفاوضات ان يختار الجزائريون بان تصبح الجزائر افرنسية وان يصبحوا رعايا افرنسيين ؟ هذه ليست مفاوضات ، ولكنها شروط تريد فرنسا ، ان تمليها على الشعب الجزائري . ان المسيو بينو يدعو الجزائريين للمفاوضة ، ولكن لا يحق لهم ان يتحدثوا عن الاستقلال، وعن اقامة حكومة جزائرية ، وكل ما يطلبه المسيو بينو ، هو وقف اطلاق النار ، وان يلتزم الجزائريون بقبول الحلول التي تضعها فرنسا .. ونحن من جانبنا ان نرى ان هذه المفاوضات ، وبهذه الشروط ، انما هي استسلام .. ولا اظن ان انسانا عاقلا ينطوي قلبه على ذرة من حب الحرية والاستقلال ، يمكن ان يرضى بهذه العروض الافرنسية ، الا اذا اصبحت الحرية العوبة ، واصبح الاستقلال سخرية .

وانه من الغرابة بمكان ، ان فرنسا رفضت وساطة تونس والمغرب ، ولاسباب واهية . ولقد ادلى ممثل تونس امامكم ببيان واف حول هذا الموضوع ، حتى ان الممثل البريطاني لم يسعه الا ان يثني عليه ويطريه .. واذا كان البيان التونسي قد حاز التقدير ، فلسنا ندري لماذا ترفض فرنسا وساطة تونس .. ولقد زعم المسيو بينو امامكم ان المغرب وتونس ليستا محايدتين ، ولا يمكن ان يقوما بدور الوساطة .. ونحن لا نريد ان ندخل في مناقشة مفصلة حول هذه النقطة ، ولكنا نضع السؤال امام المسيو بينو : اذا لم تكن تونس والمغرب مؤهلتين للوساطة بسبب عدم

حيادهما ، فهل فرنسا مؤهلة لاجراء الانتخابات في الجزائر ، وفرنسا أحد طرفي النزاع ؟؟.. ان الاعتراض الذي يوجه الى وساطة تونس والمغرب ، يجب ان يوجه الى فرنسا ، ومن باب اولى الى فرنسا بالنسبة للانتخابات، وموضوع الانتخابات ابعد اثرا وخطرا من موضوع الوساطة .. وان من حقنا ان نطالب فرنسا ، استنادا الى منطق فرنسا نفسها ، ان تترك الانتخابات الجزائرية للشعب الجزائري وحده .

هذا هو الحل الذي تعرضه فرنسا للقضية الجزائرية ، ولكنه حل يدخل على المشكلة الجزائرية مشكلات اضافية.. ان المقترحات الافرنسية تكشف عن عقلية استعمارية .. ان المسيو بينو قد اشار في مناسبات متعددة الى « الجماعات الجزائرية » .. وانني لا اعرف تعبيرا يتحدث عن « الجماعات الافرنسية » و « الجماعات الانجليزية » او « الجماعات الامريكية » . هذا تعبير فريد ، وتعبير جديد علينا .. ان التعبير الذي نعرفه الشعب الجزائري ، الشعب الافرنسي ، الشعب البريطاني .. ولو اننا رجعنا الى اي مصدر علمي ، تاريخي او جغرافي ، لا نرى الا تعبيرا واحدا « الشعب الجزائري » ؛ ولقد خيّل اليّ وانا استمع الى المسيو بينو ، وهو يتحدث عن « الجماعات الجزائرية » ، ان الجزائر قد اصبحت هي العالم الصغير ، تسكنه جماعات تمثل جميع العناصر البشرية ..

ولقد اشار المسيو بينو الى قرارات مؤتمر باندونغ ، وانه ليسرنا كثيرا ان يستشهد المسيو بينو بقرارات ذلك المؤتمر التاريخي العظيم ، لقد اشار المسيو بينو الى القرار الذي ينص على « عدم التدخل في شئون الدول الاخرى » باعتباره واحدا من المبادىء الرئيسية التي اقرها مؤتمر باندونغ .. ونحن نقبل هذا القرار ، ذلك اننا ساهمنا في صياغته والموافقة عليه .. ولكن كيف جاز للمسيو بينو ان يتجاهل قرار باندونغ الذي اعلن حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال .. ليس للمسيو بينو ان يقتبس من قرار باندونغ ما يحب ، وان يتجنب ما لا يحب . وكان على المسيو بينو وهو يستشهد بمبدأ عدم التدخل ان ينصح نفسه ، فلا يتدخل في شئون الجزائر ، وهذا هو المعنى الحقيقي لقرار باندونغ .

ثم ان المسيو بينو تحدث طويلا عن الديمقراطية ، وهل من الديمقراطية في شيء ان تفرض فرنسا على الجزائر الحل الذي تختاره ؟. ولا تكتفي فرنسا بانها تضع الحل وانها تنفذه ، فهي المخطط والصانع

والمنفذ .. وحين تنادي الامم المتحدة بالوصول الى حل سريع للقضية الجزائرية ، يقف المسيو بينو امامكم ، ليعلن انه من السذاجة ان يتوقع احد الوصول الى حل سريع للقضية الجزائرية .. ان الحديث عن هذه السذاجة هو السذاجة بعينها ..

هذه هي وجهة النظر الافرنسية كما شرحها المسيو بينو ، وهذه هي وجهة النظر الجزائرية كما عرضتها امامكم بكل بساطة ووضوح .. ولكن الامم المتحدة عليها دور كبير ، يجب ان تؤديه .. يجب علينا ان نلقي بكل ثقلنا وجهودنا الى جانب الحرية .. لقد قال لكم المسيو بينو « عليكم ان تختاروا ، وان فرنسا قد اختارت طريقها وانتهى .. » هذا هو انذار موجه لكم .. انه تحد كبير يطرح امامكم .. وكأنما تقول لكم فرنسا ، نحن لا نبالي بما تقررون ، فقد قررنا طريقنا .. ولكن الامم المتحدة لا تستطيع الا ان تختار الحرية للجزائر .. وانه لا يتفق مع كرامة هذه المنظمة العالمية ، ولا مع سمعتها ان تتخذ موقفا سلبيا .. انكم لا تستطيعون في الامم المتحدة ان تجلسوا مكتوفي اليدين ، لا ادريين ولا ابالين ، بقلوب مقفلة ، وعيون مغمضة ، وآذان مقفلة للمآسي الانسانية . يجب أن نتخذ دورا ايجابيا فعالا ..

ومن أي زاوية نظرنا الى القضية الجزائرية ، فان ميثاق الامم المتحدة يدعو الى ان نضع حدا لهذه المأساة ، وحتى تاريخ فرنسا المشرق فانه يثور على الاوضاع القائمة في الجزائر .. ان الثورة الافرنسية التي اعطت العالم كنوزا من المعاني السامية ، تستنكر هذه الفظائع الرهيبة التي تجري على أرض الجزائر .. وانني اقولها لكم وللمسيو بينو ، بكل احترام واخلاص ، ان فرنسا تخون فرنسا ، اذا بقيت الجزائر مسرحا يخضع فيه الحق للقوة الغاشمة ، ويتمرغ العدل تحت اقدام الطغيان ..

وانا لنرجو بكل اخلاص بان تستجيب فرنسا في النهاية لنداء العقل والحكمة .. وليس يجدي ان تظل فرنسا تفكر في عقلية « قانون الاصلاح » وما هو بقانون ولا اصلاح .. ان هذا القانون هو صيغة اخرى للاستعمار ؛ ولقد احسنت مجلة تايم الامريكية في تحليلها لهذا القانون ، الذي اشار اليه المسيو بينو اكثر من مرة : فقد قالت المجلة « في الاسبوع الماضي ، تقدمت الحكومة الافرنسية الى المجلس الوطني بمشروع قانون الاصلاح الذي طال الزمان في انتظاره كحل للقضية الجزائرية .. لقد كان الجواب العربي : انه مرفوض بصورة قاطعة ، والواقع ان هذا القانون هو

اشبه شيء بفار ، صغير ، وقبيح ، وعلى شكل غير مألوف .. »

ومع ان هذه الاوصاف هي تعبيرات مجلة التايم الامريكية ، ولكنها تذكرنا بالمثل العربي المعروف « تمخض الجبل وولد فارا » وهذا هو قانون الاصلاح .

ان القضية المطروحة امامكم هي من الخطورة بمكان عظيم .. بالنسبة لفرنسا انها صراع من غير ثمرة .. ولا تجر الا الخسارة لفرنسا في الدماء والاموال في معركة خاسرة .. وبالنسبة للجزائر ، انها حقا خسائر في الدماء والاموال ، ولكنها بالنتيجة ليست خسارة ، لانها واصلة الى الحرية وهي اثمن كنوز الحياة .

يجب علينا ان نتطلع الى مستقبل مشرق ، وستكون فرحة كبرى للعالم باسره، يوم نرى الجزائر دولة حرة مستقلة ، وسترى اوروبا الحرة ، الشمال الافريقي الحر ، يواجهها ليكونا شطرين متكاملين ، في مضمار الاستقلال والسيادة .

واننا لنرجو ان تصبح الجزائر ، وفي وقت قريب ، دولة مستقلة تحتل مقعدها المرموق في هذه المنظمة العالمية ، وانه لامر عجيب غريب ، ان تكون معكم تونس والمغرب ، وان يتخلف عن الركب ذلك القطر الذي يقع بينهما .. يجب ان نرى الجزائر معنا متمتعة بحريتها واستقلالها ، وبهذا ستقوم صداقة مع فرنسا .. بل صداقة دائمة ..

واني ادعو وفدي البانيا والارجنتين ، وهما الجاران حسب الترتيب الابجدي ، ان يفسحا بينهما مكانا للجار الجديد ، القادم من ميدان الكفاح ، الجزائر ، لتتبوا مكانها بين جارين عزيزين في هذه المنظمة العظيمة .

هذا هو املنا ورجاؤنا .. بل هذه هي الصورة المشرقة التي اختتم بها بياني امامكم .. وما اعظم هذه الصورة وما اعظم هذا الرجاء .

الرئيس ديجول
خيب امالنا في الجنرال ديجول

« ديسمبر سنة ١٩٥٨ »

ليس من باب المصادفة العابرة ، يا سيدي الرئيس ، ان القضية الاولى في الامم المتحدة قد اصبحت الاخيرة . وها نحن قد بلغنا نهاية الدورة حين نبدأ مناقشة القضية الجزائرية .. ولم يكن هذا من جانبنا غفلة او اهمالا ، ان قضية الجزائر هي قضية تحرير وحرب تحرير ، وانها لعزيزة حقا على جميع الشعوب المحبة للحرية .. وقضية هذا شأنها لا يمكن الا ان تلقى الاولوية الجديرة بقداستها ، وسمو اهدافها ، وخطورة احداثها .. والواقع انه اذا كانت الاولوية تستند الى الاهمية، فان قضية الجزائر يجب ان تتبوا المقام الاول بين جميع قضايا الامم المتحدة ، ولا يصح ان يكون لاية قضية اخرى اسبقية عليها .. ولا شك ان لدى الامم المتحدة قضايا دولية او اقليمية تستأثر باهتمامنا ، ولكن القضية الجزائرية تتصدر كل هذه القضايا ؛ ذلك ان ما يتصل بالحرية والسيادة، من حقه ان يكون له مقام الصدارة من غير منازع .

غير ان الذي جرى كان على النقيض من ذلك .. لقد تركنا القضية الجزائرية الى النهاية ، وعن قصد واضح .. ولم نطلب ان تناقش القضية في بداية الدورة ، بل وافقنا ان اتدرج في آخر جدول للاعمال.. وليس السبب في ذلك سرا يحظر افشاؤه .. لقد كانت فرنسا على اعتاب تجربة قومية جديدة .. ان الجمهورية الافرنسية الخامسة كانت في دور المخاض ، وكانت القضية الجزائرية اهم العوامل في مولدها .. لقد كان الجنرال ديجول يضع دستورا جديدا لفرنسا .. ويخطط لسياسة

جديدة ، تكون القضية الجزائرية من اهم جوانبها .. وكان على المسرح السياسي موضوع الاستفتاء والانتخابات في فرنسا .. كما كان الجو السياسي مفعما بالحديث عن المفاوضات .. ولهذا فلم يكن من الانصاف لكم ، ولا للقضية الجزائرية ، ان تبدا مناقشتها قبل ان تكتمل عناصر الموقف السياسي في فرنسا ، وتبدو صورته النهائية على حقيقتها .. وانه يكون سابقا لاوانه من غير شك ، لو اننا بدانا النظر في القضية الجزائرية ، والاستفتاء ما يزال في القدر والانتخابات في المقلاة ..

اما الان فقد انتهت كل هذه الاجراءات .. لقد انتهى الاستفتاء وانتهت معه الانتخابات ، واصبحت الصورة النهائية امامكم ، لتروها وتبحثوها وتحكموا عليها .. وانه من دواعي القدر الحكيم ان القضية الجزائرية قد جاءت امامكم في وقت استكملت فيه فرنسا كل الرحلة التي ارادت ان تقطعها ، وانجزت معها « العملية » التي خططت لها ، واصبح من حق فرنسا ان تصدر البلاغ المعتاد « لقد نفذت العملية وفق الخطة المرسومة »، وانه من حسن حظنا ان تأتي القضية الجزائرية وكأنها على موعد مع الخطة الافرنسية بعد ان تم انجازها ، حتى يكون الحساب الختامي واضحا امامكم ، الى آخر سانت امريكي او فرنك افرنسي ..

ولقد اطلت الحديث في هذه المقدمة ، ياسيدي الرئيس ، لانني حين اجيل بصري في قاعة الجمعية العامة ، اجد أن مقعد فرنسا شاغر ، ليس فيه احد من الوفد الافرنسي .. ان هذا مؤسف حقا ، فرغما عن انموقف فرنسا من القضية الجزائرية فارغ تماما ، فليس لها ان يكون مقعدها فارغا .. ان تخلف فرنسا عن المشاركة في هذا الاجتماع يدعو الىالاستنكار انه اهانة موجهة للامم المتحدة، انه استخفاف بالقضية الجزائرية وما تنطوي عليه من اهداف نبيلة ، انه تناقض مع فرنسا ذاتها ، وانه فوق ذلك ازدراء بالبطل العظيم الجنرال ديجول ، فليس من تقاليد الجندي الباسل ان ينسحب من الميدان .. وكائنة ما كانت الاسباب التي دعت فرنسا لتغيب عن هذا الاجتماع ، فانها بداية سيئة للجمهورية الافرنسية الخامسة في بداية عمرها ..

وان غياب فرنسا في هذه الدورة بالذات ، يزيد من اسفنا ، فنحن مطالبون ، بان نقدم اليكم عرضا لما تم بشأن القضية الجزائرية .. يجب علينا في هذه الدورة ان نستعرض الماضي ، وندرس الحاضر ، ونخطط للمستقبل .. انها دورة لتصفية الحساب ، ذلك انفرنسا فيالدورةالماضية

قد بذلت وعودا كثيرة ، وان من واجب فرنسا ان تذكر لكم ماذا انجزت من هذه الوعود .. ولقد تحدثت فرنسا طويلا في الدورة السابقة عن وقف اطلاق النار وعن المفاوضات .. ولذا بات من واجب فرنسا ان تعرض عليكم نتيجة جهودها بشأن وقف اطلاق النار والمفاوضات .. ولكن فرنسا قد تخلفت عن اداء الحساب وتخلفت عن الحضور .. وقد كان كل املنا في عهد الجنرال ديجول ان تنسحب فرنسا من الجزائر ، بدلا من الانسحاب من الجمعية العامة .. اجل كان املنا ان تأتي فرنسا في هذه الدورة لتقول لكم انها تركت الجزائر للجزائريين ، والجزائريين للجزائر .. ولم تكن آمالنا هذه من غير مبرر .. فقد كنا نحسب ان الجنرال ديجول ، البطل العظيم لحركة التحرير الافرنسية، سيعمل على تحرير فرنسا من الاستعمار الافرنسي ، وبالتالي تحرير الجزائر .

ولكن خاب ظننا ، ذلك ان الرئيس ديجول قد خيب آمالنا في الجنرال ديجول .. وها نحن نرى انفسنا مضطرين مرة ثانية ان نبحث قضية الجزائر وحرب الجزائر .. وما لنا في ذلك حيلة فان الجنرال ديجول قد انهزم امام الرئيس ديجول ..!!

ويجب ان يكون واضحا منذ البداية ، يا سيدي الرئيس ، ان هناك امورا في القضية الجزائرية لم تعد محل جدال ، فقد اصبحت بديهيات لا مجال لمناقشتها .. ذلك انه استقرت في الفقه الدولي للامم المتحدة .

ولهذا فانني لا اجد نفسي في حاجة الى مناقشة المزاعم الافرنسية ، المستندة الى حجة الاختصاص الداخلي ، التي تلجأ اليها فرنسا دائما لتعارض سلطة الامم المتحدة .. ان الحديث عن الاختصاص الداخلي ،قد اصبح الآن حديث خرافة بالنسبة للقضية الجزائرية .. ان حق الامم المتحدة في بحث القضية الجزائرية قد اثبتته المناقشات المسهبة التي جرت في الدورة السابقة ، ولقد رفضت الامم المتحدة دعوى فرنسا المستندة على الاختصاص الداخلي ، ولا نرى داعيا للعودة الى هذا الموضوع .

ولنفس الاسباب، فانني لا اعتزم الرجوع الىالجانب التاريخي للقضية الجزائرية ، ولا ان اتناول بالبحث حق الجزائر بالاستقلال ، وما تعرضت له اثناء الاحتلال الافرنسي ، وكفاحها الطويل من اجل تحقيق اهدافها القومية .. ذلك كله قد تحدثنا بشأنه في الدورة السابقة ، واثبتنا ، بما لا يرقى اليه الشك ، السيادة القومية للجزائر كحق طبيعي ، واستعادتها

لتلك السيادة التي مارستها كأمر واقع لا مجال لانكاره ..

وكذلك ، فاننا لا نرغب ان نتعرض لتفاصيل المظالم الرهيبة ، التي نزلت بالشعب الجزائري على ايدي السلطة الافرنسية الغاشمة .. فلقد اصبحت محاضر الامم المتحدة متورمة باخبارها ؛ وقد طفحت الدورات السابقة بالمقتبسات والتقارير التي تدين فرنسا ، لما ارتكبته من افانين التعذيب التي تفوق حد الخيال .. وما عندنا من جديد نقوله في هذه الدورة حول هذا الموضوع ، ان الجديد هو استمرار الفظائع الافرنسية بقسوتها ووحشيتها وبربريتها ..

تلك امور تعيش في الماضي ولكننا سنحصر حديثنا في الحاضر والمستقبل

ان الحاضر واضح كل الوضوح ، لا يعتريه اي لبس او غموض، لقد قامت حكومة جزائرية مؤقتة قبل شهرين ، وقد اعترف بها عدد من الحكومات الصديقة ، وستتوالى الاعترافات قريبا .. ونحن نرى في قيام حكومة جزائرية ضرورة قومية ، كما نرى فيها خطوة صحيحة ، في الاتجاه الصحيح وفي الوقت المناسب ، وانكم لتذكرون ان القضية الجزائرية مدرجة على جدول اعمال الامم المتحدة منذ دورتها العاشرة .. ومنذ ذلك الحين، لم تذعن فرنسا لا لضغط الراي العام العالمي ولا لقرارات الامم المتحدة .. ولقد تجاهلت فرنسا قراركم الاخير في الدورة السابقة ، الذي دعا الى مباحثات بين فرنسا والجزائر ، بقصد الوصول الى تسوية تتفق واهداف ميثاق الامم المتحدة .

وبدلا من الشروع في المباحثات ، فلقد استمر الجيش الافرنسي في اعماله العدوانية ، وكان من جملتها ذلك العدوان الصارخ على تونس .. ان القصف الجوي الذي قامت به الطائرات الافرنسية على ساقية سيدي ابن يوسف ، انما هو مثل من اعمال الغدر والجبن ، التي تلجأ اليها فرنسا في مقاومتها للحرب التحريرية الجزائرية .

ومن الناحية السياسية، فان فرنسا قد اقترفت انتهاكا آخر لقراركم الذي اصدرتموه في العام الماضي .. ومرة اخرى بدلا من ان تحاول فرنسا ايجاد حل للقضية الجزائرية على اساس ميثاق الامم المتحدة، فانها تحاول الآن ان تجد هذا الحل على اساس الدستور الافرنسي الجديد .. وقد غاب عن فرنسا أن ميثاق الامم المتحدة لا الدستور الافرنسي ، هو الذي يجب أن يكون أساس الحل للقضية الجزائرية .. هذا هو قراركم بنصه وروحه ،

كما اصدرتموه في العام الماضي لا بالتصويت فقط ولكن بالتصفيق والهتاف.

ولقد كان من مضاعفات الموقف ، الاستفتاء ، أو الاستفتاء المزعوم ، الذي تولت أمره الحكومة الافرنسية ، ومن الجلي ان استفتاء تقوم به فرنسا ، ومن اجل فرنسا ، هو امر لا شأن لنا به ، ولا يعنينا من قريب أو بعيد ، وكل ما نستطيع ان نفعله هو آن نعرب عن تمنياتنا الطيبة بأن يعود هذا الاستفتاء على فرنسا بأحسن النتائج .. ولكن استفتاء تقوم به فرنسا ، من اجل الشعب الجزائري ، وتحت اشراف الادارة الفرنسية هو مرفوض بكليته ، ويدعو الى الرثاء .. ان الشعب الجزائري وحده هو الذي يضع دستوره الوطني ، وتحت ظروف كاملة الارادة الحرة ،والاختيار الكامل ..

ولهذا فاننا نعتبر أن الاستفتاء الافرنسي ، بالنسبة الى الجزائر ، لا يملك المقومات الصحيحة التي تجعله استفتاء قانونيا .. ولا تقصد فرنسا من ورائه الا ان « تطبخ » حلا له من الديمقراطية مظهرها لا جوهرها .. وان تضع هذا الحل امام الامم المتحدة كأمر واقع .. ولكن الامم المتحدة ومعها الرأي العام الدولي لا يمكن ان ترضى بهذه المهزلة الدولية ...

واذا كانت فرنسا تجرؤ ان تدعي ان هذا الاستفتاء ، له حظ من الدستورية والشرعية ، فنحن على استعداد لان نتحدى فرنسا تحديا سافرا .. وها نحن ندعو فرنسا ان تخرج من الجزائر ، وسنقبل حينئذ استفتاء الشعب الجزائري تحت اشراف الامم المتحدة .. اننا نعلن امامكم، باننا نقبل استفتاء الشعب الجزائري تحت اشراف المستر همرشلد ، لا تحت اشراف الجنرال ديجول ، ان مثل هذا الاستفتاء الدولي لا يمكن الا ان يكون استفتاء شرعيا حرا ، فلا يجري في ظل السلاح ، والسلاح تحت الزناد .

وليس علينا الا ان نقوم بهذه التجربة .. فلنجرب استفتاء تحت اشراف الامم المتحدة ، لنرى ما اذا كان الشعب الجزائري يختار الاندماج مع فرنسا، او الاستقلال، وما اذا كان سيختار الجنرال ديجول، ام حكومة الجزائر المؤقتة ..

فاذا كانت فرنسا تثق بالاستفتاء كأسلوب لحل القضية الجزائرية ، اذا كانت لدى فرنسا الشجاعة الكافية لقبول هذا الاسلوب بكل نتائجه .. فها نحن نقف في الامم المتحدة لنتحدى فرنسا أن تقبل استفتاء الشعب

الجزائري ، تحت اشراف الامم المتحدة .. ها نحن نتحدى .. وعلى فرنسا ان تقبل التحدي ..

وان فرص السلام ميسورة من غير شك اذا كانت فرنسا مستعدة ان تتغلب على عناد فرنسا .. ان التوصل الى حل سلمي عادل ، تصل اليه فرنسا والجزائر عن طريق المفاوضات الحرة ، يفتح آفاقا واسعة من التعاون المتبادل والصداقة المشتركة بين البلدين .. ان مثل هذا الحل بين جمهورية فرنسا وجمهورية الجزائر ، من شانه ان يؤدي الى السلام والاستقرار في الشمال الافريقي باسره .. ونحن نرى في قيام الحكومة الوطنية الجزائرية مبادرة موفقة ، فقد اصبح على ساحة القضية الجزائرية فريقان مؤهلان للشروع في مفاوضات مباشرة : الحكومة الافرنسية والحكومة الجزائرية من جانب آخر ، ولا يحتاج الامر الا الى وسيط دولي ممتاز يرضى به الطرفان . واننا نقترح ان يكون المستر همرشلد هو ذلك الوسيط ، ولكم ان تمنحوه الاختصاصات التي تريدونها والصفة التي تختارونها .

ان المهمة عسيرة من غير شك ، ولكن المستر همرشلد بكفاءته التي نعرفها فيه ، قادر ان يرقى الى مستوى المسئولية.. انه يستطيع ان يتخذ التدابير اللازمة لحمل الطرفين لقبول وقف اطلاق النار ، على اساس الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال .. ويستطيع كذلك ان يهيىء الاسباب لعقد مؤتمر مائدة مستديرة يحضره الممثلون المعتمدون للفريقين ، فرنسا والجزائر ..

هذا هو طريق السلام ولا طريق سواه .. ثم انه هو الطريق الوحيد لصيانة المصالح الشرعية لفرنسا في الجزائر ، اذا كان لها من مصالح شرعية .. وفضلا عن ذلك فانه هو الطريق الامثل الذي ييسر للجالية الافرنسية في الجزائر عيشا هادئا ، خاليا من الامتيازات من غير شك ، ولكنه قائم على الحق والعدل من غير ريب .. وفوق هذا وذلك فان حل القضية الجزائرية على الاسس الصحيحة ، يكرس عهدا جديدا من الصداقة المتبادلة ، لا بين الجزائر وفرنسا فحسب ، بل بين الجزائر وجميع الدول العربية ؛ ولعل هذا العرض ، يا سيدي الرئيس ، هو آخر عرض يطرح على فرنسا .. ومن يدري فقد تكون هذه هي الفرصة الاخيرة لفرنسا لتحمي ما يمكن حمايته من المصالح الافرنسية في الجزائر ..

ونحن نتساءل ما هو المصير لو أن فرنسا بقيت ماضية في عنادها ، دون أن تصغي الى نداء العقل والحكمة ؟ ان المصير واضح أمامنا كل الوضوح ، انه الحرب واستمرار الحرب .. ان الشعب الجزائري مصمم كل التصميم أن يواصل حرب التحرير ، على أرض الجزائر وخارجها .. ولقد استطاع المناضلون الجزائريون ان يفتحوا جبهة ثانية على ارض فرنسا نفسها .. والحرب هي الحرب .. انها حرب التحرير .. انها حرب مقدسة ، وان الشعب الجزائري يملك « حق » الحرب .. وسيظل يمارس هذا الحق حتى النصر النهائي ..

ويجب ان لا يغيب عن بالنا ان الشعب الجزائري لن يكون وحده في هذه المعركة .. وستهب شعوب كثيرة لنجدة الجزائر وتقديم العون لها .. ذلك أمر طبيعي .. والعون الدولي قد أصبح هو النظام السائد سواء عن طريق الامم المتحدة أو خارجها .. في الاسرة الدولية دول تقدم العون ودول تتلقى العون ، وليست الجزائر استثناء عن هذه القاعدة .. وقد أصبح الامر اكثر يسرا بعد قيام حكومة جزائرية مؤقتة ، اعلنت من جانبها انها في حالة حرب مع فرنسا ..

اما المصير النهائي فلا يخامرنا ريب في أمره .. المصير النهائي هو انتصار الشعب الجزائري .. هذه هي مسيرة التاريخ .. وهكذا توّجت الحروب الثورية في جميع انحاء العالم . وما اظنني في حاجة ان اسرد امامكم الوقائع والشواهد .. ان الدليل القاطع اراه قائما بين صفوفكم في هذا الجمع الكريم .. ان كثيرا منكم لم يدخلوا الامم المتحدة من أبواب القبول الرسمي المعتاد .. ولكنهم دخلوا مباشرة من ميادين القتال ، واستحقوا الحرية والاستقلال .. وان على فرنسا ان تكون اكثر ادراكا من غيرها لهذه الحقيقة الاصيلة .. ان تاريخ فرنسا الحديث، وما آلت اليه الامبراطورية الافرنسية ، مليء بالعبر .. للذين يتخذون من الماضي عبرة للحاضر ..

لقد ناقشنا في الدورة الماضية القضية الجزائرية بصورة مفصلة .. واصدرت الامم المتحدة قرارا اجماعيا ، ينص على مطالب معينة يجدر بنا ان ننعم النظر فيها .. في الفقرة الثانية من ذلك القرار ، اعربت الجمعية العامة عن « علمها بالوساطة التي عرضها كل من ملك المغرب ورئيس الجمهورية التونسية » .. وفي الفقرة الثالثة اكدت الجمعية العامة رغبتها

في أن « تبدأ المباحثات بقصد الوصول الى تسوية بموجب اهداف الميثاق ومبادئـــه » .

وعلى هذا فان قرار الجمعية العامة قد حدد الهدف ، وحدد الوسيلة لبلوغ الهدف .. لقد كان الهدف تحقيق مبادىء الميثاق .. وكانت الوسيلة المباحثات والوساطة . وساطة تونس والمغرب . هذه هي صفوة القرار الذي اصدرتموه بالاجماع في العام الماضي ، وبموافقة جميع الاطراف المعنية ؛ ولقد اصبح من واجبنا وحقنا ، وقد انقضى عام واحد على هذا القرار ، ان نرى مدى النجاح الذي بلغناه ، وان نرى ماذا جرى للهدف .. وماذا كان من امر الوسيلة ..

فيما يتعلق بالوساطة ، انه ليحزننا ان نحيطكم علما بأن فرنسا قد رفضت رفضا قاطعا وساطة تونس والمغرب ومن غير اسباب معقولة .. ان الجمعية العامة حين اشارت في الدورة الماضية الى وساطة المغرب وتونس ، لم يكن دورها قاصرا على تسجيل هذه الواقعة ، ولكنها كانت تتطلع الى ان تؤدي هذه الوساطة غايتها .. لقد كان قراركم بمثابة دعوة صريحة الى فرنسا لتقبل هذه الوساطة ، والاّ فما الذي دعاكم ان تشيروا الى الوساطة المغربية التونسية وتجعلوها جزءا بارزا من قراركم .. واننا لنستهجن كيف ان فرنسا ، وهي عضو دائم في مجلس الامن ، تتنكر لميثاق الامم المتحدة ، الذي نص على الوساطة كوسيلة دولية لحل المنازعات الدولية .

غير ان فرنسا لم تقتصر على رفض الوساطة، ولكنها نسفتها وفجرتها في الثامن من شهر فبراير من عام ١٩٥٨ ، اي بعد شهرين من صدور قراركم ، اقترفت فرنسا عدوانا صارخا على الاراضي التونسية .. فقد قامت الطائرات الافرنسية بغارات على ساقية سيدي بن يوسف ، فقتلت واحرقت ودمرت .. وكان بين الضحايا الشيوخ والنساء والاطفال .. وفي شهر مايو قامت القوات الافرنسيه بأعمال عدوانية غادرة على مقربة من رمادا .. ولقد نظر مجلس الامن في هذه الاعتداءات الآثمة، وبعد مناقشات مطولة قرر المجلس ، ان يعهد الى بريطانيا والولايات المتحدة لتسوية النزاع بين تونس وفرنسا .. وهكذا تجلت السخرية بأجلى مظاهرها .. فيالوقت الذي كانت فيه تونس تعرض وساطتها على فرنسا ، اصبحت بريطانيا وامريكا تعرضان وساطتهما ، بين تونس وفرنسا ، ونحن لا نشك في أن فرنسا سترفض هذه الوساطة الثانية ، لنتذكر القول العربي المأثور .. يرضى القتيل وليس يرضى القاتل ..

تلك امور تعيش في الماضي ولكننا سنحصر حديثنا في الحاضر والمستقبل الى المباحثات بين فرنسا والجزائر ؟! وعليّ ان اعترف باديء ذي بدء ، ان قرار الامم المتحدة قد استخدم تعبيرا افرنسيا (بور بارلي) بدلا عن كلمة « المفاوضات » وقد رضينا ان يتسرب هذا التعبير ، ويقابله بالعربية « المحادثات » ، الى سجلات الامم المتحدة ارضاء لحساسيات فرنسا وغرورها .. ولفرنسا غرورها كما لها امجادها! .. وكائنا ما كان معنى هذا التعبير الافرنسي ، فان معناه « المحادثات » ، وطبيعي ان المحادثة تكون بين فريقين، لانه ليس من المعقول ان يحادث المرء نفسه.. ان العقلاء هم الذين يتحدثون ويناقشون ويتفاوضون ؛ بعضهم مع بعض ، ولا يفاوض المرء نفسه .. وفي قاموس « وبستر » يعني هذا التعبير الافرنسي «المؤتمر التمهيدي لبحث موضوع معين تمهيدا لعقد معاهدة » ، وفي «لاروس» يعني التعبير الافرنسي « المؤتمر الذي يمهد لموضوع معين » .

ولهذا فاننا نعتبر ان قرار الامم المتحدة يدعو فرنسا والجزائر الى عقد مؤتمر بينهما .. هذه رغبة الاسرة الدولية ، وطبيعي ان هنالك قضايا لا تخضع للمفاوضات بطبيعة ظروفها ، كالنزاع العربي الاسرائيلي .. غير انه اذا كان لاحد ان يرفض المفاوضات ، فانها الجزائر لا فرنسا .. وكلكم تعرفون الشعار الشهير ، لا مفاوضة الا بعد الجلاء ، ان من حق الجزائر ، اذا شاءت ، ان ترفض المفاوضة مع فرنسا الا بعد جلاء آخر جندي افرنسي عن ارض الجزائر ..

ورغما عن ذلك ، فان الجزائر كانت على الدوام تعرض على فرنسا الدخول في مفاوضات حرة ، لتسوية الخلافات القائمة بين الجانبين .. وقبل قيام الحكومة الجزائرية ، بذلت جبهة التحرير الجزائرية ، كل جهدها لحمل فرنسا على قبول مبدأ المفاوضات ، ولكن هذه الجهود قد ذهبت ادراج الرياح ، غير ان فرنسا اختارت ان تلقي بالقضية الجزائرية في خضم الامور الجدلية البيزانطية ، وبقيت مصرة على ترتيب خال من الترتيب : وقف اطلاق النار اولا ، الانتخابات ثانيا ، المفاوضات ثالثا ؛ هذه هي الصيغة التي ابتدعتها فرنسا ، خالية من المنطق السليم ومن المقتضيات العملية للقضية الجزائرية .. ان هذه الصيغة ليس لها الا معنى واحد هو التسليم ، دون ان تترك شيئا جديرا بالمفاوضة ؛ وبموجب هذا الحل يتعين على الجزائر ان توقف القتال ، وعليها ان تقبل دستورا لم تضعه ، وعليها ان تدخل انتخابات لم تحدد اهدافها ولا قانونها

ونظامها .. وبعد هذا كله يطلب من الجزائر ان تفاوض فيما بقي ، على حين انه لا يبقى شيء للتفاوض .. مفاوضة في كـل شيء ، بعد ان يكون قد انجز كل شيء!!

وبعد قيام الحكومة الجزائرية ، اتخذ موضوع المفاوضات طابعـا رسـميا محدد المعالم .. ولقد اعلنت الحكومة الجزائرية في بيانها الصادر في ٢٦ سبتمبر بان « حكومة الجمهورية الجزائرية مستعدة من جانبها ان تبدأ المفاوضات ، ولتحقيـق هـذا الغرض فانها حاضرة في اية لحظـة للاجتماع بممثلي الحكومة الافرنسية .. » ويتضح من هذا ان الحكومة الجزائرية قد اخذت بزمام المبادرة في هذا الموضوع ، وكانت البادئـة بنفسها ، واعلنت موقفها هذا في بيـان رسمي وجهت فيـه الدعوة الى فرنسا للشروع في المفاوضات .

واسمحوا لي ان احيطكم علما بطبيعة هذه المفاوضات كما عرضتهـا الحكومة الجزائرية .. ان الحكومة الجزائرية لم تربط المفاوضـات بشروط سابقة ، ولا قيود ولا تحفظات ، بـل ارادتها مفاوضات حرة ، للفريقين ان يبحثا كل شيء وان يدرج كل شيء على جدول الاعمـال، من وقف اطلاق النار ثم صاعدا او نازلا .. وللفريقين الحرية الكـاملة عند نهاية المفاوضات ان يتفقا او يختلفا ، ولا يمكن ان يكون ايسر مـن هذا الاسلوب ولا اشرف ولا اقرب الى الواقعية .. ولا يمكن كذلك ان يكون ادنى من هذا الاسلوب الى قراركم الذي اصدرتموه في العام الماضي ولكـن فرنسا ضربت بالدعـوة الجزائرية عـرض الحائط ، فرفضـت المفاوضات ، ولم يصدر عن باريس ما يؤذن بانفراج الازمة .. بل ظلـت الازمة تزداد تأزما ..

ولكن فرنسا لم تخرج عن صمتها ، الا حينما تحدث الجنرال ديجول في مؤتمر صحفي في ٢٣ اكتوبر .. ولم يتحدث الجنرال ديجول عـن المفاوضات في صلب بيانه ، وانما جاء جوابا على سؤال ... ولسنـا ندري اذا كان السؤال والجواب بتدبير سابق ، ذلك ما اتركه لتقديركم ومهما يكن الامر ، فقد اعرب الجنرال ديجول عن وجهة نظره بشـأن المفاوضات فقال « ليات السلم الرجل الشجاع ، وانني واثق ان البغضاء ستنتهي » .. وماذا اعني ، حين اتحدث عن سلم الرجل الشجاع .. انه يعني ببساطة : على الذين قاتلوا ان يوقفـوا القتال ، وان يعـودوا الى

بيوتهم وعائلاتهم من غير مذلة .. ولقد قيل لي وماذا عليهم ان يفعلوا ليوقفوا القتال .. واني اقــول لهم اينما كانــوا ، على قادتهــم في الميدان ان يتصلوا بالقيادات الافرنـــية المحلية .. ان اسلوب المحاربين الــذي استعمــل قديما حين يرغب المحارب في الـسلام ان يستعمل العلم الابيض من اجل الـسلام .. واني اقول انه في هذه الحالــة فسيستقبل المقاتلون ويعاملون بشرف .. اما فيما يتعلق بالمنظمة الخارجية ، التي كنت اتحدث عنها قبل قليل ، والتي تحاول ان تقود القتال من الخارج ، فاني أعيــد علنا ما قلته في السابــق : اذا تم اختيار مندوبين ليحضروا ويسووا مــع السلطة وقف القتال ، فكل ما عليهم ان يتصلوا بالسفارة الافرنسية في تونس والرباط .. وايهما تتولى ايصالهم الى فرنسا .. وستضمـــن سلامتهم واني اتكفل لهم بحرية العودة .. » .

ولــو اننا عقدنا مقــارنة بــين العرض الجزائري وعرض الجنــرال ديجول ، لا تضح لنا ان العرض الافرنسي ينطوي على تعقيد ما بعــده تعقيد .. وانه يصعب علينا ان نعتبر هذا العرض بانه مفاوضات .. انه تسليم كامل .. وليس في الجزائر من يقبل التسليم . ليس الاستــلام من تقاليد الشعب الجزائري .

لقد اعلنت الحكومة الجزائرية عن استعدادها للدخول في مفاوضات حرة مع فرنسا ، من غير شروط سابقة ولا تحفظات .. لقد اقترحت الحكومة الجزائرية عقد مؤتمر مائدة مستديرة ، يكون لكل فريق الحق الكامل في ان يطرح على مائدة المفاوضات المواضيع التي يختارها ، ولكن الجنرال ديجول عرض اقتراحا مضادا اسماه « سلام الرجل الشريف » ، وهو في الواقع جدير بان يسمى « استسلام الرجل الجبان » وليس بين الجزائريين جبان .. لقد سجل الجزائريون صفحة مشرقة في مساهمتهم في القتال لتحرير فرنسا .. وذلك جزء من تاريخهم المجيد ، وعلى فرنسا ان لا تنساه !!

ولا شك ان « سلم الرجل الشجاع » كما اقترح الجنرال ديجول ، لا يقدم عليه الا الجبناء ، فلقد اوضحه الجنرال ديجول بعبارة لا لبس فيهــا ولا غموض حين قال : « على الذيــن يقاتلون ان يوقفوا القتال ، وان يعودوا لاعمالهم وعائلاتهم من غير مذلة » ليست المسألة بهذه البساطة الساذجة كما ارادهــا الجنرال ديجول ، ان الذيــن اطلقــوا الرصاصات

الاولى في ١ نوفمبر من عام ١٩٥٤ لا يمكن أن يوقفوا القتال ، ويعودوا هكذا ببساطة الى اعمالهم وعائلاتهم .. ان الجنرال ديجول يؤكد انهم يعودون من غير مذلة ، ولكن العودة على هذه الصورة هي المذلة بعينها انها المذلة الكبرى ... ان الهزيمة خير من هذه المذلة .. واي عمل يعودون اليه ؟ ان عملهم الاكبر هو تحرير الوطن .. ويقينا ان عائلاتهم لا تقبلهم ولا تستقبلهم ، الا اذا اعادوا لوطنهم الحرية الشاملة والاستقلال التام ، حينئذ ، وحينئذ فقط ، يستطيعون ان يعودوا الى اعمالهم وعائلاتهم ..

وانها لكبيرة كبيرة ، يا سيدي الرئيس ، على بطل عظيم مثل الجنرال ديجول ان يعرض على الجزائر مثل هذا السلام .. ولا شك عندنا ان الجنرال ديجول يثور حقا لو انه عرض عليه مثل هذا السلم ، يوم كان يقود حركة التحرير الافرنسية ، اثناء الحرب العالمية الثانية . واننا نتساءل ، هل يعود الجنرال ديجول الى عمله وعائلته لو انه عرض عليه « سلم الرجل الشجاع » ؟ ليس هذا عرضا كريما شريفا ، وانه يبدو لنا ان ديجول السياسي قد خان ديجول البطل .

هذا ما عرضه الجنرال ديجول على المقاتلين الجزائريين ، اما ما عرضه على ما اسماه المنظمة الخارجية فقد كان ابشع واشنع .. فلقد طلب من ممثلي الجزائر ، اذا كانوا يرغبون انهاء القتال ، ان يتصلوا بسفارتي فرنسا في تونس والرباط ، لتضمن ايصالهم الى فرنسا ... بهذه الصورة يتحدث الجنرال ديجول الى الحكومة الجزائرية .. انه يطلب من المقاتلين الجزائريين ، ان يلقوا سلاحهم ، ويعودوا الى عائلاتهم واعمالهم ، ثم يطلب من ممثلي الجزائر ان يحضروا الى باريس لانهاء القتال .. واني لاسألكم جميعا ، هل عرفتم احدا على وجه الارض يوقف القتال ، ويسرح المقاتلين ، ثم يذهب الى خصمه ليبحث معه انتهاء القتال ؟؟!!

وعلى كل حال ، يجب علي ان اؤكد لكم حقيقة اصيلة ، ليس عارًا ان يكون للشعب الجزائري حكومة في المنفى ، اختار الجنرال ديجول ان يسميها « المنظمة الخارجية » .. ان في ذلك مفخرة لا معرة .. ان المعرة هي في قبول شروط الجنرال ديجول .. وان ممثلي الحكومة الجزائرية لا يذهبون الى باريس ليبحثوا مع « السلطة » امر السلام ، ولسنا ندري معنى « السلطة » كما يفهمها الجنرال ديجول. ان ممثلي الحكومة الجزائرية مستعدون ان يجلسوا مع ممثلي الحكومة الافرنسية لا « السلطة »

https://albordj.blogspot.com

الافرنسية . أن السذج الفارقين في السذاجة ، هم الذين لا يستطيعون ان يميزوا بين « السلطة » الافرنسية والحكومة الافرنسية ... ان الشعب الجزائري يخوض الحرب ضد فرنسا ــ ضد الجمهورية الافرنسية ممثلة في الحكومة الافرنسية . انهم ليسوا في حرب مع « السلطة » في باريس .

ولقد اشار الجنرال ديجول الى « رفع العلم الابيض » اذا اراد المقاتلون وقف القتال ... وانه ليؤلمني حقا ، وانا المدني الذي لا يعرف الكثير عن القتال ، ان اصحح للجنرال ديجول حديثه عن اساليب وقف القتال .. ويبدو لي ، ان الرئيس ديجول لا الجنرال ديجول ، هو الذي وقع في هذه الاخطاء الفنية بالنسبة لاسلوب وقف اطلاق النار .. ان أسلوب رفع العلم الابيض ، لا ينطبق باي حال من الاحوال على القضية الجزائرية .. ان الشعب الجزائري يقاتل من أجل حريته واستقلاله.. ان الجزائريين مستعدون لوقف اطلاق النار حينما يتم الاعتراف بحقهم في الاستقلال ، ان الاسلوب القديم لوقف القتال ، الذي اشار اليه الجنرال ديجول ، لا يطلب من الحكومة الجزائرية ان تبعث بممثليها الى باريس .. والعكس هو الصحيح .. ان التقاليد المعروفة تقضي بالتقاء الفريقين على أرض محايدة .. هذا هو الاسلوب الدولي المألوف .ولكن فرنسا على ما يظهر قد تأثرت بتقاليد اخرى ، على النقيض من ذلك ، تقاليد فرضت عليها في هزائمها العسكرية في العهد النازي ، وجاءت اليوم تريد تطبيقها على الجزائر .. وان فرنسا تتحدث عن هذه الاساليب، لانها ارغمت يومئذ على رفع العلم الابيض .. ولرغمت كذلك على ان تطلب الاستسلام الى عدوها .. ولكن الجزائر تأبى ان ترفع العلم الابيض .. ان الجزائر مستعدة ان تجلس على مائدة للمفاوضات للوصول الى حل عادل شريف للقضية الجزائرية .. وان الشعب الجزائري يختار أن يفني على بكرة ابيه ، الى آخر رجل وامرأة ، ولا يستسلم بهذه الطريقة المذلة المهينة .

وبهذا ، يا سيدي الرئيس ، اكون قد فرغت من بحث الوسيلة التي نص عليها قراركم السابق ، سواء بالنسبة للوساطة او بالنسبة للمباحثات . وانتقل الان الى بحث الهدف الذي اراده قراركم ، حلا يتفق ومبادىء الميثاق ــ وسنرى الى اي مدى استجابت فرنسا لقراركم ، وما هو الحل الذي عرضته فرنسا لتسوية القضية الجزائرية .

ويجب علي يا سيدي الرئيس ، ان ابادر الى القول ، أن فرنسا لا تزال مكبلة بالحلقة المفرغة التي ضربتها لنفسها بنفسها .. وهذه الحلقة المفرغة هي ان الجزائر فرنسية .. هذه هي الخرافة الاسطورة ، بل هذه هي البلية التي اربكت عقل فرنسا ، وشلت ارادة فرنسا واجهضت جهود فرنسا ، في كل ما تفكر فيه بالنسبة للقضية الجزائرية .. وما بقيت فرنسا تائهة في هذه الحلقة المفرغة ، فستظل تائهة في التيه ، من غير امل في الشفاء من هذا البلاء .. ولكن في الدقيقة التي تكسر فرنسا هذه الحلقة المفرغة .. في الدقيقة التي تتنفس فيها الهواء العليل في مناخ عصرنا الذي نعيش فيه ، بعيدا عن هذه الحلقة المفرغة ، فستجد القضية الجزائرية الحل الطبيعي الصحيح ، وفوق هذا سيبدأ عهد جديد من العلاقات المشتركة بين فرنسا من جانب والشمال الافريقي من جانب آخر .. عهد يسوده الاحترام المتبادل والتفاهم . ولقد كنا نتطلع ، بعد خمسة اعوام من الحرب بدمارها وويلاتها ، ان تصغي فرنسا الى نداء العقل والحكمة ، وان تلتزم مبادىء الميثاق .. وان تخضع لقرار الامم المتحدة .. وفوق هذا وذاك ان تعتبر بالدروس الدامية التي خلفتها تلك الحرب الطاحنة في الهند الصينية .

اجل ، يا سيدي الرئيس ، كنا نتوقع ان تأتي فرنسا اليكم في هذه الدورة ، وبيدها حل سليم للقضية الجزائرية ، يتفق مع مبادىء الميثاق واهدافه ..

ولكن ، اي حل هذا الذي « تصنعه » فرنسا للقضية الجزائرية .. وانني اقول « تصنعه » عامدا متعمدا .. ان فرنسا لا تفتأ تصنع وتصنع ، لا في مجال العطور والزينة والازياء فحسب .. ولكن في مجالس السياسة كذلك .. واكثر ما يكون هذا واضحا في القضية الجزائرية ، حيث ما تزال فرنسا تصنع وتصنع .. وانه لمفجع حقا ان يصبح البطل العظيم الجنرال ديجول ، مصمما للازياء .. يصنع للقضية الجزائرية كل يوم لباسا .. لباسا يأبى الشعب الجزائري ان يلبسه ..

فلنبحث المعالم الرئيسية للحل الذي « صنعته » فرنسا ، لتسوية القضية الجزائرية ..

يقوم الحل الافرنسي في اساسه على فكرة الادماج .. ادماج الجزائر بفرنسا .. وهنا تكمن نواة هذه الاسطورة .. ان الادماج ليس عملية

كيمائية ، يمكن بموجبها جمع مادتين وخلطهما وتتم عملية الادماج .. ان الادماج ، اذا كان مقدرا له ان يتم ، هو تطور طبيعي ، تاريخي ، انساني .. انه ينشأ نشأة طبيعية ، ولا يمكن ان يولد بطريقة صناعية.. انه نشوء ذاتي ، وليس بتركيب كيمائي مصنوع .. وبالنسبة الى موضوع الجزائر ، فلسنا نرى عاملا واحدا يدعو الى الادماج .. كل العوامل تدعو الى الافتراق والانفصال .. فرنسا والجزائر شعبان منفصلان بعضهما عن بعض ، في كل معنى .. ان للشعب الجزائري وجودا قوميا ، ووعيا وطنيا ، يختلفان ويتميزان عن الشعب الافرنسي. ان الآمال ، اللغة ، الثقافة ، التقاليد ، الماضي والحاضر ، كل ذلك متباين بين الشعبين .. ولا توجد قوة على وجه الارض تستطيع ادماجهما في شعب واحد .. اوليس يكفي قرن من الزمان ، ويزيد !! لقد جربت فرنسا خلال هذه الحقبة الطويلة جميع الوسائل العسكرية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، لتجعل من الجزائر ارضا افرنسية، ففشلت التجربة ، فشلا ذريعا .. ولقد قاومت الجزائر بعناد وضراوة هذه الجهود الافرنسية .. وخرجت الجزائر بعد هذا الصراع الطويل عربية ، كأية دولة عربية ، تناضل من إجل الحفاظ على عروبتها وشخصيتها وتراثها .. وها هي تحارب من اجل حريتها واستقلالها .. حتى الاجيال الجزائرية الناشئة التي اغترفت الكثير من الثقافة الافرنسية انهم من أشد الاعداء تصميما على رفض الادماج .. وانه ليحلو لكم ان تستمعوا اليوم بلغتهم الافرنسية الباريسية ، وهم يسخرون من المهزلة ــ مهزلة الادماج .

ولقد تعرضت لموضوع الادماج لا لاناقش جوانبه التاريخية.. لا ليس هذا هو السبب .. السبب ان مصممي الازياء في وزارة الخارجية الافرنسية ما فتئوا يضعون الحلول المختلفة على أساس الادماج ، على أساس ان الجزائر ارض فرنسية ويجب أن تبقى كذلك .. قد تختلف الاسماء والازياء ، ولكن المادة ، والخامة ، والقماش ، واحد على الدوام . انه الادماج ولا شيء غير الادماج .. في زمن السلم تسمى المحاولة الافرنسية الادماج ، وفي زمن الحرب تسمى التهدئة ، وفي العهد الاخير اسمتها اجهزة الاعلام الافرنسية سياسة التآخي .. ولكن هذه التعابير جميعها انما هي مرادفات للاستعمار ، والامبريالية تسير في ركابها ، وتعمل في خدمتها وتحقيق اهدافها ومصالحها .. ولكن هذه

التعابير المعسولة لم تعد تخدع احدا .. حتى الاميون لا تخدعهم هذه الشعارات البراقة ، ذلك ان مواضيع الحرية والاستقلال يستوي في فهمها الاميون والمثقفون .. فانهم سواء في حق الحياة .. والحياة هي الحرية للناس جميعا .. ولا يستطيع احد ان يقبل شعار الاخوة ، كما طرحته فرنسا ... فان الاخوة لا تعيش في ظل الخضوع والعبودية ، وانما تترعرع في جو المساواة والعدل .. وفي الشعار الافرنسي المعروف تأتي الاخوة مرادفة للحرية ولا تأتي مرادفة للعبودية ، وان من يستعبدنا ، ومن يسيطر على مقدراتنا ، لا يمكن ان يكون اخا لنا، ولا أن نلتقي معه على اخوة..ولكن الاخوة بين الجزائر وفرنسا ليست مستحيلة..وليس لفرنسا ان تبذل جهودا مضنية في هذا السبيل ..ان الامر يسير كل اليسر .. ليس على فرنسا الا ان تترك الجزائر للشعب الجزائري ، وحينئذ ، حينئذ فقط ، يمكن أن يفتح الباب على مصراعيه ، لاخوة صحيحة بين الشعب الافرنسي والشعب الجزائري .

كل ذلك يوضح لنا كيف فشلت جميع الحلول الافرنسية السابقة، ويوضح لنا ان السبب الرئيسي في فشلها لانها قامت اصلا على اساس الاندماج .. ولقد اخفق الدستور الجزائري الذي وضعته فرنسا في عام ١٩٤٧ ، لانه يتجاهل الشخصية الجزائرية المستقلة ، ولانه اعتبر الاندماج امرا مفروغا منه . وبفشل تلك التجربة ، ثبت مرة اخرى ان اية سياسة افرنسية ، تقوم على اساس الاندماج ، لا بد أن يكون مصيرها الزوال.

ثم أن قانون الاصلاح الذي وضعته فرنسا ، وطنطنت له هنا في الامم المتحدة ، واعتبرته انجازا عظيما ، هذا القانون انتهى الى فشل، لانه كان قائما على فشل ، واثبتت الايام انه هزؤ للديموقراطية وسخرية للعدالة .. وكان من العجب العجاب ان قانون الاصلاح قد اعترف بالشخصية الجزائرية ، ولكن انكر وحدة التراب الجزائري .. ولقد كان قانون الاصلاح سخيا الى ابعد حدود السخاء !! لقد اعطى الجزائر كل شيء !! اجل لا تعجبوا لقد اعطى الجزائر كل شيء .. الا الامور المتصلة بالجنسية ، والامن العام ، والدفاع ، والامور الخارجية ، والقوانين المدنية ، والانتخابات والمالية ، والعدل ، والتربية الوطنية ، والموارد الطبيعية ، والخدمات العامة والمؤسسات التنظيمية !! وهذه الامور التي سردتها امامكم ليست من مقتبسات الصحافة .. انها مأخوذة بنصها من المادة التاسعة من قانون الاصلاح .. وبهذا يتضح لكم

أن هذا ليس بقانون ، ولا اصلاح انه سخرية الديمقراطية .

ولقد كان الظن ان انبثاق الجمهورية الافرنسية الخامسة سيؤذن بانبثاق عهد جديد ، يسوده التفاهم الصحيح والتخطيط السياسي السليم .. لكن القرائن تدل على النقيض من ذلك .. اننا نرى فكرة الاندماج تعود من جديد ، بكل معالمها المهترئة الصدئة .. ان فرنسا لا تزال تغوص في وحل الاندماج ، ولا تزال تتخيل ان الجزائر هي فرنسا تقوم على الشاطيء الاخر من البحر .

في ١٣ مايو سنة ١٩٥٨ نشرت النيويورك تايمز تصريحا للمسيو سوستيل وزير الاستعلامات الافرنسي ، اعلن فيه انه يجب ان تكون هنالك « جنسية فرنسية واحدة من دانكرك حتى الصحراء الافرنسية في افريقيا » .. واذا كان المسيو سوستيل يظن ان الجزائر ، هي أرض افرنسية ، بعد هذه الحرب التحريرية التي دفعت الى ارض الجزائر نصف مليون جندي افرنسي .. فان وزير الاستعلامات ضعيف الاستعلامات!! انه تنقصه أبسط حقائق الاستعلامات !!

على انه يمكن القول في هذه الحالة ، ان المرء لا يستطيع ان يصل الى المعلومات الصحيحة من وزارة الاستعلامات .. ففي فرنسا مثلا ، انها وزارة الاستعلامات الكاذبة .. فلنحاول ان ندرس سياسة فرنسا من بيانات الجنرال ديجول : انه الان هو باني الجمهورية الافرنسية الخامسة .. وعلينا ان نذكر فوق ذلك ان الجزائر ، هي التي جاءت بالجمهورية الافرنسية الخامسة ، وجاءت معها بالجنرال ديجول رئيسا عليها .

وانه يحزننا ان نرى أن الجنرال ديجول من انصار سياسة الادماج.. لقد قال الجنرال ديجول « انني اعلن من غير أن اخشى اي حرج ان اكثرية المقاتلين الجزائريين قد قاتلوا بشجاعة » .. كان هذا هو اعتراف البطل الشجاع الجنرال ديجول وهو يتحدث عن الجزائريين الابطال الشجعان ... ولكن حينما يتكلم الرئيس ديجول ، السياسي الافرنسي، نجده يغوص في وحل الادماج ..

في الرابع من شهر يونيو خطب الرئيس ديجول قائلا : «في الجزائر كلها يوجد صنف واحد من السكان .. انهم جميعا رعايا افرنسيون».. وقد نص الدستور الافرنسي الذي وضعه الرئيس ديجول بأن اقاليم

ما وراء البحار ، من حقها ان تختار واحدا من ثلاث : الادماج ،الاتحاد ، او الانفصال . وبالنسبة للجزائر لم يمنحها الدستور حق الاختيار .. بل على العكس فقد نص الدستور على اعتبار الجزائر أرضا فرنسية .. وفي الخطاب الذي القاه الرئيس ديجول في الخامس من يونيو في بون ، اعلن انه « يعتمد على اصوات العشرة ملايين افرنسي في الجزائر ، فيالتصويت الذي سيجري في شهر سبتمبر »

وبالضبط ، هذا هو الذي يحاربه الجزائريون ... انالجزائريين حملوا السلاح ليناضلوا ضد هذه « الصفة الافرنسية » التي يريد ديجول ان يلحقها بالجزائر ، وسيظلون يناضلون .. والجنرال ديجول يطلب من الجزائريين ان يوقفوا اطلاق النار ليصبحوا فرنسيين.. انه يدعو ممثلين عن الحكومة الجزائرية ليتفاوضوا مع فرنسا ، ويعلنوا انفسهم بعد ذلك رعايا افرنسيين .. واذا كان الجزائريون يرضون بان يتخلوا عن جزائريتهم وعروبتهم ، فلم القتال ؟؟ ولم هذه الحرب التي استمرت أعواما واعواما ؟؟ هل الرعوية الافرنسية مطلب رفيع لا ينال الا بالحرب ؟؟ وكائنة ما كانت الرعوية الافرنسية بامجادها ومفاخرها .. فان اسمى ما يتطلع اليه الجزائريون ، ملء جوارحهم وقلوبهم ، ان يكونوا جزائريين ، وجزائريين فقط .. ولا شيء غير ذلك .

وغني عن الايضاح بعد هذا الايضاح ، ان فرنسا بدلا من ان تستجيب لقراركم في التوصل الى تسوية القضية الجزائرية وفق مبادىء الميثاق واهدافه .. قد سلكت سبيلا مغايرا لما اردتم ، مخالفا لما قررتم . فلقد وضع الجنرال ديجول حلا على اساس خطة لخمسة أعوام أسماها « برنامج التجديد الواسع المدى » تتضمن الاشغال العامة ، والصناعات الحديثة وتصنيع الزراعة ..

وفي الرابع من شهر اكتوبر تحدث الرئيس ديجول ، وعلى أرض الجزائر ، عن السياسة التي يقترح اتباعها في الجزائر .. وفي هذا الخطاب سأل الجنرال نفسه : ما هو المستقبل الذي تتطلع اليه فرنسا بالنسبة للجزائر ؟ وأجاب الجنرال ديجولعلى سؤاله قائلا : ايها الجزائريون ، رجالا ونساء ، لقد جئتكم هنا الى الجزائر لاعلن اليكم خطة الاعوام الخمسة » . ولقد تذكرت وانا اقرأ هذا الكلام ، عبارة تكسبير الشهيرة : ايها الاصدقاء ، ايها الرومان ، ايها المواطنون، اعيروني سمعكم ، لقد جئت لادفن القيصر لأمجده .! والصحيح ان

الجنرال ديجول قدجاء الى الجزائر ليدفن القيصر لا ليمجده .. ولقد راح الجنرال ديجول يوضح خطة الاعوام الخمسة ، وكان ذلك معناه ان الجنرال ديجول سيدفن حرية الجزائر خمسة اعوام اخرى ..

هذا هو ، يا سيدي الرئيس ، الحل الذي وضعته فرنسا للقضية الجزائرية .. وهذا حل لا يستحق ان يدرس ، وليس جديرا بان يتولى أحد الدفاع عنه .. ولعل هذا هو السبب في غياب فرنسا عن مناقشاتنا ، ان خطة الاعوام الخمسة ، لا يمكن أن تلفت انتباهنا ، او ان تحولنا عن طريقنا الذي رسمناه لانفسنا ، ولا ان تعطل ارادتنا وتصميمنا على الدفاع عن قضية الحرية المتمثلة في القضية الجزائرية ..

وتستطيعون ، ايها السيادة ، ان تثقوا الثقة الكاملة بان فرنسا ، لن تبقى في فرنسا هذه الاعوام الخمسة ، التي يتحدث عنها الجنرال ديجول ... ان فرنسا ستخرج من الجزائر قبل هذه الاعوام الخمسة .. وان الجزائريين سيضعون ، بانفسهم ، لبلادهم خطط الاعوام الخمسة والعشرة ، وهم بهذا يؤدون حق الوطن عليهم .. وليس في هذه الدنيا ما هو اسمى واروع ، ولا ما هو ادعى للنجاح من ان يخدم المرء وطنه بجميع عقله ،وجميع فؤاده ، وبجميع البهجة التي تعمر روحه ...

وهناك حقيقة اخرى ، يا سيدي الرئيس ، يجب ان لا تغيب عن بالنا .. ان مشروع الجنرال ديجول ، لتسوية القضية الجزائريةلاتعوزه اسباب الضعف في مقوماته فحسب ، بل ان الضعف يتجلى في تكوينه العام .. ان الاستفتاء والإنتخابات ،وهي التي يقوم عليها المشروع الافرنسي، قد تهاويا على الارض . لقد سقطا حين كانا بنيان .. ولن اتعرض لهما في شرح طويل ، لانهما لا يستحقان اكثر من كلمة عابرة .. انهما من الضعف والهزال والسخرية بحيث لا يستحقان تعليلا وتحليلا .. انهما لا يصلحان الا لشيء واحد .. وهو ان يكونا موضوعا كاريكاتوريا ، او مثلا جيدا لطبخة سيئة .. طبخت فيها الديمقراطية على اسوأ صورة ..

ان الاستفتاء الذي جاء بنتيجة ٩٧ في المابة في الجزائر ، كما قيل، انما هو خليط من التزوير والفساد .. ولقد صدقت جريدة الكريستشن ساينس مونيترز ، ٢ اكتوبر سنة ١٩٥٨ ، حين قالت عنه « انه مسرحية عرفت فصولها قبل ان تبدأ ، ولم يكن احد في فرنسا أو الجزائريشك في أن هذا القطر في شمال افريقيا سيصوت الا نعم ..» اما جريدة

واشنطن بوست (٣٠ سبتمبر سنة ١٩٥٨) . فقد قالت « انها لكارثة ان يعتقد الجنرال ديجول ، انه نتيجة الاستفتاء في الجزائر ، واكثريتها المطلقة نعم ، تعني موافقة الجزائريين على استمرار بقاء فرنسا في الجزائر » ولقد ادان المسيو منديس فرانس رئيس وزراء فرنسا السابق ، ذلك الاستفتاء بانه « خطر على الامن والسلم .. وخطر على الديمقراطية ، ولن يكون استفتاء .. انه مجرد قرار مفروض .. ونحن نتنبأ من الان السابق للاقاليم الافرنسية وراء البحار بقوله « ان الاستفتاء لن يكون حرا ولن يكون استفتاء .. انه مجرد قرار مفروض .. ونحن نتبأ من الان بان النتائج ستكون « ناجحة » من ٩٠ الى ١٠٠ بالماية » ولقد كانت تنبؤات المسيو ديفير صحيحة تماما ، فقد جاءت نتيجة الاستفتاء ٩٧ في الماية لصالح فرنسا ..

اما فيما يتعلق بالانتخابات فقد كانت فشلا ذريعا لفرنسا ونصرا مجيدا للجزائر شعبا وحكومة .. لقد كانت نتيجة الانتخابات استنكافا كاملا .. ولا اريد ان اشرح لكم الاستنكاف ، فانه جزء من نظامنا في الامم المتحدة ، واصبح جزء من تقاليدنا ... واني لاتساءل في عجب واستغراب ، كيف تستطيعون ان تتصوروا قرارا قائما على الاستنكاف التام ؟؟ ان قرارا يقترن بالاستنكاف ليس حريا بان يعتبر ساقطا ، ولكنه مجلبة للعار والسخرية . وما أعظم شجاعة الشعب الجزائري ، وما أعظم تصميمه القوي حين استنكف عن الانتخابات ، في وجه ضغوط عسكرية ، وراءها نصف مليون جندي افرنسي .. حقا لقد كانت نتيجة الانتخابات امتحانا حاسما ، ومحكا قاطعا ، تجلى فيه بوضوح اين تتجه قلوب الجزائريين .. واين يرتبط ولاؤهم واين تتعلق آمالهم القومية .. ولو اننا نظرنا الى هذه الانتخابات في اطارها الصحيح ، لراينا انها كانت في حقيقتها تصويتا الى جانب الحرية والاستقلال ، وتصويتا ضد السياسة التي اتبعتها فرنسا منذ عام ١٨٣٠ الى يومنا هذا .

وليس هذا التقييم ، يا سيدي الرئيس ، بعيدا عن الصواب ، ان كل الدلائل والقرائن تنهض لاثبات صحته .. لقد أدينت الانتخابات من قبل جميع المراقبين المحايدين .. ولعلي اثقل عليكم اذا وضعت امامكم جميع ما عندي من البيانات في هذا الصدد .. ويكفي أن اشير الى القليل دليلا على الكثير .

قالت جريدة الاكسبرس في عددها الصادر في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٨ « ان الحقيقة أروع من الخيال ، ان القوائم المستخرجة من هذه المهزلة

الكاريكاتورية المسماة بالطريقة الديمقراطية ، كما صنعها الجنرال ديجول ، يستحيل على المرء ان يصدقها .. » وفي ٢٠ نوفمبر عادت الجريدة نفسها تقول « ان النتيجة الواضحة من هذه الانتخابات تمثل اول هزيمةكبرى لديجول ... وكذلك تتجلى نتيجة اخرى وهي انباريس ، كما في السابق ، لا تستطيع ان تحكم الجزائر . » أما جريدة النيويورك تايمز فقد ذكرت في عددها الصادر في ١٥ نوفمبر وان «الانتخاباتالجزائرية صورة اخرى عن مجموعة من الرجعيين وعملائهم المسلمين» .

كل هذا ، يا سيدي الرئيس ، صحيح تماما بالنسبة للانتخابات الا من ناحية واحدة ، ليس في الجزائر عملاء مسلمون ، كما ذكرتجريدة النيويورك تايمس .. ان العميل المسلم شيء غير موجود .. انالعميل لا يمكن ان يكون مسلما ، والمسلم لا يمكنانيكون عميلا . ان الاسلامهو الخضوع لله وحده ، ولا خضوع لسواه ، هذا هو الاسلام لفظا ومعنى.. انه دين السلام والحق والحرية .

ولقد استعرضت معكم الحل الافرنسي ، والاستفتاء الافرنسي والانتخابات الافرنسية .. واني اصر على الطابع الافرنسي في كلواحد من هذه الاجراءات .. كل شيء كان افرنسيا فيها ، من البداية الى النهاية .. وهنا يثور السؤال امامنا : ما الذي جاء بنا الى هنا ؟ ولماذا ادرج الموضوع على جدول الاعمال ؟ واخيرا ، ما هو الحل الذي نقترحه ؟

لقد جئنا بالقضية الجزائرية الى الامم المتحدة لان حربا طاحنة تدور رحاها على ارض الجزائر .. انها تدخل عامها الخامس .. وان المآسي الانسانية ما تزال على اشدها .. وسواء كان دما جزائريا او افرنسيا ، فانه دم الانسان الذي يسفك بغزارة على ارض الجزائر .. لقد اعلن الجنرال ديجول في بيانه في ٢٣ اكتوبر ، ان خسائر فرنسا في هذه الحرب ٧٢٠٠ بين ضابط وجندي ، وان خسائر الجزائريين ٧٧٠٠٠ قتيلا سقطوا في الميدان .. ولست ادري ما هي الصيغة التي تتبعها فرنسا عادة بالنسبة لخسائرها في الحرب ، قد تكون هذه الارقام بالنسبة للحقيقة العشر ، اكثر او اقل ، لا ادري .. ولكن الواقع ان الجنود الجزائريين يتساقطون بالالوف ، كما ان ضحايا الجزائريين ، فيما اعتقد ، اكثر من ٧٧ الفا .. وكائنة ما كانت الارقام ، فان الذي يعرف صحتها هو الله والقبور ، انها على كل حال ، دماء انسانية من

الجانبين ، يتصاعد نزيفها ويستمر كل يوم .. ولقد اقتصرت الحرب الى يومنا هذا على ارض الجزائر .. ولكن من يدري فقد يمتد نطاقها الى ما وراء الجزائر .. ومنذ بضعة اشهر وقعت احداث دامية بين تونس وفرنسا .. كما ان الجزائريين انفسهم قد فتحوا جبهة ثانية على ارض فرنسا بالذات ..

اما على الصعيد السياسي ، فقد وقعت تطورات هامة تستحث الامم المتحدة ان تبادر الى التوصل لحل القضية الجزائرية ، وهذه التطورات في نظرنا يجب ان تكون بمثابة انذار تنبه الامم المتحدة لتصحو من نومها وتتحمل مسئولياتها ..

ويجب عليّ بادىء ذي بدء ، ان اذكر ان عدة مؤتمرات اقليمية ودولية قد اكدت اهتمامها للقضية الجزائرية ، فيما بين ١٤ – ٢٤ ابريل انعقد في اكرا المؤتمر لاول للدول الافريقية المستقلة .. لقد اصدر المؤتمر قرارا يعترف فيه بحق الشعب الجزائري بالاستقلال ، ويدعو فرنسا الى الاعتراف بهذا الحق الطبيعي ، وان تسحب قواتها العسكرية من الجزائر ، وان تدخل في مفاوضات مع جبهة التحرير الجزائرية بغية الوصول الى حل عادل دائم .. واصدر المؤتمر كذلك نداء الى جميع اصدقاء فرنسا وحلفائها ، بان يمتنعوا عن تقديم اي عون لفرنسا ، مباشرة او غير مباشرة ، في حربها ضد الشعب الجزائري .

وفي ما بين ٢٧ – ٣٠ ابريل اجتمع مؤتمر دول شمال افريقيا في طنجة ، واصدر قرارا يعلن فيه حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال ، وتأييد نضاله في سبيل تحرير وطنه ، ويوصي بقيام حكومة جزائرية .

وفي ما بين ١٧ – ٢٠ يونيو، انعقد المؤتمر الثلاثي في تونس، من حكومتي المغرب وتونس وجبهة التحرير الجزائرية ، واصدر المؤتمر قرارا يرفض فيه اي سياسة فرنسية تقوم على اساس الادماج ، ويؤيد حق الشعب الجزائري في الحرب والاستقلال .

لقد كان هذا، ياسيدي الرئيس، ثورة عارمة في افريقيا كلها، تأييدا للشعب الجزائري في كفاحه البطولي لتحرير وطنه ..وقد عقب ذلك انشاء الحكومة الجزائرية المؤقتة .. للجمهورية الجزائرية بتاريخ ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٥٨

.. ولقد كان ذلك اليوم صفحة جديدة في مرحلة جديدة من تاريخ الكفاح الوطني الجزائري .. ولم تعد الحركة الجزائرية حركة عصاة ومتمردين .. انها حرب تحريرية منظمة .. يقودها جيش منظم ، تتبادل اسرى الحرب مع فرنسا .. ولقداعلنت الحكومة الجزائرية انها في حرب مع فرنسا .. وهي مستعدة ان تواصل الحرب الى النهاية ، ومستعدة كذلك ان تفاوض لتحقيق سلام عادل وشريف .. ولقد اعلنت الحكومة الجزائرية التزامها بميثاق الامم المتحدة واعلان حقوق الانسان واتفاقية جنيف .. وقد اعترف عدد من الحكومات بالحكومة الجزائرية ممثلة للشعب الجزائري .

ويثور امامنا السؤال الهام ، وما هو الحل ؟؟ ان الجواب بسيط على هذا السؤال ..ان الحل يسهل عرضه وشرحه .. هنالك ، يا سيدي الرئيس حل واحد ، وواحد فقط ، انه الحرية والسيادة والاستقلال للشعب الجزائري .. انه الحل الوحيد الذي يضمن السلام لافريقيا بأسرها .. انه الحل الذي يهيء قيام المغرب العربي الكبير ، في نظام اتحادي ترتضيه تونس والمغرب والجزائر ، وبهذا يتيسر ان تقوم العلاقات المنظمة بين فرنسا والشمال الافريقي ، واخيرا فان الحل السليم الذي يفتح المجال واسعا لتكريس عهد من الصداقة المشتركة بين فرنسا من جانب وجميع الدول العربية من جانب آخر .

وان مثل هذا الحل ، فيه استجابة كاملة لميثاق الامم المتحدة ، روحا ونصا ، وفيه تحقيق للامال القومية للشعب الجزائري ، وانصياع لتطلعات الاسرة الدولية .

ويصبح من واجب الامم المتحدة ان تعلن تأييدها لهذا الحل ، وهو في واقع الامر تأييد لذاتها وميثاقها .. ان استقلال الجزائر ، وتنظيم علاقاتها بفرنسا ، في اطار مفاوضات حرة ، هو مفتاح الموقف بأسره ، وهو السبيل السوي لتحقيق سلام دائم يقوم على العدل والحق .

وانني اركز على « السلام » ، لان استمرار الحرب هو البديل الذي لا بديل سواه، اذا لم تعملوا على تايد هذا الحل وتنفيذه .. ان الجزائر ، شعبا وحكومة ، مصممة على مواصلة القتال حتى النهاية .. وان النهاية هي النصر للجزائر ..

ولكن ماذا ينتظر فرنسا ، واوروبا ، والعالم الفربي ، اذا ما استمرت الحرب .. ان النتائج بالغة الخطورة .. بالنسبة لفرنسا ستتضاعف

التضحيات وسيتساقط الشباب الافرنسيون بالالوف ، وما كان أجدرهم أن يبذلوا دمائهم لقضية اشرف وانبل .. والتضحيات الاقتصادية والمالية ستؤدي الى افلاس الاقتصاد الافرنسي الذي ينوء الان تحت اعباء ضخمة.. ان نفقات الحرب الجزائرية قد استنفذت ، او كادت ، رصيدها الاجنبي .. وفي يناير من هذا العام اضطرت فرنسا ان تقترض ٦٥٥ مليون دولار من اتحاد المدفوعات الاوروبية ، ومن صندوق النقد الدولي ، ومن الولايات المتحدة ...

اما بالنسبة لاوروبا فان الاضرار كبيرة من غير شك ، وفضلا عن آثار الحرب الجزائرية على السوق الاوروبية المشتركة ، فانها تسد عليها طريق البترول الجزائري . لقد تنبأ المسيو جي موليه رئيس وزراء فرنسا السابق ان بترول الصحراء سيكفي ، في خلال عشر سنوات ، نصف حاجة اوروبا للطاقة والوقود .. ان البترول هو الثروة الطبيعية التي يملكها شعب الجزائر ، ولا يمكن ان يصل الى اوروبا ، الا بموافقة الجزائر الحرة .. الجزائر المستقلة ، ذات السيادة الكاملة .. ان جميع اعمال التنقيب والانتاج والتكرير والتسويق لا يمكن ان تتم الا بموافقة الحكومة الجزائرية .. ان شركات البترول العالمية تقدم على مغامرة خطيرة اذا لم تدرك هذه الحقيقة .. والواقع ان جيش الجزائر ، قد قام باكثر من مناسبة ، بتدمير المنشآت البترولية في الجزائر ، واذا استمرت هذه الحرب ، فسيستمر معها تدمير المنشآت البترولية ، وستظل هدفا عسكريا ما بقيت الحرب .

وبالنسبة للعالم الغربي ، فان استمرار الحرب سيجلب عليه مضاعفات خطيرة ، ان خسائر فرنسا هي خسائر للعالم الغربي ، ولدول حلف الاطلنطي، وتؤدي بالنهاية الى فقدان التوازن في اوروبا .. اذا استمرت الحرب الجزائرية فستكون النهاية خرابا على فرنسا .. لقد كانت الحرب الجزائرية سببا من الاسباب الرئيسية في نهاية الجمهورية الافرنسية الرابعة .. ان القضية الجزائرية هي التي جاءت بالجنرال ديجول من العزلة التي كان يقضيها في ضواحي باريس ، لينقذ فرنسا من حرب اهلية طاحنة .. وان القضية الجزائرية كانت كذلك من الاسباب الرئيسية لانبثاق الجمهورية الافرنسية الخامسة .

واذا لم تحل القضية الجزائرية كما ينبغي ، فما هو المصير ؟؟ سنرى نتيجتين لا محالة ، الاولى انتصار الشعب الجزائري وانتزاعه لحقه في الحرية والاستقلال ، والثانية هزيمة فرنسا ، هزيمة محتومة ستؤدي الى نهاية

الجمهورية الافرنسية الخامسة ، وسيعود الجنرال ديجول الى عزلته ليكتب الفصل الاخير من مذكراته .. والله وحده يعلم ما تأتي به الاقدار بعد ذلك..

هذه هي الصورة كما نراها .. النصر للجزائر .. والهزيمة لفرنسا .

ولكن ، يا سيدي الرئيس ، ان الطريق ما يزال مفتوحا امامكم ، لحل سلمي شريف عادل ، يصل اليه الطرفان نتيجة لمفاوضات حرة بين فرنسا والجزائر .. ان الجزائر لا تريد ان تهزم احدا ، كل ما تريده الجزائر ان تبلغ حريتها واستقلالها ، وان تعيش بأمن وطمأنينة واستقرار ، وقد اعلنت عن رغبتها الصادقة في السلام .

وليس يبقى على الامم المتحدة ، الا ان يكون قرارها في جانب السلام ، ضد الحرب ، ومع الاستقلال ضد الاستعباد ، وانتصارا للكرامة الانسانية ضد المذلة والهوان .

ونحن ندعو الله ان تصغي فرنسا لنداء السلم والعدل والكرامة .

الرئيس ديجول
يخون الجنرال ديجول

(١ ديسمبر سنة ١٩٥٩)

بين جميع قضايا الامم المتحدة ، هنالك قضية فريدة ، تتطلب اكثر من غيرها مقدمة مسهبة ، هي قضية الجزائر .. ورغما عن خطورة هذه القضية ، وما تنطوي عليه من مآسي انسانية ، بل رغما عن تصاعد الحرب التي تدور رحاها بين فرنسا من جانب والشعب الجزائري من جانب آخر ، فان هذه القضية تحتاج الى مقدمة ، لان الطرف الآخر في هذه القضية هو الحكومة الافرنسية والحساسية الافرنسية ..

ولقد عالجت الامم المتحدة في دوراتها الاربعة عشر الماضية كثيرا من القضايا الدولية الخطيرة ، كوريا في ذروة حدتها ، وهنغاريا في قمة ازمتها ، وسيناء في اوج شدتها ... ورغما عن ان هذه القضايا قد احاطت بها اجواء رهيبة من التوتر ، الا ان الامم المتحدة قد عالجتها بكل تؤدة وروية .. ولكن حين دعيت فرنسا لتمثل امام الامم المتحدة ، لتؤدي الحساب عن القضية الجزائرية ، انطلقت صفارات الانذار في قاعات الامم المتحدة : ان فرنسا مفرطة الحساسية ، ان فرنسا في غاية القلق ، هذا ما لا يمكن ان تتحمله فرنسا ، هذا عمل عدائي ضد فرنسا ، كل من يصوت ضد فرنسا فانه عدو لفرنسا ، قد تنسحب فرنسا من الامم المتحدة ـ وهذه الانذارات وامثالها ، قد ترددت هنا في الامم المتحدة ، كلما جئنا بالقضية الجزائرية الى الامم المتحدة .

ورغما عن ان هذه الانذارات كانت تعبر دائما من غير اصغاء لها ، الا انه كان واضحا ما وراءها من الذكاء .. ان فرنسا تعرف مكانتها في تاريخ الانسانية .. ان فرنسا تعرف امجاد الثورة الافرنسية .. ان فرنسا تعرف روعة فنها ، وجمال شعرها ، وثراء تقاليدها .. ان فرنسا تعرف جاذبيتها

وسحرها وفتنتها .. وأن فرنسا بهذه الكنـــوز الرفيعة تسعى جاهدة أن تتجنب الحساب امامكم ، أو ان يلتمس منها تقديم الحساب .

نحن نعرف كل هذا عن فرنسا ، وكنا نجد فيه اغراءا كبيرا ، يكاد يجعلنا نستسلم امام العواطف الافرنسية والحساسية الافرنسية .. ولكنه لم يغب عن خاطرنا كذلك ، ان القضية الجزائرية مشحونة بالعواطف والحساسيات الانسانية ، على مستوى أعلى ، وصعيد ارفع ..

ان القضية الجزائرية لها عواطفها واحاسيسها .. لها تجاربها الاليمة ومآسيها القاسية ، وان لها كذلك الحوافز الانسانية ، على اشد ما تكون لهفة وشوقا لتحقيق السلام والحق والعدل ، بل ان لها كذلك تاريخها الطويل ، لمئة وخمسين عاما تميزت بالحرب ، واليتم ، والثكل ، والخراب ، والقمع والارهاب .. كل هذه المآسي تعيش في صميم القضية الجزائرية ، بكل ما تثيره من احاسيس الثار والانتقام والكراهية ..

ولكني اؤكد لك ، يا سيدي الرئيس ، اننـــا جئناكم في العام الحالي لنبحث القضية الجزائرية ، دون ان نحمل معنا ملفات الماضي الرهيب ، ومن غير رغبة في الاتهام او الادانة .. ان الحالة في الجزائر ، حتى هذه الدقيقة ، تقشعر لها الابدان .. ولكنا عازمون ان لا نثير هذا الموضوع .. وكنا في شهر اغسطس ، قد صممنا ان نتقدم الى الامم المتحدة بالشكوى ضد فرنسا ، بتهمة ابادة الجنس ، وان نطالب بايفاد لجنة تحقيق .. لقد فكرنا في هذا وفي اكثر من هذا .. ولكننا جئنا اليوم ، لنعلن اليكم اننـــا سنتوقف عن هذه الاجراءات في اللحظة الحاضرة .. لقد قررنا ان نطوي ، لا ان ننشر شيئا من جوانب الحالة الحاضرة في الجزائر ، رغما عن احداثها المثيرة ... وسنلـزم انفسنا ان نظل في الحدود التي رسمها الجنرال ديجول في بيانه الذي اصدره في شهر سبتمبر من هذا العام ..

ولكني يا سيدي الرئيس ، ارى لزاما علي أن امهـــد بمقدمة قبل ان اتناول بيان الجنرال ديجول ، ان الجنرال ديجول ، كافرنسي وكبطل عظيم ، لا يخلو من حساسيات معينة .. ولكن القضية الجزائرية لها حساسياتها كذلك .. والامم المتحدة ، وهي مدركة لمسؤولياتها الدولية لها حساسياتها كذلك ..

ان القضية الجزائرية هي قضية الامم المتحدة ، ناقشتها في كل دورة من دوراتها ، منذ عام ١٩٥٥ ، وفي الدورتين الحادية عشر والثانيــة عشر ،

أعربت الامم المتحدة بالاجماع عن قلقها البالغ لاستمرار الصراع في الجزائر ، ودعت الى ايجاد حل للقضية الجزائرية ، يقوم على اساس ميثاق الامم المتحدة ومبادئها .. ولكن فرنسا لم يقلقها قلق الامم المتحدة ، ولم تستجب لرغبة الامم المتحدة في ايجاد حل للقضية الجزائرية ، وفق مبادىء الميثاق واهدافه .. ولهذا فان الامم المتحدة ، لا فرنسا ، هي التي يجب ان تشعر ان كرامتها قد ثلمت ، وان سلطتها قد استبيحت ..

ولكن يا سيدي الرئيس ، ليس هذا وقت تصفية الحساب ، وليس هذا وقت ادانة المخطىء ومكافأة المصيب .. نحن نؤثر ان ننظر الى الامام.. ان ننظر الى مستقبل يطوي ذكريات الماضي ، ويشفي الجراح ، الى مستقبل يبني الثقة والصداقة .. وبدافع من هذه الروح الخيرة ، سنبدأ من اليوم السادس عشر من ايلول سنة ١٩٥٩ ، وهو اليوم الذي اعلن فيه الجنرال ديجول سياسته التي يعترف فيها بحق الشعب الجزائري في تقرير المصير .. اجل سنبدأ من عام ١٩٥٩ لا من عام ١٨٣٠ ، من عام الاعتراف بحق تقرير المصير ، لا من عام انتهاك حق تقرير المصير .

ان بيان الجنرال ديجول ، فيما يشبه الالغام ، يحتوي على مواد متعددة ، فيها مواد الانفجار وما تثيره من دخان وغبار .. وكذلك بيان الجنرال ديجول تكمن مواده المتفجرة في سديم من الغبار والدخان .. ولكننا لا ننكر الى جانب ذلك ان جوهر البيان هو مبدأ تقرير المصير .. ولسنا في حاجة لان نرحب بتطبيق هذا المبدأ على القضية الجزائرية ، ذلك ان هذه القضية منذ ان ادرجت على جدول اعمال الامم المتحدة ، وهي تعتمد في كل مناقشاتها على مبدأ تقرير المصير .. بل انني استطيع القول ان الحرب الجزائرية قد قامت اصلا من اجل تقرير المصير .. واصبح هذا المبدأ سبب وجودها واستمرارها ، وغدا شعارها وعلمها .. يضاف الى ذلك ان حكومة الجزائر المؤقتة قد اعتمدت مبدأ تقرير المصير كقاعدة اساسية في برنامجها القومي ، ذلك ان الجزائر حكومة وشعبا ترى في تحقيق تقرير المصير ، تحقيقا لامالها القومية ، في الحرية والسيادة والاستقلال ..

ولقد اشار الجنرال ديجول في مقدمة بيانه السياسي الى حرية الاختيار ، عن طريق استفتاء شعبي ، واصفا اياه بانه خير طريق يجدر اتباعه .. واننا نرحب كذلك بان يمارس الشعب الجزائري حرية الاختيار ، ممارسة سليمة تتسم بالديمقراطية الصحيحة .

ومن أجل ذلك أصبح من واجبنا أن نتابع الجنرال ديجول في بيانه ، لنرى تصوره لحق تقرير المصير ، ومبدأ حرية الاختيار ، واسلوب الاستفتاء الشعبي .

قال الجنرال ديجول في بيانه « اذا قدر اللـه لي الحياة ، انني الزم نفسي بان اسأل الجزائريين ماذا يريـدون في النهاية ، وان اطلب الى الافرنسيين ان يؤيدوا ما يختاره الجزائريون » ..

وان الامر لا يحتاج الى عبقرية ، للتعرف على معنى هـذا الكلام الذي تفوه به الرئيس ديجول ، فهذا ليس حـق تقريـر المصير ولا مبدأ حرية الاختيار .. لقد اعلن الجنرال ديجول ان مـا يختاره الجزائريون ، يصبح نافذا ، ولكن يجب ان يؤيده الافرنسيون .. هذا هو جوهر بيـان الرئيس ديجول ، ويتضح من هذا بكل جلاء ، ان مستقبل الجزائـر ستقرره فرنسا لا الجزائر .. وان الخيار هو بيد فرنسا لا بيد الجزائر .. ولكن المستقبل الذي يعنينا هو مستقبل الجزائر نفسها ، وان حرية الاختيار التـي نبحث عنها ، هي اختيار الجزائر من قبل الجزائر بالذات ، وهذا هو جوهر القضية الجزائرية ... وان الذي عرضه الجنرال ديجول يعطي فرنسا الحـق بـان تقرر مصير الجزائر .. والقضية التي نحـن بصددها هـو حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ، بنفسه ، بارادتـه ، باختياره .. وان اقل مـا نصف فيه بيان الجنرال ديجول ، انه يعرض حرية الاختيار مـن غير حرية ، ويعمل على افساد المصير تحت شعار تقريـر المصير ، ويطلب الاستفتاء الشعبي من شعب آخر ..

وان الخطر كل الخطر يكمن في اكثر من موضع واحد في بيان الجنرال ديجول ، ويتجلى ذلك اكثر ما يتجلى في طريقة الانتخابات مـن ناحية وفي توقيت الانتخابات من ناحية اخرى ، لقد اعلن الجنرال ديجول ان الجزائريين سينتخبون كافراد .. « لانه منذ بدء الخليقة » ، كما قال الجنرال ديجول ، « لم تكن في الجزائر وحدة حقيقية » ، ان هذا الكلام هو الخرافةبعينها .. ان هذه الحجة ليست جديرة برجل عظيم مثل الجنرال ديجول .. واذا كان علينا ان نرجع عبر القرون ، لنقتفي آثار الوحدة الوطنية لكثير من الشعوب، منذ بدء الخليقة ، لوجدنا ان امر فرنسا نفسها مشكوك فيه كثيرا ، وسيجد الجنرال ديجول نفسه ، وهو يشرب الكاس التـي اعدهـا لغيره ... ان الجزائر وحدة ترابية كاملة .. وان شعبها لواحد ، واذا دعوا الى التصويت

فلا يصوتون كأفراد ولكن يصوتون أمة واحدة .. أن حق تقرير المصير تملكه الامة بأسرها ولا يملكه الافراد في معزل عن امتهم .. وان الشعب الجزائري يعرف تماما ماذا يخبيء الجنرال ديجول وراء فكرة تصويت « الافراد » ، ان وراء ذلك تزييف المصير تحت ستار تقرير المصير .. وان الشعب الجزائري اذكى من ان تجوز عليه هذه الخدعة .

اما فيما يتعلق بزمن التصويت ، فان الجنرال ديجول قد وضع توقيتا مثيرا للعجب والدهشة .. يقول الجنرال ديجول في بيانه انه سيحدد زمن الانتخابات « بعد اربع سنوات ، على اقصى تقدير ، من عودة السلام بصورة فعلية ، بحيث لا تتجاوز الضحايا في الارواح مائتي قتيلا .. » ولست يا سيدي الرئيس اريد ان ادين هذا الجدول الزمني بانه يثير السخرية ، لانه هو السخرية بعينها ، مجسدة في هذه الآراء .. ان الانتخابات مشروطة بشروط ساخرة مضحكة .

وانتم تعلمون من غير شك ان الشعب الجزائري ليس من السذاجة ، بحيث يلقي السلاح ، ثم ينتظر اربعة اعوام الى ان تنزل عليه رحمة الجنرال ديجول .. واذا كان احد يظن السذاجة في الشعب الجزائري ، فانه ساذج بنفسه ، وعريق السذاجة !!

ولكن الهزء الصارخ ، ان يجعل الجنرال ديجول الحد الاقصى بمائتي قتيل في العام الواحد ، كشرط اولي للشروع في الانتخابات .. ولا ندري باية قاعدة حسابية توصل الجنرال ديجول الى هذا الرقم الظريف ؟.. وعلى اي اساس استطاع الجنرال ديجول ان يقيّم الحياة الانسانية ..؟ واية رياضيات ميتة اوصلت الجنرال ديجول الى ارقام الموتى ؟.. نحن نعلم ان بين « المعمرين » الافرنسيين نفرا من المتعطشين الى الدماء ، من الذين يروق لهم ان يتجاوزوا هذا الحد الاقصى الى الفين او يزيد ، وبهذا تتعطل عملية الانتخابات ، ويمكن ان تتعطل الى الابد ..

لا يا سيدي الرئيس ، نحن نرفض هذا الجدول الزمني ، نحن نرفض ان ترتبط الانتخابات بعدد محدد من القتلى ، وبعدد محدد من السنين، يبدو لنا ان الرئيس ديجول قد خان الجنرال ديجول ، البطل العظيم الذي حارب من اجل حرية بلاده ..

على اننا لو اقتربنا من الصورة كما رسمها الجنرال ديجول ، لافزعتنا التفاصيل .. صحيح ان الجنرال ديجول قد قرر اولا مبدأ تقرير المصير ،

ولكنه حين يسرد التفاصيل نجد انفسنا امام صورة مهتزة قلقة. ان التفاصيل تخون المبدأ .. وان وسائل التطبيق التي اقترحها الجنرال ديجول تقضي على مبدأ تقرير المصير .. ويبدو لنا الجنرال ديجول وقد واد طفله في لحظة مولده .. وكل ما نجده الان جثة هامدة لتقرير المصير ، ملقاة على عتبات الامم المتحدة .. هذا هو المشروع الافرنسي ، وربما تسابق بعضكم الى العتبات ليرحبوا بالمشروع الافرنسي ، ولكنهم ستصيبهم خيبة الامل ، حينما يرون ان هذا الوليد هو جثة فارقتها الحياة ، عند اول نفس من انفاس الحياة !!

ولا تحسبوا ان قولي هذا هو من باب المجاز او الخيال .. انه الحقيقة بعينها .. فتعالوا معي ندرس الخيارات الثلاثة التي اعلنها الجنرال ديجول في المشروع الذي يقترحه لتسوية القضية الجزائرية ...

اولا : الانفصال (اي الاستقلال) .. وقد وصفه الجنرال ديجول بانه « خراب ودمار ، ولا يمكن تصديقه ، وهو يحمل في طياته الفقر المدقع ، والفوضى السياسية الرهيبة ، والمذابح الشاملة ، وديكتاتورية عسكرية شيوعية .. » .

ثانيا : الفرنسة او الاندماج ، ووصفه الجنرال ديجول بانه يمنح المساواة مع الافرنسيين ، في الرواتب والمسئوليات ، والوظائف ، والضمان الاجتماعي ، ومجموعة من الامتيازات .

ثالثا : الاتحاد مع فرنسا ، وقد وصفه الجنرال ديجول بان يقدم للجزائر معونات اقتصادية وعسكرية واجتماعية .

وغني عن البيان ، يا سيدي الرئيس ، ان الجنرال ديجول بعروضه هذه ، وكما عرضها ، لا يفتح المجال امام الشعب الجزائري ليمارس الاختيار ، وبكل حرية الاختيار .. ان الانفصال ، قد سخر منه الجنرال ديجول بانه يؤدي الى الاستقلال .. عرضه الجنرال ديجول على الشعب الجزائري ، مع التهديد بالكوارث والفقر والخراب والمذابح .. وليثير مخاوف الغرب ، فقد اشار الجنرال ديجول الى ان الاستقلال في الجزائر ، سيفضي الى قيام ديكتاتورية عسكرية شيوعية .. والجنرال ديجول يذهب ابعد من ذلك ، انه يشهر سيف التقسيم على رقاب الشعب الجزائري .. انه يهدد بتقسيم الجزائر ، والحاق الصحراء بفرنسا ، وبهذا تفقد الجزائر اهم ثرواتها الطبيعية .. فاذا كان الشعب الجزائري سيجد نفسه معرضا لهذا التهديد

والوعيد فاين هي حرية الاختيار ، خاصة اذا كانت عملية الاختيار ستقوم تحت اشراف الادارة الافرنسية ، وعلى هذا فان الخيارات الثلاثة التي يعرضها الجنرال ديجول ترسو على خيار واحد ، يفرضه التهديد والوعيد ، وهو الاندماج بفرنسا ، او استقلال هزيل يعيش في كنف فرنسا ، بعد تقسيم الجزائر الى دويلة هنا ودويلة هناك .

اذا كنا جميعا نتفق مع الجنرال ديجول على مبدأ تقرير المصير ، كقاعدة اساسية لتسوية القضية الجزائرية ، فان الامر لا يحتاج الى فلسفة معقدة ولا الى اساليب ملتوية .. بكل بساطة ووضوح وايجاز ، يجب ان يمارس الشعب الجزائري حرية الاختيار ، في استفتاء شعبي ديمقراطي ، في جو كامل من الحرية .. وان اول شروط الحرية لهذا الاستفتاء ، ان لا يكون لفرنسا دخل فيه ، فلا يتم تحت ادارتها واشرافها .. بل يجب ان يتم تحت اشراف الامم المتحدة ..

ولقد اعلن الجنرال ديجول انه سيدعو « المراقبين من كافة انحاء العالم ليشهدوا اجراءات الاستفتاء .. » ونحن نرى ان حضور المراقبين لا يستجيب لمقتضيات العدالة ، ولا يرتفع الى مستوى هذا الحدث التاريخي الهام .. واذا كان الجنرال ديجول يعني ما يقول حقا وصدقا ، ويعني استفتاءا حرا ، تتجلى فيه كل معاني الديمقراطية الصحيحة، فليس امامه الا طريق واحد ، وهو ان يعهد الى الامم المتحدة بالاشراف على عملية الاستفتاء.

ولا شك ان الحكومة الجزائرية من جانبها توافق على هذا الاستفتاء في اطار الامم المتحدة .. بل انني استطيع ان اعلن باسم الحكومة الجزائرية انها توافق سلفا على نتيجة هذا الاستفتاء .. ان الجزائر مستعدة ان تلتزم بهذه النتائج مهما كانت .. انها ترضى بالاندماج بفرنسا ، او بالاتحاد مع فرنسا.. اذا كانت هذه نتيجة الاستفتاء ، بشرط ان يكون استفتاء تحت اشراف الامم المتحدة .. وبهذا فاننا نتحدى فرنسا ان توافق على الاقتراح.. وعلى فرنسا ان تستجيب لهذا التحدي اذا كانت تملك الشجاعة لقبوله !!

واذا رضي الجنرال ديجول بدور الامم المتحدة في القضية الجزائرية ، على هذا الاسلوب الذي اقترحناه ، فان الحكومة الجزائرية من جانبها ، مستعدة ان تبحث مع فرنسا شروط وقف اطلاق النار .. وسوف لا تقتصر النتيجة على تحقيق التهدئة التي اخفقت فرنسا ، وستظل تخفق ، في بلوغها .. بل سيكون السلام ، والسلام الدائم بكل بركاته وخيراته .. وستظل فرص السلام قائمة ، وفرص الحرب ستظل قائمة كذلك اذا ما بقيت فرنسا

ماضية في عنادها ، ممتنعة عن الدخول في مفاوضات حرة مع الحكومة الجزائرية .. وعلى فرنسا تقع المسئولية ، كما ستقع عليها الهزيمة .. حقا انها معركة ضارية قاسية تقف فيها مع فرنسا جميع حلفائها واصدقائها .. ولكن الجزائر يقف في ميادينها ابطال الشعب الجزائري ويقف معهم جميع الشعوب المحبة للحرية في العالم .

ولقد اعلن الرئيس ديجول في بيانه قائلا « ان الطريق مفتوحة .. ولقد اتخذنا قرارنا .. وان العملية جديرة بفرنسا » فاذا كان الجنرال ديجول حريصا ان تكون هذه العملية جديرة بفرنسا ، فما عليه الا ان يسلم هذه العملية الى الامم المتحدة ، لتنفيذها بموجب كل التقاليد والاعراف التي تستحقها هذه العملية .. اما اذا كان الجنرال ديجول يقصد بهذه العملية الاستهلاك الدولي ، في هذه المنظمة الدولية ، « ليخطف » بعض الاصوات الى جانبه ، فستكون هذه العملية جديرة بفرنسا كما اعلن الجنرال ديجول ، ولكنها ليست جديرة بالامم المتحدة ، حيث يجب ان تسود تقاليد الحق واعراف العدالة .

ويبدو واضحا ، يا سيدي الرئيس ، ان بيان الرئيس ديجول ، في اسسه لا في تفاصيله جدير بالترحيب ، ونستطيع ان نعتبره نصرا لقضية الحرية .. واذا امكن تحقيقه ، بأسسه لا بتفاصيله ، فان النصر يعود الفضل فيه الى ثلاثة ، الى الجزائر اولا ، الى الامم المتحدة ثانيا ، والى الجنرال ديجول ثالثا ، ولكل نصيبه في هذا النصر ، قدر الدور الذي لعبه وساهم فيه .. ان الشعب الجزائري بالتضحيات الغاليات التي بذلها ، وبالكفاح الدامي الطويل الذي خاضه عبر مئة وخمسين عاما ، يقف في ميدان النضال منفردا بمفاخره ، لا ثاني له ، ان الحكومة الجزائرية منذ اللحظة الاولى لمباشرتها مهامها الوطنية قد اعلنت عن رغبتها للوصول الى تسوية سلمية للقضية الجزائرية ، في نطاق مفاوضات حرة تستهدف تحقيق تقرير المصير ..

اما بالنسبة للامم المتحدة ، فان جميع الدول الاعضاء لم يدخروا جهدا في سبيل الوصول الى حل للقضية الجزائرية ، يقوم على مبادىء الميثاق واهدافه .. وفي الدورة الاخيرة اقرت منظمتكم ، توصية حاسمة تدعو فرنسا والجزائر الى الشروع في مفاوضات حرة بين فرنسا والجزائر ، تستهدف تسوية القضية الجزائرية تسوية شريفة عادلة .

اما الرئيس ديجول ، فلا ريب ان له دورا في الانجازات التي اقترنت بالقضية الجزائرية ، هذا اذا تخلى عن غضبته العارمة على الاستقلال .. ان

الجنرال ديجول ، وهو بطل من ابطال التحرير ، لا يستطيع ان يحبس لمدة طويلة اعجابه بالشعب الجزائري ، حين يناضل من اجل حريته واستقلاله . . والى جانب هذا فانه ليس لنا ان ننسى ان الجنرال ديجول تربطه زمالة السلاح بالمجاهدين الجزائريين ، ففي الحربين العالميتين قاتل الجزائريون ليردوا لفرنسا شرفها ، وليصونوا حريتها ، بل ليحفظوا عليها وحدتها . . واخيرا لا اخرا ، ان الجنرال ديجول يعرف ، كاي جندي عظيم ، انه مهما طال الامد على حرب التحرير الجزائرية ، فان النصر سيكون حليف الجزائريين ، والهزيمة حليفة فرنسا . . ذلك هو المصير المحتوم الذي لا رد لكلمته . .

واذا كان لبيان الرئيس ديجول مزاياه ، فانه ، يا سيدي الرئيس ملىء بالمعايب ، والمعايب الكثيرة ، ولا يتحمل الشعب الجزائري ، ولا الامم المتحدة اية مسئولية عن الجوانب المظلمة في بيان الرئيس ديجول . . ان المسئولية تقع على كاهل باريس ، فهي التي صنعت هذه المعايب ، وباريس ما تزال شوارعها تئن تحت اقدام العسكرية الاستعمارية . .

لقد اعلن الرئيس ديجول في بيانه السياسي قائلا « سنعمل على الوصول الى حل للقضية الجزائرية بما يتفق مع تقاليد شعبنا العظيم ، واعني بذلك ان الشعب الجزائري سيختار مصيره ويحدد مستقبله . . » وهذه الكلمات الرفيعة التي تفوه بها الجنرال ديجول ، يجب ان تتبوأ مكانا رفيعا في سجلاتنا . . وليس هنالك ما هو اشرف ، ولا انبل من هذه الكلمات الشريفة النبيلة . . وان فرنسا ستكون عظيمة حقا ، بل اعظم مما قال ديجول ، اذا كان الشعب الجزائري سيجد امامه الفرصة الكاملة لحرية الاختيار ، بعيدا عن اي وعيد وتهديد ، وبعيدا عن اي وعد واغراء . . وسيفتح التاريخ اروع صفحاته للجنرال ديجول ، كاعظم بطل حقق الحرية لفرنسا ، واعترف بالحرية للجزائر . .

ولقد احسن الجنرال ديجول ، حين عرض في بيانه السياسي مختلف الحلول التي تخطر على باله ، انه اعلن بانه سيطرح للتصويت « الاستقلال والادماج والاتحاد ، ليختار الشعب الجزائري واحدا من هذه الخيارات الثلاثة » . . اننا نثني على الجنرال ديجول انه عرض الامر بهذا الوضوح ، ونحن لا نبخل على الجنرال ديجول بالثناء حين يستحق الثناء . . واذا استطاع الشعب الجزائري ان يختار بحرية كاملة ، وان يطرح صوته بحرية كاملة ، فان الجنرال ديجول سيكون بطل الثورة الافرنسية المعاصرة ، ثورة

لها كل امجاد الثورة الافرنسية ، ولكن من غير خرائبها ودمارها ومظالمها ..

ولكن علينا ان نقترب من هذه الصورة الباهرة التي رسمها لنا الجنرال ديجول في بيانه السياسي ، ولننعم النظر فيها بعين ذكية فاحصة ، ولنتأمل ظلالها والوانها بصبر واناة ..

وكلما اقتربنا من الصورة تجلت امامنا تناقضاتها الخطيرة ، ففي الوقت الذي يعترف فيه بحق الشعب الجزائري في تقرير المصير ، ينكر وجود الشعب الجزائري كأمة لها مقوماتها الوطنية ، وبهذا فانه يعرض حق الاختيار لشعب لا يعترف بقومية ، كما يعرض حق الاختيار لوطن لا يعترف له بالوحدة الاقليمية ..

وفي نظر الجنرال ديجول فان الشعب الجزائري من غير كيان قومي ، والوطن الجزائري من غير وجود سياسي .. لقد تحدث الرئيس ديجول عن الجزائر على اعتبار انها لجميع الناس دون ان تكون للشعب الجزائري .. لقد كانت الجزائر عرضة للغزوات المتعاقبة ، كما قال الرئيس ديجول ولم يكن لها كيان سياسي .. وانني احسب ان خير طريقة لعرض هذه الآراء المشوشة ، هي ان اقرأ لكم كلمات الرئيس ديجول نفسه : قال الرئيس ديجول « لم تكن هناك سيادة جزائرية .. ان القرطاجيين والرومان ، والفاندال ، والبيزنطيين ، والعرب السوريين ، والاتراك والافرنسيين ، قد تغلغلوا واحدا بعد الاخر في الجزائر دون ان تكون هناك دولة جزائرية ، ولذلك فان حرية الخيار ستعرض على الجزائريين كأفراد .. » .

ان هذه الاسس التي يبني عليها الجنرال ديجول مشروعة السياسي ، هي غاية في الضعف والهزال ، ولا بد ان تدفع مشروعة الى الانهيار .. ان حق تقرير المصير هو حق تملكه الشعوب كبيرها أو صغيرها ، هذا هو ميثاق الامم المتحدة نصا وروحا .. ان الافراد ليس لهم ان يمارسوا حق تقرير المصير الا بوصفهم اعضاء في امة واحدة ، والا رجعنا الى المرحلة البدائية التي سبقت نشوء الشعوب والامم ، واذا كان الجنرال ديجول امينا في كلامه عن تقرير المصير ، فيجب عليه اولا وقبل كل شيء ، ان يعترف للشعب الجزائري بحقه كشعب واحد .. والا فان حق تقرير المصير يكون اسطورة جميلة .. ثم ان الجنرال ديجول قد اشار الى القرطاجيين والرومان ، والفاندال ، والبيزنطيين ، والعرب السوريين ، وعرب قرطبة ، والترك ، والافرنسيين ، وغزواتهم على الجزائر ، وكانما اصبحت هذه الارض موئلا

للغزاة يتعاقبون عليها ، وكأنما اصبح دور الجزائريين ان يستقبلوا هؤلاء الغزاة ، ويهيئوا لهم معسكراتهم ، ليقيموا فيها آمنين مطمئنين .

واني مع احترامي للرئيس ديجول ، فليس لي الا ان ابادر الى القول ، ان هذا الكلام يدل على سطحية مفضوحة في الوقائع التاريخية والفهم السياسي .. وما اظن انني بحاجة ان اضع امامكم جميع الاسانيد التاريخية والقانونية التي تثبت سيادة الجزائر ، كدولة حرة مستقلة كانت في عام ١٨٣٠ تشارك مع بقية الدول ضمن العلاقات الدولية المعروفة ، فقد اوفيت هذا الموضوع حقه في الدورات السابقة .. ولست كذلك بحاجة الى ان اذكركم بان فكرة الدولة في مفهومها المعاصر ، انما هي حديثة حداثة الفكرة القومية ، تلك الفكرة التي ارسلت صيحاتها الداوية بعد تفتت الامبراطوريات العظمى التي كانت تجمع بين ذراعيها معظم شعوب العالم .. ان الدول القائمة الان هي حديثة كأي اختراع حديث .. ولماذا اذهب بعيدا في البحث عن الدليل، ان ما لا يقل عن سبعين دولة من الدول الممثلة في الامم المتحدة لم تكن موجودة قبل مئتي عام .. واجيلوا الطرف فيما بين صفوفكم تتجسد امامكم الحقيقة الصارخة ... ان هولندا قد استقلت في عام ١٥٧٩، وبلجيكا في عام ١٨٣٠ ، والولايات المتحدة في عام ١٧٧٦ ، والبرازيل في عام ١٨٢٢ ، ودول امريكا الجنوبية في عام ١٨١٠ ، وان دول البلقان ، والدول الافريقية والاسيوية ، قد ظفرت باستقلالها في هذا القرن الذي نعيش فيه ، بعد حروب بطولية تبعث على الاعجاب والتقدير .

ولننظر ماذا تم في عهد الامم المتحدة ، لقد انضم الى عضوية الامم المتحدة عدد وافر من الدول لم تكن دولا قبل ذلك .. وكان بعضها الى عهد قريب تحت حكم فرنسا المباشر .

اما الفزوات التي تعرضت لها الجزائر كما سردها الجنرال ديجول ، فاني آسف ان يضعها الجنرال ديجول امامكم كحجة ضد سيادة الجزائر .. لقد كانت الحروب والغزوات جزء من تاريخ العلاقات الدولية في كل ارجاء العالم .. ان تاريخ اوروبا ، ويشمل ذلك فرنسا بالتأكيد ، كان تاريخ غزوات وغزوات مضادة في مراحل متعددة من التاريخ .. ان جميع الغزاة الذين سردهم ديجول قد غزوا فرنسا كما غزوا الجزائر .. وان العرب الذين اشار اليهم الرئيس ديجول قد غزوا فرنسا ، وتوغلوا فيها حتى وصلوا الى بوردو

.. ولكن هذه الوقائع التاريخية لا تنفى وحدة الوطن الافرنسي ولا وجود الشعب الافرنسي كامة واحدة ، ان ذلك ينطبق تماما على الجزائر .. تعرضت لموجات من الغزو الاجنبي ، ولكنها بقيت محتفظة بوجودها القوي، واحدة من الشعوب العربية ، التي تؤلف في مجموعها الامة العربية .. وترابها جزء من الوطن العربي الكبير .. ان الحقيقة الثابتة ان الجزائر عربية كما ان فرنسا افرنسية .. وان هذه الحقيقة الاساسيةالتييجبان يبنى عليها اي حل للقضية الجزائرية ، يمكن ان يكتب له النجاح ..

غير اننا ، يا سيدي الرئيس ، لا بد لنبلغ هذه النتيجة ، التي نتطلع اليها بكل اخلاص ، ان يكون بيان الرئيس ديجول والسياسة التي يستهدفها، متسما بروح الاخلاص ... يجب ان نتأكد ان الخيار الذي سيطرح على الشعب الجزائري ، صادقا وامينا وحرا .. ويؤسفنا ان نعلن امامكم ان الخيار الذي عرضه الجنرال ديجول مصنوع من خامات ضعيفة ، انه يشكو مرض فقر الدم ، فضلا عن انه ينقصه الوضوح .. ثم ان الجنرال ديجول ، في شرحه للحلول الثلاثة قد « استقطر » حرية الخيار وانتزع منها الحرية . الى اخر قطرة منها .. لقد عرض الجنرال ديجول من ناحية نظرية ثلاثة حلول ، ولكنه في الواقع قد صب جام غضبه على الحل الاول ، الاستقلال ، ودعا الى قبول الاثنين الاخرين بحرارة وحماسة .. لقد قال عن الاستقلال ، وهو الحل الاول ، ما يلي « ان فرنسا ستتخلى عن الجزائريين الذين يختارون الانفصال عنها .. ، ومن غير فرنسا سينظمون الاقليم الذي يعيشون فيه ، والموارد التي تكون تحت تصرفهم ، والحكومة التي يريدونها .. وان قناعتي الشخصية ، ان هذه النتيجة لا يمكن تصديقها فضلا عن انها تؤدي الى الكارثة .. وان الجزائر كما نعرفها ، وفي ظل الظروف العالمية السائدة ، ستواجه الكوارث والمصائب ومنها الشيوعية والفقر .. وانه غني عن القول كذلك ، ان الجزائريين مهما كان اصلهم ، الذين يريدون أن يبقوا افرنسيين ، فسيجري اعادة تجميعهم واستيطانهم .. ومن ناحية اخرى فستتخذ جميع الخطوات لان نضمن ، تحت جميع الظروف ، استمرار الاعمال في آبار الزيت في الصحراء ، فهو نتيجة الجهود الافرنسية ويرتبط بصالح العالم الغربي بأسره .. » وانني ، يا حضرات الزملاء ، استميحكم عذرا وصبرا .. انكم في حاجة الى اناة صابرة ، وروية هادئة ، لتستطيعوا ان تحكموا بهدوء على بيان الرئيس ديجول .. انه تهديد مكشوف ، وملحمة بليغة في الوعيد ، ان الاستقلال في نظر الجنرال ديجول ،

مجلبة للكوارث ، وهو لعنة من السماء ونقمة على الارض .. ان كلام الرئيس ديجول في هذا الصدد ابعد ما يكون عن الحقيقة ، وينفر منه منطق التاريخ المعاصر .. ان الاستقلال لا يؤدي الى هذه الشرور التي عددها الرئيس ديجول .. ان الاستقلال مجلبة للنماء والازدهار والتقدم ، وفيه اشباع لارفع المطالب القومية واقدسها .. ولقد سبق لجميع الحركات التحريرية ان واجهت مثل هذه الانذارات مشحونة بالوعيد والتهديد ، ولكن ما لبثت ان انكشف زيفها ، وذابت كالثلوج تحت شعاع الدفء الساطع من شمس الحرية .. واذا كان « المعمرون » الافرنسيون يلتزمون جانب الهدوء والسكينة ، والخضوع للنظام العام ، فلن يقع في الجزائر ما يكدر الصفو .. وستكون الحالة طبيعية وعادية ، تماما كالحالة التي تسود تونس والمغرب في الوقت الحاضر ، وقد كانتا تواجهان مثل هذه الانذارات ، حين كنا نبحث امر استقلالهما في هذه القاعة بالذات .

اما التهديد بالشيوعية ، فقد سبق لي ان عالجت هذا الموضوع ، وهو من التفاهة الواهية ، بحيث لا يصمد امام اي تحليل جدي ، وقد فقدت هذه التهمة جدتها ، واصبحت زيا قديما مهلهلا ، لا يصلح لهذه الحقبة من زماننا .. ولكن السوط اللاهب الذي يسلطه الجنرال ديجول على ظهور الشعب الجزائري ، هو التهديد بالفاقة ، اذا اختارت الجزائر الحرية والاستقلال .

ان التهديد بالفقر هو تهديد « فقير » بذاته .. ان كثيرا من الدول الممثلة في الامم المتحدة ، هي دول فقيرة ، ولكنها تنعم بالحرية والاستقلال .. وان ميثاق الامم المتحدة يكون « فقيرا » حقا ، اذا كان لا يقبل في عضويته الدول الفقيرة .. وان كثيرا من الدول الاعضاء تتلقى معونات اقتصادية وفنية ، ولم ينتقص ذلك من حقها في الاستقلال .. بل ان فرنسا نفسها ليست بريئة من الحاجة للعون .. ان فرنسا تتلقى قروضا ومعونات مالية متعددة المصادر .. وانه لا يليق بالجنرال ديجول ، ان يرفع شعار الفقر في وجه الحرية والاستقلال .. وان الجزائر ، على كل حال ، ليس بلدا فقيرا ، ان الجزائر قد احتملت كل تبعات الحرب لمدة ستة اعوام ، سبقتها مائة عام من الكفاح .. وقد احتملت ذلك كله من غير قروض ولا معاونات مالية ، من المصارف العالمية او من مؤسسات الامم المتحدة .. ان الجزائر تتوافر فيها الموارد الطبيعية ، ولعل المسيو سوستيل الوزير الافرنسي لشئون الصحراء خير حجة في هذا الموضوع .. فلقد كتب مقالا في مجلة الشئون الاجنبية في

يوليو ١٩٥٩ ، وتحدث عن المخزون الكبير من الزيت والغاز الطبيعي الكامنين في الصحراء .. ولقد اكد المسيو سوستيل ان حقل الغاز الطبيعي في حاسي الرمل يعتبر واحدا من اكبر الحقول في العالم ، وان هذا الحقل يستطيع ان يمد الجزائر والقارة الاوروبية بطاقة رخيصة .. واشار المسيو سوستيل كذلك الى المعادن المتوافرة في الجزائر مثل المانغنيز ، والحديد والنحاس ، واليورانيوم .. ولقد القى المسيو سوستيل خطابا امـــام مجلس الشيوخ الافرنسي ، في ٢١ يوليو ، تنبأ فيـــه ان فرنسا تستطيع ان تبلغ مستوى الاكتفاء الذاتي من الزيت في فترة لا تتعدى عـام ١٩٦٣ . وعلى هـذا فان الجزائر لا يمكن ان تصنف من الدول الفقيرة وهي تملك هذه الموارد الطبيعية، وكيف يمكن للجزائر ان يكون بلدا فقيرا ، والزيت الجزائري قادر ان يجعل فرنسا في مستوى الاكتفاء الذاتي .. وبعد هذا فان لنا أن نتساءل ايهما البلد الفقير ، الجزائر ام فرنسا ..

وكائنا ما كان الامر ، فان الجزائر تستطيع ان تتدبر حياتها الاقتصادية بمواردها الطبيعية ، لو ان هذه الموارد تركت تحت تصرف الشعب الجزائري وحده .. ذلك ان ثروة الجزائر الطبيعية تنمو وتستغل على افضل وجـه بايدي ابنائها ، ان اقتصاد الجزائر هو مهمة الشعب الجزائري ومسئوليته، وليس لفرنسا او غير فرنسا دخل في هذا الموضوع ... ان الجزائريين هـم خير من يبني الاقتصاد القومي في الجزائر .. ولست اعني بهذا ان الجزائر ستعيش في عزلة اقتصادية ، وانها ستمتنع عـــن تلقي العون الاقتصادي والفني من الدول المتقدمة في مضمار التكنولوجيا والخبرات الفنية .. أي شعب هو اقرب للجزائر من فرنسا ، في ميـدان التعاون ، اذا كانت فرنسا تعترف للجزائر بحريتها واستقلالها ؟؟ وخذوها عني ، ايها الزملاء المحترمون، وانا موصوف ظلما وخطأ باني عدو فرنسا ، بان احـدا لا يداني فرنسا في صداقتها للجزائر .. اذا تركت فرنسا الجزائر للجزائريين ..

على ان الامر الخطير الجسيم ، هو تقسيم الجزائر كما تحدث عنـه الجنرال ديجول بوضوح وصراحة .. واننا بدورنا نشكر الجنرال ديجول على صراحته في هـذا الموضوع فقـد زاد مـن انتباه الحكومـة الجزائرية ، وضاعف من احساسها بالخطر الكامن في السياسة الافرنسية ... ولقد كان الجنرال ديجول واضحا كل الوضوح حين اعلـن ان الجزائـر اذا اختارت الاستقلال عليها ان تواجه الخطريـن الكبيرين ـ الاول تقسيم الوطـن الجزائري ، والثاني اختطاف الصحراء الجزائرية بكـل مواردها الطبيعية .

ولقد أشار الجنرال ديجول الى اعادة تجميع واستيطان « الجزائريين» الذين يريدوا ان يظلوا افرنسيين .. وهكذا فان الجنرال ديجول يعرض الاستقلال بيد واحدة ، ثم يشهر باليد الثانية سيف التقسيم ، وهو اشد بلاء يمكن ان تتعرض له اي أمة في وطنها .. ويترتب على ذلك ان الاختيار يفقد مزيته واخلاقيته ، بل والهدف الذي عرض من اجله .

غير ان الجنرال ديجول لا يقتصر على انزال العقاب بالاستقلال ، وبالذين يختارون الاستقلال ، ولكنه يبتعد الى ابعد من ذلك .. انه يبذل المكافآت والامتيازات للذين يختارون الحلين الاخرين : الاندماج او الاتحاد مع فرنسا .. وهذه هي المكافآت والامتيازات كما عبرّ عنها الجنرال ديجول ، بالنسبة للادماج ، انه يقول « سيكون ميسورا للجزائريين ان يتبوأوا المناصب السياسية والادارية والقضائية في الدولة .. وسيفتح لهم مجال الخدمة العامة ، وسيتمتعون بجميع المنافع بالنسبة للرواتب والاجور والضمان الاجتماعي والتدريب المهني والتعليم ، تماما على نفس المستوى الذي يطبق في فرنسا نفسها .. وسيعيشون ويعملون حيثما يشاؤون في اراضي الجمهورية كلها .. وبعبارة اخرى انهم سيعيشون بكل معنى الكلمة ، وبقطع النظر عن دياناتهم او الجماعة التي ينتمون اليها ، على قدم المساواة وعلى نفس المستوى كسائر المواطنين ، في الصغيرة والكبيرة ، وسيصبحون جزءا لا يتجزأ من الشعب الافرنسي ، الذي يمتد فعلا من دانكرك الى تامانراسي .. »

بهذه العبارات العذبة ، يا سيدي الرئيس ، سيجد الجزائريون انفسهم في النهاية في الفردوس المفقود !! سيعيشون حينئذ في جمهورية افلاطون ، التي لا يزال يحلم بها الناس عبثا ، الى يومنا هذا !!

اما بالنسبة للاتحاد ، فهذه هي المكافآت والامتيازات التي يعرضها الجنرال ديجول ، انه يقول « ستكون نتيجة الاتحاد ، ان يحكم الجزائريون انفسهم بانفسهم ، تسندهم المعونة الافرنسية والعلاقة الوثيقة بفرنسا ، في شئون الاقتصاد ، المعارف ، الدفاع والسياسة الخارجية .. وسيكون الحكم الداخلي على اساس اتحادي ، وبهذا تتمتع جميع المجموعات ، الافرنسيين والعرب والمرابطين والقبائل ، الذين يعيشون معا في البلاد ، بالضمانات الكافية ليكيفوا حياتهم كما يريدون في اطار من التعاون .. » وهذه ، يا سيدي الرئيس ، عبارات عذبة اخرى يرسلها الرئيس ديجول لاغراء الشعب الجزائري لحمله على الاتحاد مع فرنسا .. ولست اريد ان اطيل

الكلام في هذه النقطة فان عبارات الجنرال ديجول توضح نفسها بنفسها .. ان هذه المكافآت والامتيازات التي يعرضها الجنرال ديجول من شأنها ان تسلب من الاختيار حريته .. انها كافية بذاتها ان تحيل الاختيار الى اضطرار ... وليكون الاختيار حرا يجب ان لا يصاحبه وعد او وعيد ، وعد بالامتيازات ووعيد بالكوارث والويلات ... ولقد اوضح الجنرال ديجول في بيانه السياسي انه حكم على الاستقلال بالاعدام .. وانه فرش الارض بالاكاليل والزهور تحت اقدام الاتحاد والاندماج .. في القضايا السياسية يجوز لاي مواطن ان يقوم بحملة دعائية لهذا الحل او ذاك ، وذلك هو حق الجنرال ديجول لو كان مواطنا جزائريا ، ولكن انى يكون له مثل هذا الحق وهو رئيس دولة يزعم انه يريد ان ينهي مشكلة استعمارية ، فيخلق مشكلة اخرى لا تقل عنها خطرا وضررا .

وبهذه المناسبة ، ارجو ان يأذن لي سيدي الرئيس ، بان ابتعد قليلا عن الموضوع لاتحدث عن مفهوم حرية الاختيار في النظام القضائي البريطاني .. بموجب هذا النظام القضائي كاي نظام آخر ، لا يكون اقرار المتهم ملزما الا اذا اعطاه بمحض ارادته وفي حرية اختياره .. وقد حدث مرة ، في قضية جنائية شهيرة ، ان قال النائب العام للمتهم « انه خير لك ان تروي لنا كيف جرت الحادثة » لقد كان هذا الكلام من جانب النائب العام بسيطا وبريئا ، خاليا من الوعد والوعيد ، ولكن المحكمة اعتبرت هذه « النصيحة » التي اسداها النائب العام للمتهم انها مبطلة لحرية الاختيار ، ورفضت المحكمة كل الاعترافات التي ادلى بها المتهم بعد هذه النصيحة .. واني لارجو ، يا سيدي الرئيس ، ان تتأملوا كيف ان المحكمة البريطانية قد رفضت اقرار المتهم لانه صدر عنه من غير حرية اختيار ، بعد هذه النصيحة ، فماذا تقولون في بيان الرئيس ديجول الذي لم يترك غضبة الا وزمجرها ولا مكافأة الا وزينها ؟!

وانتقل الان من الشرور التي تسبق الاختيار ، الى شر آخر يأتي بعد انتهاء مرحلة الاختيار ، ان الجزائريين بعد ان يواجهوا الوعد والوعيد قبل اعطاء اصواتهم ، سيواجهون خطرا آخر ناجما عن اصوات غيرهم .. ولقد حدثتكم ان الجنرال ديجول قد اعلن انه سيطلب من الشعب الافرنسي ان يدخل في عملية تصويب اخرى ، ليؤيد ما يختاره الشعب الجزائري ، تلك هي بدعة سياسية ما احسب ان لها مثيلا في جميع القضايا الاستعمارية التي عرضت على الامم المتحدة ، ان اقل ما يقال في هذا الموضوع ان الجنرال

ديجول قد خول الشعب الافرنسي ، أن يمارس حق الفيتو في مصير الشعب الجزائري .. نحن نعلم ان فرنسا ، بوصفها عضوا دائما في مجلس الامن ، تملك حق الفيتو تمارسه في المشاكل الدولية حين تعرض على مجلس الامن .. ذلك هو حق فرنسا ، كما نص عليه ميثاق الامم المتحدة ، ولكننا لا نعرف نصا يخول فرنسا حق الفيتو ، بالنسبة لمستقبل الجزائر ،ولحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره .. واذا كان على الافرنسيين ان يقولوا كلمتهم فيما اختاره الشعب الجزائري لنفسه ، فان المصير الجزائري يكون قد وقع تحت رحمة فرنسا .. ونحن نعرف مصير هذه الرحمة ..

ولكن علام هذه الحرب دائرة ؟؟ ان الحرب دائرة الان لان الشعب الجزائري يريد ان يقرر مصيره بنفسه ، ويرفض ان يكون لفرنسا كلمة في هذا المصير ، من قريب او بعيد .. نحن نعرف سلفا ، وبيان الرئيس ديجول هو الدليل ، والرئيس ديجول هو الشاهد على ذلك ، ان فرنسا لا توافق على استقلال الجزائر اذا كان هذا الاستقلال سيأتي باصوات فرنسا .. ونحن لم نعرف ابدا ان مصير المحكومين قد تقرر باصوات الحاكمين .. ان الاصوات التي تعنينا هي اصوات الشعب الذي يحارب من اجل حريته واستقلاله .. واي اختيار هذا يعرض على الشعب الجزائري ، اذا كان الاختيار النهائي سيكون للشعب الافرنسي ؟! نحن نعلم ان « استقلال » الجزائر كلمة لا تسقط من فم فرنسا .. ثم ماذا تكون النتيجة لو ان فرنسا — كما نتوقع — رفضت ما اختاره الشعب الجزائري لنفسه ؟ ما هو مصير القضية الجزائرية ؟ ان عملية الاختيار بكل اجراءاتها تصبح باطلة ولاغية .. وستظل الجزائر في قبضة فرنسا ... وسيكون وقف القتال الذي يدعو اليه الجنرال ديجول استسلاما مختارا .. وستكون الحرب الجزائرية ، بكل تضحياتها الغالية ، وسيلة مباشرة لتقديم الجزائر الى فرنسا هدية سهلة المنال .. واننا نعيذ بالشعب الجزائري ان يرضى بان يكتب صك عبوديته بدماء ابنائه الميامين .. وما استرخصوا ارواحهم الا لمجاهدة العبودية ونيل الحرية ..

هذه نظرة شاملة ، يا سيدي الرئيس ، القيتها على بيان الرئيس ديجول ، بما له وما عليه ، ولكن من الانصاف ان نسأل ما هو موقف الفريق الاخر .. ما هو موقف الحكومة الجزائرية المؤقتة ؟ هذا السؤال البسيط له جواب بسيط ، انكم تجدون موقف الجزائر متمثلا في البيان الذي اصدرته الحكومة الجزائرية في ٢٨ سبتمبر ، بعد بيان الرئيس ديجول باثني عشر

يوما ، وأنكم لواجدون أن بيان الحكومة الجزائرية دقيق وبسيط وواضح.. انه دقيق لان قضية الجزائر هي قضية حرية ، والحرية ليست في حاجة الى محاولات معقدة مطولة .. وانه بسيط لانه لا شيء ابسط على الفهم من الحرية والاستقلال ، ... واخيرا انه واضح لان حق تقرير المصير اسطع من ان تحجبه افصح الفصاحات او اعنف المعارك ..

واني لاستطيع القول بان بيان الحكومة الجزائرية وثيقة رائعة ، ممتازة باصالة الراي ، ابتداء من التاريخ حتى التوقيع .. واني اقول من التاريخ حتى التوقيع ، بكل ما في هذه العبارة من الدلالات .. أن البيان الجزائري صدر بعد اثني عشر يوما من صدور بيان الرئيس ديجول ، وبهذا لم تسارع الحكومة الجزائرية الى القبول او الرفض ، وانما اذنت لتلك الايام ان تمر بالدرس العميق والتأمل الصابر ، بعقل « بارد » يلم بالموقف من كل اطرافه ، وقلب « حار » يتحسس الطريق الى سلام شريف عادل ، اما التوقيع فكانت له دلالة كذلك ، انه يعني ما يقول .. انه يقول انها حكومةجزائرية مؤقتة ، الى ان يتيسر للشعب الجزائري ان يقيم حكومة ثابتة .. ان الحكومة الحاضرة لا تريد ان تفرض نفسها على الشعب ، ولا ان تقيم حكما ديكتاتوريا .. انها تسعى جاهدة لتمكن الجزائريين ان يعبروا عن ارادتهم ، كبشر لهم ارادتهم في هذه الحياة ، وان يمارسوا حقوقهم الوطنية كشعب ، وان يعيشوا كدولة مستقلة .. هذا هو ما تدعو اليه الحكومة الجزائرية اولا وآخرا .. ليست رغبة هذه الحكومة المؤقتة ان تحكم ، ولكن رغبتها الاكيدة ان تمكن الجزائر ، من ان تحكم الجزائر ، ولخير الجزائر ..

كل ذلك يوضح لنا الروح القومية التي املت على حكومة الجزائر ان تنظر الى الموقف السياسي نظرة شاملة متزنة ، آخذة بعين الاعتبار ظروف القضية في مجموعها .. وكان بوسع الحكومة الجزائرية ان ترفض بيان الرئيس ديجول برمته ، رفضا كاملا ، ولها في ذلك اسباب سديدة .. ولقد كان بوسع الحكومة الجزائرية ان تصر ، وهذا هو حقها بكل تأكيد ، على الاعتراف العاجل بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال .. وكان بوسعها ان تصر على عقد مؤتمر مائدة مستديرة ، مع الاعتراف الكامل بحق الحكومة الجزائرية في عقد معاهدة سلام بين فرنسا والجزائر .. وكان بوسعها ، كذلك ، ان يعقد هذا المؤتمر على ارض محايدة ليست في فرنسا ولا في الجزائر .. اجل لقد كان بوسع الحكومة الجزائرية ان تصر على هذه المطالب وامثالها ، ولكن الحكومة الجزائرية قد آثرت ان تسلك طريقا ايجابيا

بنّاء ، لا تنازلا منها عن موقفها السياسي ، ولكن لانها على ثقة تامة من عدالة القضية الجزائرية ومقوماتها الاخلاقية والقانونية ، وفضلا عن ذلك فان الحكومة الجزائرية قانعة كل القناعة ، بان اية اجراءات شملها بيان الرئيس ديجول لا بد ان تؤدي في النهاية الى تحقيق حرية الشعب الجزائري ، اذا كانت تطبق في جو من الحرية ، وفي كنف الاعراف الديمقراطية وتقاليدها الصحيحة ، بل لعل الحكومة الجزائرية قد اخذت بهذا المنهج الايجابي ، لما اعلنته في بيانها من انها « لا ترغب ان تتجاهل اية فرصة تسنح لاقرار السلام » ..

وعلى هذا ، فان الحكومة الجزائرية قد نظرت في بيان الرئيس ديجول نظرة عميقة ، فلم تقبل كل شيء ولم ترفض كل شيء .. ولكنها اتبعت سبيلا وسطا بين القبول الكامل والرفض الكامل .. فبعد ان اعلنت الحكومة الجزائرية قبولها لمبدأ تقرير المصير ، على اساس وحدة الشعب الجزائري ، ووحدة التراب الجزائري ، اعربت عن استعدادها للدخول في مباحثات مع الحكومة الافرنسية ، لتبحث الشروط السياسية والعسكرية ، لوقف اطلاق النار ، مع الاتفاق على الضمانات اللازمة لتطبيق تقرير المصير بصورة صحيحة ..

ويتبين من ذلك ان الحكومة الجزائرية لم تقتصر على التحلي بالحكمة والروية ، ولكنها بذلت كل جهدها لمراعاة الحساسيات الافرنسية .. وتلاحظون من الصيغة التي استعملتها الحكومة الجزائرية في بياناتها ، انها اشارت الى التعبير الافرنسي الذي يقابل « المحادثات » (١) لما يخامر فرنسا من الاحساس بان هذا التعبير بذاته يصون لفرنسا كرامتها .. وهذه « المحادثات » تستهدف من غير شك الاتفاق على التدابير التيتكفل تحقيق تقرير المصير ، بعيدا عن اي ضغط او اكراه .

وارجو يا سيدي الرئيس ويا حضرات الزملاء ، ان تسمحوا لي بهذه المناسبة ان اؤكد لكم ان هذه التدابير هي ضرورة قصوى ، ان على الجزائر وفرنسا ان يتفقا على مدى هذه التدابير ومراحل تنفيذها .. ذلك لزوم لا بد من لزومه .. فأن الاتفاق بين فرنسا والجزائر على مبدأ تقرير المصير يجب ان يتناول الاتفاق على التدابير التنفيذية لتطبيق تقرير المصير .. واذا تم ذلك ، نكون قد تلاقينا مع فرنسا في مفهوم تقرير المصير ، وفي وسائل تطبيقه .

---

(١) اللفظ الافرنسي Pourparlers

وانني اقول ، مفهوم تقرير المصير ، لانني لست متأكداً مع أننا وفرنسا نتكلم لغة مشتركة ، بالنسبة لتقرير المصير .. فلو اننا انعمنا النظر في موقف فرنسا الرسمي لوجدنا ان تقرير المصير مشدود الى حبال قد تكون حبال المشنقة .. وليست هذه تعبيرات مجازية ، ذلك ان وراءها مخاوف تسندها مبررات متعددة .. ويجب ان تزول هذه المخاوف ، اذا كنا حقيقة نريد بكل اخلاص وعزيمة أن نتوصل الى سلام بين فرنسا والجزائر ، سلام دائم ، لا هدنة مؤقتة .. ففي ٣٠ ابريل ١٩٥٩ ، سئل الجنرال ديجول في مؤتمر صحفي ، عما يعنيه ادماج الجزائر بفرنسا ، ولا شك انه يهمكم ان تعرفوا جواب الجنرال على هذا السؤال .. كان جوابه وانا اقتبس من كلامه « ان المعنى السياسي لكلمة الادماج ، واضح كل الوضوح .. ان تكون الجزائر فرنسية،وهل من الضروري ان نعلن ذلك، ما دامت هذه هي الحقيقة ؟؟» .

ان الجنرال ديجول ، جندي عظيم ، وله استراتيجية بارعة وتاكتيك حاذق .. فلقد اجاب بسؤال على السؤال ، بالنسبة للادماج ، حين تساءل « وهل من الضروري ان نعلن ذلك ؟، ما دامت هذه هي الحقيقة » .ولكن « هذه الحقيقة » لم تكن شعارا لفظيا وكفى ، فقد ترجمت الى حقيقة فعلية واقعية ..

لقد اصدرت الجمعية الوطنية الافرنسية مؤخرا ، وباكثرية ظاهرة ، قرارين ينصان على توحيد الموازنة والشئون المالية بين فرنسا والجزائر .. وفي الثالث من شهر اغسطس اعلن المسيو ميشيل دوبريه رئيس وزراء فرنسا امام البرلمان الافرنسي أن « مقاطعات الجزائر والصحراء هي اجزاء من الجمهورية الافرنسية ، تماما كالمقاطعات الافرنسية الاخرى في الوطن الام .. » هذا هو الموقف الرسمي للرجل الثاني في فرنسا بعد الجنرال ديجول .. وقد صدر قبل بيان الرئيس ديجول ببضعة اسابيع ، ولكنه يتناول السياسة المالية للعام بكامله .. غير ان من حقنا ان نتساءل كيف تحولت السياسة الافرنسية من ادماج كامل الى تقرير المصير ، بين عشية وضحاها ..

ومن اجل ذلك فان الحكومة الجزائرية حريصة ان تعلم علم اليقين ، وعن طريق المحادثات الثنائية مع فرنسا ، ما اذا كانت سياسة تقرير المصير كما جاءت في بيان ١٦ سبتمبر ، هي من بنات افكار **الرئيس** ديجول ام **الجنرال** ديجول .. هل هي تكتيك **جندي** عظيم ، يريد ان يربح المعركة .. ام هل هي سياسة **رئيس** حريص على ان يسوي المشكلة .. ولا بد ان تتجلى

هذه الحقيقة في المباحثات الثنائية التي تصر عليها الحكومة الجزائرية ..

ورب قائل يقول ، ان بيان المسيو دوبريه رئيس وزراء فرنسا هو صفحة من الماضي ، وقد مضى الماضي بكل مواقفه وبياناته .. وقد يكون هذا صحيحا لو ان شيئا ، مما قيل وما حصل بعد بيان الرئيس ديجول في ١٦ سبتمبر .. ولكن الواقع المؤسف انه منذ ١٦ سبتمبر الى هذه الدقيقة والاقوال والافعال من جانب فرنسا تتعمد ان تنسف حرية الاختيار ، وان تدمر تقرير المصير ، وان تحجب فرص السلام .. وليس هذا الاتهام من غير دليل .. ان كل الدلائل تؤيد الاتهام .. وليس علينا الا ان نقتفي سير الاحداث ، ونتتبع آثارها بعد ١٦ سبتمبر ..

في ٢٨ اكتوبر ، وبعد ستة اسابيع من البيان الافرنسي عن تقرير المصير ، وجه الرئيس ديجول الى الادارة الافرنسية والقوات المسلحة في الجزائر رسالة ، تناقض مناقضة صريحة بيانه السياسي ، وهذه الرسالة ، ان كشفت شيئا ، فانما تكشف انغماس فرنسا في سياسة الادماج ، من اخمص الراس حتى القدمين ، لقد قال الرئيس ديجول وانا اقتبس من كلامه « ان الموضوع الذي يهمنا في الوقت الحاضر ، هو ان تخلد الجزائر الى السكينة الشاملة ، بعد ان شهدت المآسي الطويلة .. وان نبذل جهدنا في سبيل تقدمها الاقتصادي والاجتماعي ، وان نقدم للجزائريين من مختلف الطوائف جميع الاسباب المعنوية والمادية التي تجعلهم يطلبون الوحدة مع فرنسا .. » .

ان هذه التوجيهات التي اصدرها الرئيس ديجول الى الادارة والقوات المسلحة الافرنسية في الجزائر ، ليس لها الا معنى واحد ، ونتيجة واحدة ، انها تتجافى بصورة قاطعة مع بيان الرئيس ديجول في ١٦ سبتمبر الذي اعلن فيه حرية الاختيار للشعب الجزائري ، واي اختيار حر هذا ، واي تقرير للمصير هذا ، اذا كان الرئيس ديجول يدعو الى تعبئة كل الطاقات الادارية والعسكرية في الجزائر ، لحمل الجزائريين على المطالبة بالوحدة مع فرنسا ؟! ستكون الوحدة مع فرنسا ، اذن ، ليست خيارا .. انها تكون هدفا محتوما تسعى فرنسا جاهدة لتحقيقه بكل ما تملك من قدرات .. ولعل هذا هو السبب الذي جعل الرئيس ديجول يقترح فترة اربع سنوات لتطبيق تقرير المصير .. انها الفترة التي يطمع الجنرال ديجول ان « يصنع » الشعب الجزائري من جديد ، ويصنع معه تقرير المصير كما يشتهيه الجنرال ديجول ، ولكن احدا لا يستطيع ان يصنع الشعب الجزائري من جديد ، انه

التاريخ العريق الاصيل الذي صنع الشعب الجزائري .. ثم ان الجنرال ديجول ، في ختام رسالته ، يتراجع الى خنادقه القديمة ..انه يتحدث عن الرسالة المقدسة التي يجب على فرنسا ان تقوم بها ، لا بالنسبة للجزائر فحسب ، ولكن بالنسبة لافريقيا كلها .. يقول الجنرال ديجول وانا اقتبس من رسالته « انكم تعلمون اكثر من غيركم ، وانتم الذين تعملون في الجزائر ، أن مهمة فرنسا هي عظيمة من غير شك .. انها عظيمة للجزائر نفسها ، وانها عظيمة لفرنسا كذلك بالنسبة لرسالتها في افريقيا ، لصالح الوحدة الوطنية، وللحالة الدولية بصورة عامة .. »

والواقع انحديث الرئيس ديجول عن رسالة فرنسا في الجزائر وفي افريقيا يثير كثيرا من التساؤل والعجب .. فما هي رسالة فرنسا الافريقية في الجزائر وفي القضية الجزائرية ؟.. اذا كانت فرنسا مخلصة وصادقة في تطبيق مبدا تقرير المصير .. ان تقرير المصير في افريقيا معناه الاول والاخير انه ليست لفرنسا مهمة او رسالة في افريقيا ، فان تقرير المصير معناه ان تصبح افريقيا سيدة نفسها ، مالكة لزمام امورها ، وبهذا لا يعود لفرنسا اية مهمة مقدسة او غير مقدسة .. ولكن حديث الرئيس ديجول عن مهمة فرنسا في الجزائر ، او في افريقيا ، انما يكشف عن العقل الباطني والوجدان الداخلي لفرنسا .. انه ما يزال مشحونا بالادماج ، بعيدا عن تقرير المصير ، وهذا هو الذي يزيد الحكومة الجزائرية اصرارا على المحادثات الثنائية مع فرنسا ، حتى تنجلي الامور ، فهما واسلوبا ، هدفا وتطبيقا ، من غير لبس ولا ابهام .

ومما يضاعف في الحاجة القصوى الى هذا الجلاء ، ان العقل الباطني لفرنسا قد تحدث مرة ثانية حديثا غريبا عجيبا في هذا الصدد .. ففي ٢٣ نوفمبر ، تحدث الرئيس ديجول اثناء جولته في بعض المقاطعات الافرنسية الى الشعب الافرنسي ، واني اقتبس من حديثه قوله « اننا نريد السلام في الجزائر ، وعلى الطريق الذي اخترناه ، وقصدنا الاول ان نحافظ على فرنسا في الجزائر ، ولكن بموجب ظروف تختلف عن الظروف السابقة .. » .

وواضح ، اذن ، ان الجنرال ديجول مصمم التصميم كله ، ان يحتفظ بالجزائر لفرنسا ، ولكن تحت ظروف جديدة ، او تحت شعارات جديدة ، فالهدف عند الجنرال باق على حاله ، ولكن الوسيلة مختلفة. شأن القائد المحنك يتحول الى طريق آخر ، اذا كان الطريق الذي يسير فيه لا يصل الى الهدف ..

غير ان هذه الخيانة لمبدأ تقرير المصير ، لم تقتصر على الجنرال ديجول، فقد اصبحت وباء فاشيا ، وقد انتقل الى جميع الدوائر الافرنسية الحاكمة سواء في باريس او في الجزائر ... ولا يعوزنا الدليل في هذا المجال .

في ١٣ اكتوبر ، واثناء المناقشة العامة في الجمعية الوطنية الافرنسية ، طرح رئيس وزراء فرنسا على نفسه السؤال التالي : متى يسود القانون والنظام والسكينة في الجزائر ؟ ثم اجاب رئيس الوزراء بنفسه على نفسه وقال : « يسود القانون والنظام والسكينة في الجزائر حينما يتم رفض الانفصال « الاستقلال » ، لان الانفصال يؤدي الى الدكتاتورية والعنصرية والفوضى.. وهذه كلمات تتنافى مع القانون » . وهكذا فان رئيس وزراء فرنسا يحكم على الاستقلال بانه يتنافى مع القانون .. فاذا كان الامر كما يزعم رئيس وزراء فرنسا فكيف يجوز لدولة هذا منطقها ان تتولى ادارة الاستفتاء الشعبي العام في الجزائر ، والاستقلال احد الخيارات المعروضة.. واذا كان الاستقلال مدعاة الى الفوضى والدكتاتورية فكيف تستطيع الحكومة الجزائرية ان تثق بالادارة الافرنسية ، لتتولى بنفسها تطبيق مبدا تقرير المصير والسير في عملية الاستفتاء الشعبي ؟.

واني لا أطرح هذا السؤال طمعا في ان اتلقى عليه جوابا ، ولكني طرحته لأؤكد لكم ان الحكومة الجزائرية حينما تصر على توفير الضمانات اللازمة ، فانها لا تفعل ذلك ، لانها تريد ان تفرض حلا معينا بذاته ، ولكن لتضمن للحل الذي تقترحه فرنسا ، ان يولد في ظروف طبيعية تتوافر له كل شروط الحرية والمساواة .. ان الخيارات الثلاثة التي عرضها الجنرال ديجول يجب ان تعامل على قدم المساواة وان تعامل معاملة واحدة ، فلا يصاحب الواحد وعد ، ويصاحب الثاني وعيد .. ومن هنا يجب ان يتم الاتفاق بين فرنسا والحكومة الجزائرية على هذه الظروف والشروط ، حتى يتحقق للاختيار ان يكون حرا ، فان الحرية وحدها هي التي تميز الاختيار عن الاضطرار ..

ونحن نرى ان فرنسا تكبل الاستقلال بالاغلال ، قبل ان تبدأ عملية الاستفتاء .. ففي ٢٦ اكتوبر ، وجه المسيو دوبريه رئيس وزراء فرنسا رسالة الى ممثل الجمعية الوطنية الافرنسية في الجزائر ، ليعممها على رؤساء الدوائر والقيادات العسكرية في الجزائر ، ولم تكن هذه الرسالة الا بمثابة اعلان حرب على الاستقلال ، فلقد قال رئيس الوزراء « ان النقطة الرئيسية ، هي ان نبذل جهدنا في كل طريقة ممكنة حتى يكون الاختيار ضد الانفصال ، وبهذا ينتصر اتحاد الجزائر بفرنسا ، وبعدها يتسع الوقت لتحديد شكل الاتحاد .. واني اطلب اليكم ان تنفذوا هذه التعليمات بمنتهى

الدقة .. » .

ان هذه الرسالة التي وجهها رئيس الوزراء الافرنسي توضح نفسها بنفسها .. ان هذه الرسالة هي امر صادر من باريس الى جميع السلطات الادارية والعسكرية في الجزائر ، لتعبىء كل قواها لتحارب حرية الاختيار ، وتفسد تقرير المصير ، وتحبط الاستقلال ..

والواقع ان السلطات الادارية والعسكرية في الجزائر ، قد استجابت لهذه التوجيهات ، كما هو متوقع منها ، فان نفوس هؤلاء الموظفين مشربة بروح هذه الرسالة .. وهذا ممثل الحكومة الافرنسية في الجزائر ، يلقي بيانا ، في ٣٠ اكتوبر ، بوصفه اعلى سلطة فرنسية في الجزائر ، ويقول « اننا نحارب اولا من اجل فرنسا .. ونحن نحارب كذلك ، من اجل اوروبا على ارض يشملها ميثاق حلف الاطلنطي ، ان الرئيس ديجول حينما عرض الخيارات الثلاثة لم يكن مقامرا .. فمن هو الذي يشك في نتيجة الاختيار.. ان الاستقلال ، اذا وقع عليه الخيار ، سيكون البؤس والشقاء .. ولكن ستكون فرنسا وجيشها حاضرا ابدا ودائما .. وبين الانفصال والوحدة لقد اختار معظم الجزائريين .. وعلى الذين يريدون فرنسا ان يتجمعوا ويتحدوا .. ان الجيش باق وسيبقى .. ان فرنسا باقية وستبقى » ..

ان هذا البيان ، يا سيدي الرئيس ، انما هو حرب غير مقدسة تعلنها فرنسا لابقاء فرنسا في الجزائر ، انها تدعو الجميع الى التعبئة ، الى التجمع ، الى الوحدة .. وانها تعلن ان الاختيار قد تم وانقضى .. واننا لنتساءل ، لماذا يطلب الى الحكومة الجزائرية ان توقف القتال اذا كان الاختيار قد تم وانقضى . لماذا يجب على الحكومة الجزائرية ان توقف عن اطلاق النار ، اذا « كان الجيش الافرنسي باقيا وسيبقى واذا كانت ، فرنسا باقية ستبقى » ؟! يبدو ان علينا ان نذكر فرنسا ان الجزائريين الابطال لا يقاتلون لتبقى فرنسا في الجزائر ، ولكنهم يقاتلون لتخرج فرنسا من الجزائر ، والى اخر جندي ، انهم يقاتلون لتكون الجزائر للجزائريين ، وكما قالت الحكومة الجزائرية في بيانها في ٢٨ اكتوبر « ان الاستعمار هو الذي حمل الشعب الجزائري على حمل السلاح » .. ان الحرب الجزائرية هي حرب تحرير مقدسة .. ودعوني اقولها لكم باعلى صوتي ، لتسمع فرنسا ، وغير فرنسا ، ان الشعب الجزائري لم يحمل السلاح ليمد في اجل الاستعمار ، ولكن ليقضي على الاستعمار في الصميم .. واقولها لكم كذلك باعلى صوتي ، نيابة عن الحكومة الجزائرية ، ان الشعب الجزائري مستعد لان يواصل هذه الحرب ، المقدسة للجزائر ، والقذرة لفرنسا ،

الى النهاية ، وهو مستعد كذلك للبحث عن حل سلمي شريف عادل يرضاه الشعب الجزائري ، ولكن بمحض ارادته واختياره .

واني اؤكد ارادة الاختيار الحر ، لأن الحرية لا يمكن ان تمارس تحت ظروف القمع والارهاب التي تسود الجو العام في الجزائر في الظروف الراهنة .. وكما قالت الحكومة الجزائرية في بيانها في ٢٨ سبتمبر ، ان حرية الاختيار لا يمكن ان تمارس ، ونصف مليون جندي من جيش الاحتلال يطأ باقدامه تراب الوطن ، ولا يمكن ان تمارس كذلك ، وما يزيد على المليونين من الشعب الجزائري تضيق بهم السجون والمعتقلات ، او اكرهوا على النزوح عن مدنهم وقراهم ... واذا كانت فرنسا جادة فيما تعلنه عن الاستفتاء الشعبي ، فيجب عليها اولا وقبل كل شيء ان تعمل على ازالة جميع هذه العوائق ، وترفع هذه القيود والضغوط ، وتعمل على خلق جو عادي في جميع انحاء البلاد ،وان تتفق الحكومتان الجزائرية والافرنسية ، على جميع هذه القضايا جملة وتفصيلا ..

واني اؤكد جملة وتفصيلا لان عددا من الامور الهامة لا تزال غامضة ، محجبة بالضباب ... والى عهد قريب فان وزير الحربية الافرنسية قد وضع لغما في صميم اساس الاستفتاء الشعبي ، وكأنما لينفجر اللغم في الوقت الملائم .. ففي شهر نوفمبر ، وجه وزير الحربية الافرنسي رسالة الى القائد العام للقوات الافرنسية في الجزائر قال فيها « في وقت غير بعيد ، بعد ان يتم تحديد مستقبل الجزائر ، سيبقى الجيش الافرنسي في الجزائر ، ليضمن استمرار رسالة فرنسا الدائمة ، ومن جملتها الدفاع المشترك عن فرنسا والجزائر ضد اي خطر .. » هذه كلمات واضحة .. انها تعني ان فرنسا باقية في الجزائر ، وانها باقية بعد ان يتحدد مستقبل الجزائر السياسي .. ان وزير الحربية الافرنسي يتكلم بكل ثقة واطمئنان عن رسالة فرنسا الدائمة في الجزائر .. وكل هذا الكلام ، اذا كان له من معنى ، فانه انكار تام لحرية الاختيار .. وان يقول وزير الحربية ان الجيش الافرنسي باق بصورة دائمة على ارض الجزائر ، انما هو تهديد مباشر للشعب الجزائري ، واهدار كامل لحرية الاختيار .. ولكن اليس من حقنا ان نسأل وزير الحربية الافرنسية ، ماذا يكون عليه الحال لو ان الشعب الجزائري ، كما هو متوقع ، قد اختار الاستقلال ؟ واختار معه

جلاء الجيش الافرنسي وازالة القواعد العسكرية الافرنسية .. انه من المسلم به ان هنالك امورا كثيرة ، لا بد ان تتناولها المباحثات الثنائية بين فرنسا والجزائر ، ولكن كيف يمكننا ان نتصور ان تقرر فرنسا الآن ان لها رسالة ابدية في الجزائر ؟ وكيف تسند فرنسا لنفسها بنفسها مهمة الدفاع عن الجزائر ؟! مع ان الواقع ان الجزائر اذا كانت في حاجة الى دفاع .. فانه دفاع ضد فرنسا ، وضد فرنسا وحدها ..

انتقل الان يا سيدي الرئيس ، الى موضوع الساعة وهو موضوع المفاوضات .. واستطيع ان ابادر الى القول ، ان موقف الحكومة الجزائرية بهذا الصدد ، تتجلى فيه الموضوعية والايجابية والواقعية .. لقد اعلنت الحكومة الجزائرية عن استعدادها للدخول في مفاوضات مع الحكومة الافرنسية للاتفاق على الشروط السياسية والعسكرية لوقف القتال .. ان الحكومة الجزائرية لا تطلب اعترافا من فرنسا .. ولا تريد ان تفرض على فرنسا حلا معينا بذاته .. بل انها لا تريد ان تبحث المستقبل السياسي للجزائر .. فاي اعتدال اكثر من هذا ؟ كل ما تريده الحكومة الجزائرية ان تنشأ ظروف ديمقراطية صحيحة ، يستطيع الشعب الجزائري بموجبها ان يعبر عن ارادته الحرة ، بمحض مشيئته واختياره .

لقد اختارت فرنسا موقفا لا اريد ان اعطيه وصفه الذي يستحقه ، حتى لا أعكر جو المناقشة العامة ، يكفي ان اقول عنه انه موقف افرنسي ، وهذا الوصف يكفيكم لتعرفوا طبيعة هذا الموقف .. فلقد القى المسيو دوبريه رئيس وزراء فرنسا خطابا في ١٥ اكتوبر امام الجمعية الوطنية ، حمل فيه على المفاوضات ، لقد قال وانا اقتبس من كلامه « ان هنالك تناقضا كاملا بين المفاوضات السياسية من جهة ، وحرية الاختيار من جهة اخرى ، من النواحي القانونية والسياسية والمعنوية .. ولا يمكن ان يكون بيننا وبين الجزائر الا وقف اطلاق النار ، ولا شيء غير ذلك .. ولا يمكن ان تكون بيننا مفاوضات سياسية .. » ولست اريد ان افند هذه الاباطيل التي صدرت عن رئيس وزراء فرنسا بصورة مفصلة ، وانه خير لرئيس الوزراء ان لا يستند في حديثه على الاسانيد القانونية والسياسية والمعنوية في القضية الجزائرية .. فان هذه الاسانيد هي بنفسها التي تظهر بطلان الدعوى الافرنسية ، وسقوط مزاعمها على الارض .. ليس هنالك تناقض بين المفاوضات السياسية وحرية الاختيار ،

انما التناقض الفاضح ان تعطي فرنسا بيد ، ثم تسلب باليد الاخرى ، وان تعرض فرنسا على الشعب الجزائري حرية الاختيار ، ثم ترفض المفاوضات السياسية ، وتفرض على المقاتلين الجزائريين ان يلقوا السلاح ، ولا حديث بعد ذلك ، ولا شيء بعد ذلك ، الا ما تختاره فرنسا ، لاما تختاره الجزائر .

ولم يكتف رئيس وزراء فرنسا بهذا الموقف يعلنه في الجمعيةالوطنية في باريس ، ولكنه حرص على ان « يصدر » هذه البضاعة الفاسدة الى قلب الجزائر .. ففي ٢٦ اكتوبر وجه رئيس وزراء فرنسا رسالة الى المقيم الافرنسي العام في الجزائر ، قال فيها « ليس هناك مفاوضات سياسية بين الحكومة الفرنسية ومنظمات العصاة .. ان المفاوضات السياسية تتناقض تناقضا اساسيا مع مبادئنا .. وعلى كل حال فانه لا يمكن ان تكون هناك مباحثات مع العصاة ، الا بصدد الامور العملية التي يفرضها وقف القتال « انهاء الحرب ، ومصير المقاتلين العصاة ، واسلحتهم ومنظماتهم » .

وان هذه الرسالة التي وجهها رئيس وزراء فرنسا ، هو موقف فرنسي آخر خال من المنطق والعقل .. ان وقف القتال كما يفهمه رئيس الوزراء هو هدف بذاته لا وسيلة لهدف .. وانكم لتعلمون ان وقف القتال انما هو مرحلة تؤدي الى مرحلة اخرى .. انه مقدمة لتسوية سلمية يتوصل اليها الطرفان ، باتفاق بينهما ، نتيجة لمفاوضات حرة تتم بينهما .. ان الحكومة الجزائرية ، مدفوعة بروح الاعتدال ، لم تفرض حلا سياسيا معينا ، كشرط سابق للمفاوضات ، وانما تركت الامر معلقا بمصير الاستفتاء الشعبي .. ولكن الحكومة الجزائرية ليست مجموعة من الخونة ، لتقبل دعوة فرنسا للبحث في مصير « العصاة واسلحتهم .... » ليست القضية مصير « العصاة » ولا حتى موضوع سلامتهم .. ان الحكومة الجزائرية تصر على سلامة الاجراءات التي ينبغي ان تسيطر على الاستفتاء الشعبي .. وقد آن الاوان ان تتجنب فرنسا الحديث مرة ثانية عن التناقض بين المفاوضات السياسية وحرية الاختيار ، وانلا تعود الى الحديث الهراء عن الحجج السياسية والقانونية ، والمعنوية ، التي تتذرع بها فرنسا من حين الى حين .. ولو ان الحكومة الجزائرية ارادت ان تعتمد على هذه الحجج لكان عليها ان تواصل الحرب الى

النهاية وان تعلن : لا مفاوضات الا بعد الجلاء ..

ولكن الحكومة الجزائرية بدلا من ان تواصل الحرب ، آثرت ان تغتنم هذه الفرصةالقائمة لتبحث امكانات الوصول الى تسوية سلمية شريفة عادلة .. ان اصرار الحكومة الجزائريــة على بحــث الشروط اللازمــة للاستفتاء الشعبي ليس موقفا يقوم على العناد .. انني لا احسب احدا منكم يرضى للحكومة الجزائرية ان توقف القتال قبل ان تتوافر هــذه الضمانات ..

ان هذا ، ايها الزملاء ، هو مصير شعب بكامله ، ولا يمكن التهاون او التفريط في اموره .. وان اي رجل في فؤاده ذرة من العدل والادراك السليم لا يمكن ان يطمئن الى استفتاء شعبي ، يجري تحت اشراف فرنسا ، وفرنسا تعلن ليلا ونهارا انها تريد ادماج الجزائر بفرنسا .. ان تجاربنا الماضية مع فرنسا تنهض دليلا قاطعا لتثبت راينا .. فمنــذ ان تولى الجنرال ديجول السلطة في فرنسا ، تمت ثلاثة انتخابات في الجزائر .. في سبتمبر ١٩٥٨ للاستفتاء على الدستور الافرنسي الجديد ، وفي نوفمبر ١٩٥٨ لانتخاب النواب في البرلمان الافرنسي ، وفي ابريل ١٩٥٩ لانتخاب المجالس البلدية .. لقد كانت هذه الانتخابات كلها تزويرا في تزوير .. وان الدلائل على ذلك اكثر من كثير ، يكفي ان نشير الى ان المسيو منديس فرانس رئيس وزراء فرنسا السابق قد وصف هذه الانتخابـات بانهــا « خطر على السلام ، وخطر على الديمقراطية وليست لها قيمة حقيقية » . وقد تساءل المسيو منديس فرانس بسخرية صارخة « هل يمكن لاحد ان يثق بهذه الانتخابات التي تسود الجزائر في الظروف الراهنة ؟ » امــا المسيو جاستون ديفير الوزير الافرنسي السابق لشئون اقاليم مــا وراء البحار فقد علق بقوله « لن يكون هنالك حرية اختيــار ، ولا استفتــاء شعبي ، ولكن سيكون هنالك قرار مفروض .. » وقد عقبــت جريــدة « كريتشن ساينس مونيتر» بقولها « ان احدا فيالجزائر وفي فرنسا لــم يكن يشك ان الجزائريين سيصوتون الا نعم » . وقالت جريدةواشنطون بوست « انه يكون مؤسفا حقــا ان يفسر الجنــرال ديجــول تصويــت الجزائريين بانه موافقة على استمرار السيطرة الافرنسية في الجزائر ». وساكتفي بهذا القدر من الاقتباسات وكلها تثبت بما لا يرقى اليه الشك ان حرية الاختيار ، لا يمكن ان تمارس تحت الادارة الافرنسية في الجزائر .

ولقد اصبحت الانتخابات الجزائريـة مضرب الامثـال ، تماما كالعطور الافرنسية انها كذلك تضرب فيها الامثال .. حتى لقد شاع في الاوساط الصحفية والسياسية ان افصح تعبير للطعن بالانتخابات المزيفة ان يقال عنها انها « انتخابات جزائرية » وهذا وحده بالغ الدلالة ..

وان الحكومة الجزائرية، يا سيدي الرئيس ، رغبة منها في ان تتجنب انتخابات تجري « على الطريقة الجزائرية » كانـت دائمـا مصرة علـى ان تشمل المفاوضات مع فرنسا موضوع الضمانات التي تكفل حرية الاختيار ، وسلامة الاستفتاء الشعبي .

وقد اعلنت الحكومة الجزائرية مؤخرا ، انها عينت وفدا مؤلفا مـن خمسـة مندوبين المشروع في المباحثات مع الحكومة الافرنسية .. صحيح ان هذا الوفد مؤلف من الزعماء الجزائريين المعتقلين في قبضـة فرنسا ، ولكن هذه هي الفرصة لان تظهـر فرنسـا حسن نيتهـا تجـاه الشعب الجزائري . غير ان فرنسا قـد اضاعـت الفرصـة ، ورفضت اقتـراح الحكومة الجزائرية ، استنادا الى ان الوفد الجزائري مؤلف من المعتقلين السياسيين .. ولكن يبدو ان فرنسا قد ارادت ان تذكر العالـم بتلـك الجريمة البشعة ، جريمة القرصنة الجوية العالمية ، حينمـا اختطفـت الزعماء الجزائريين ، وهم في طريقهم الى تونس في مهمة سـلام بصـدد القضية الجزائرية .. ولست اريد ان انبش تفاصيل هذا الحادث الغادر ، واثير غضبكم واستنكاركم ، يكفي ان اذكر لكم ان الملك محمـد الخامس وهو احد جنود التحرير في عصرنا الحاضر ، قد قال يوم اختطف الزعماء الجزائريون ، وكانوا ضيوفه ، ان تلك الجريمة كانت اقسى عليه من خلعه عن العرش من قبل السلطات الافرنسية في اغسطس من عام ١٩٥٣ ..

وكائنا ما كان الامر ، فليس لفرنسا عذر مشروع في رفض الوفـد الجزائري ، وان تعيين الوفد الجزائري هو حق الحكومـة الجزائريـة ، وليس من اختصاص الحكومة الافرنسية ، امـا ان اعضاء الوفـد الجزائري هم في قبضة فرنسا رهن الاعتقال ، فلا يصح ان يكون عقبة في سبيـل مفاوضات السلام .. في جميع حركات التحرير ، كانت المفاوضات تتـم مع الزعماء الوطنيين الذين ينقلون سراعا من المعتقلات الى مائدة المفاوضات .. ومانهرو ، ومكاريوس ، ونكروما ، وزغلول ، الا بعض الامثلة النابضة

على ذلك ، وهنالك سابقة حية مع فرنسا نفسها ، فقد دعت الحكومة الافرنسية كلا من جلالة الملك محمد الخامس وفخامة الرئيس بورقيبه الى المفاوضات مع فرنسا نيابة عن بلديهما ، مع انهما كانا في قبضة فرنسا .. ولذلك فانه ليس فريدا ان تدخل فرنسا في مفاوضات مع الجزائر ،على نفس الاسلوب . ولقد كان مدعاة للاسف حقا ، ان بعض الدوائر الافرنسية ، قد وصفت تأليف الوفد الجزائري بانه مداعبة خالية من الطرافة والذوق .. ولكن هذه الملاحظة بعينها هي مداعبة خالية من الادب .. ان الشعب الجزائري لا يعيش حياته في فراغ ، حتى يملأها بالدعابة ، المليحة او المجوجة ، ليس عند الجزائريين وقت للدعابة والتظرف .. انهم الان في شغل شاغل امام اقدس واجب لتحرير وطنهم .. وليس في قلوبهم متسع للمزاح ، وهم يخوضون حربا طاحنة ، هم عتادها وهم وقودها ، انهم يناضلون ليصلوا الى حل شريف عادل ، والامر عندهم جد كل الجد ، ولا مكان فيه للمزاح .

ولكن ما هو الدور الذي تستطيع ان تلعبه الامم المتحدة في الدورة الحاضرة .. نستطيع ان نهنىء الامم المتحدة على ما بذلته في الدورات الماضية من ضغط ادبي على فرنسا ، لتحملها على ايجاد تسوية سلمية تتفق مع اهداف ميثاق الامم المتحدة ومبادئه .. ونحن في هذه الدورة ، نشعر باننا اقتربنا من نهاية الشوط في القضية الجزائرية ، وليس بعيدا ان الفجر يوشك ان تطل تباشيره ، واصبح واجبنا ان نشد شدة واحدة ، وسواء في اقوالنا التي نعلنها ، او في القرارات التي نصدرها يجب علينا ان نقف بكل طاقاتنا نؤيد قضية التحرير ... وانا لا اريدكم ان تدينوا فرنسا ، ولا حتى ان تمسوا كرامتها .. نحن نريد تأييد المبادىء ، وعلينا ان لا نتخلف عن تأييد المبادىء .

يجب علينا اولا ، ان ننظر الى القضية الجزائرية على ان صاحبها شعب لا افراد ، وعلى انها تتعلق بوطن واحد لا بمقاطعات متعددة .. يجب ان نرفض اية فكرة لتجزئة الشعب ، وتقسيم وطنه .

ويجب علينا ثانيا ، ان نؤيد من غير قيد ولا شروط ، مبدأ تقرير المصير كحق طبيعي اصيل ، ينبغي ان يمارسه الشعب الجزائري ..

ويجب علينا ثالثا ان ندعو الفريقين للمبادرة الى مفاوضات حرة ،

للاتفاق على الشروط السياسية والعسكرية لوقف اطلاق النار ..

ويجب علينا رابعا ان نناشد الفريقين ان يتفقا على الضمانات الصحيحة التي تمكن الشعب الجزائري من ممارسة حقه في تقرير مصيره بملء أرادته ، ومحض اختياره ..

فاذا تبنت الامم المتحدة هذه المبادىء الاربعة ، كان لنا ان نفاخر ان المنظمة العالمية قد نهضت بمسئولياتها الدولية بصورة كاملة ، وبصورة عادلة للفريقين ، فرنسا والجزائر .. اما بالنسبة للجزائر فلم تتردد لحظة واحدة في قبول كل قرار يصدر عن الامم المتحدة متفقا مع ميثاقها .. وقد بقي على فرنسا ان تذعن لمشيئة الامم المتحدة . ان الرئيس ديجول قد اوضح معالم الطريق ، وحسنا فعل ، ولكن الطريق مليئة بالعقبات والسدود ، ونقاط التفتيش والمراقبة ، والاسلاك الشائكة ، وان على فرنسا ان تخلي الطريق من هذه العوائق اذا كانت تريد من الشعب الجزائري ان يسير معها في هذه الطريق ..

والواقع ان على فرنسا ان تختار واحدا من اثنين ، لاجتياز الازمة ، الاول ان تعمل فرنسا على الاتفاق مع الحكومة الجزائرية لوضع الضمانات الصحيحة التي تكفل استفتاء شعبيا حرا ، والثاني ان تتولى الامم المتحدة عملية الاستفتاء ، ادارة واشرافا . ان الامين العام للامم المتحدة يستأثر بثقتنا واحترامنا جميعا ، فضلا عن مقدرته وحصافته .. ونحن مطمئنون ان الاستفتاء تحت اشرافه لن يكون على « الطريقة الجزائرية » التي وصفتها ولكنه سيكون على « طريقة همرشلد » وفي هذا كفاية ...

واسمحوا لي يا سيدي الرئيس ويا زملائي الكرام ، ان اوجه من الامم المتحدة نداء صادقا الى الجنرال ديجول .. انه نداء يعبر عن عواطف جميع الشعوب المحبة للحرية والسلام .

وسيكون ندائي اليك ، ايها الرئيس ديجول ، مستمدا من اقوالك وافعالك ، ان كلمات الرئيس ديجول ، كانت تتساءل دوما لماذا هذه الحرب العقيم على ارض الجزائر ؟؟ ان اعمالك البطولية في حرب التحرير الافرنسية هي بنفسها تناديك بان تعترف للشعب الجزائري بحقه في الحرية والسيادة والاستقلال .. وان الذين قادوا معارك التحرير مثلك ،

ايها الجنرال ديجول ، ليسوا قليلين .. أنهم ابطال ، ولكن أبطال قوميون مثلك ، ولكن تاريخ هذا العصر يفتح دفتيه ليستقبل بطلا عالميا ، بطلا عالميا لا يعمل لحرية شعبه ، ولكن لحرية شعب آخر .. واننا لنتمنى من صميم قلوبنا ان يكون الجنرال ديجول هو ذلك البطل العالمي ، ليعترف بحق الشعب الجزائري بالاستقلال ويؤيد انضمامه الى الامم المتحدة .

انني اوجه هذا النداء الى الجنرال ديجول ، لا لان الشعب الجزائري قد انهكه القتال واضناه النضال ، ان الشعب الجزائري ، اذا لم تتم التسوية السلمية ، مستعد ان يواصل القتال الى ان يرحل آخر جندي فرنسي من ارض الجزائر ، انه مستعد ان يواصل القتال غدا ، كأنه بداه اليوم . ولكني اوجه النداء من اجل وقف القتال ، القتال الذي نعرف مصيره معرفة اكيدة ، ولا اريد ان اقول انه سيكون هزيمة لفرنسا ، بل التي اؤثر ان اقول انه سيكون نصرا للجزائر ..

واخيرا يا سيدي الرئيس ، اريد وانا اختم بياني اليكم ، ان اؤكد على حقيقة واحدة لا يخامركم فيها شك او ريب .. ان الشعب الجزائري على تصميم لا يحول ولا يزول ، لتحقيق مطالبه الوطنية .. ان الشعب الجزائري يقف في ميدان المعركة وقفة صامدة باسلة وهو اشد ما يكون عزما على مواصلة الحرب الى ان يستعيد حريته واستقلاله .. ولكن اذا تهيأ للمفاوضات الحرة ان تكون بديلا ، فان الشعب الجزائري مستعد ان يكبح جماح الحرب ، وان يجنح للسلم ..

اننا لنرجو ان تسكت فرنسا من جانبها قعقعة السلاح لتتكلم لغة الحرية وصيحة الاستقلال .

اننا على امل كبير اننا سنهنىء قريبا الجمهورية الافرنسية والجمهورية الجزائرية ، عن طريق وفديهما وهما يجلسان في هذه القاعة ، على نجاح مفاوضاتهما ووصولهما الى اتفاق كامل بينهما .. وسيكون ذلك اليوم من الايام المجيدة في تاريخ الامم المتحدة ..

نحن نتطلع الى ذلك اليوم بدموع الفرح والابتهاج ، لنكرس عهدا جديدا من الصداقة لا بين فرنسا والجزائر فحسب ولكن بين فرنسا وجميع الدول العربية .

ومن اجل ذلك اليوم فاننا نصلي ..

٦ ديسمبر سنة ١٩٦٠

ها نحن نواجه مرة ثانية مشكلة الجزائر ، في الوقت الذي تواجه هي فيه ويلات الحرب، حرب الاستعمار التي تشنها فرنسا ، وحرب التحرير التي يخوضها شعب الجزائر الباسل ، وقد مضت على الامم المتحدة ست دورات ، وهي تبحث فيها هذه المشاكل الملحة اللاهبة ، بعد ان دخلت الحرب الجزائرية سنتها السابعة اعتبارا من اول نوفمبر عام ١٩٦٠ .

وليس من غايتنا في هذه الدورة الراهنة ، ان نضع امامكم ، النواحي السياسية والقانونية من قومية او دولية للمشكلة الجزائرية . اذ على الرغم من اهمية هذه النواحي ، فقد غدت من المواضيع التي تم البت فيها نهائيا لمصلحة الجزائر ، وضد فرنسا منذ امد بعيد ، ولا نرى ضرورة ايضا لبحث طبيعة المشكلة ، او اختصاص الامم المتحدة للبحث فيها ، اذ ان الفقه القانوني للامم المتحدة، قد قضى قضاء نهائيا ومبرما في اختصاصها لبحثها. ونحن في الوقت نفسه ، لا يهمنا كثيرا غياب فرنسا عن هذه الجلسة ، على الرغم من اسفنا ، اذ ان هذا الغياب لا يؤثر على المشكلة ، ولا يمكن ان يحول بين الامم المتحدة وبين تحملها لمسؤولياتها . ولقد تقررت الطبيعة الدولية ، للقضية الجزائرية منذ امد بعيد ، وغدا اختصاص الامم المتحدة امرا اعترف به ، سيان من حضر او تغيب . ولا ريب في انه لو حضرت فرنسا ، لامكننا النقاش بصورة اوسع ، ولكن غيابها ، يسفر عن تحد اكثر شمولا ، ولا ريب في ان تصميمنا على حمل مسؤولياتنا ، سيقف اكثر من اي وقت مضى ، ثابتا غير متزعزع ، لا ينثني امام مناورات فرنسا .

وقد استعملت هذه النعوت الثلاثة لتصميمنا ، لا كتمرين على

استعمال المترادفات اللفظية ، بل لأؤكد عزمنا ، بالتزاماتنا كمنظمة دولية لدعم العدالة والحفاظ على السلام ، وتأمين انتصار الحريات الاساسية وحقوق الانسان . وقد استخدمت هذه النعوت لأؤكد مسؤولياتنا ، ولاثبت التزاماتنا ، ولاستعيد جوهر سجلاتنا في هذه القضية . فلقد غدا للجزائر سجل في الامم المتحدة ، ولم تعد الامم المتحدة بدون سجل عن الجزائر . والان ، علينا ان نعود بنظرة عابرة الى هذا السجل .

ففي الخامس من يناير عام ١٩٥٥ ، وجهت المملكة العربية السعودية رسالة الى مجلس الامن الدولي ، لفتت فيه انتباهه ، الى عمليات فرنسا العسكرية القاسية ، التي تستهدف تصفية الثورة الوطنية في الجزائر ، وطمس خصائص الحياة القومية والثقافية لشعب الجزائر . وعلى الرغم من خطورة الوضع ، تلقى مجلس الامن الرسالة ، دون ان يتخذ اي اجراء بصددها . واستمرت الحرب في الجزائر ، عنيفة ، شديدة .

وفي السادس والعشرين من يناير عام ١٩٥٥ ، طلبت اربع عشرة دولة افريقية ـ اسيوية ، هالها الوضع في الجزائر ، ادراج قضيتها في جدول اعمال الدورة العاشرة للامم المتحدة . وقد قررت اللجنة العامة عدم ادراج هذا الموضوع ، ولكن الجمعية العامة عكست توصية لجنتها العامة .. وهنا انسحبت فرنسا من الجمعية العامة ومن لجانها الرئيسية . ثم اذعنت الجمعية العامة ، لحساسية فرنسا، ولاعتبارات اخرى غير كريمة، وقررت عدم المضي في بحث القضية ، وهكذا لم يعد هذا الموضوع على جدول اعمال تلك الدورة ، واستمرت الحرب في الجزائر على عنفها وشدتها .

وعندما ساء الوضع في حرب الجزائر كل السوء ، تقدمت سبع عشرة دولة افريقية اسيوية في الثاني عشر من ابريل عام ١٩٥٦ ، الى مجلس الامن تلفت انتباهه الى الوضع الخطر الذي يسود الجزائر ، وتحذره من ان الحرب فيها تهدد السلام والامن في المنطقة ، وطلبت اتخاذ الاجراءات اللازمة لضمان احترام حق تقرير المصير وسائر الحقوق الانسانية الجوهرية الاخرى . ولكن انتباه مجلس الامن بقي من غير انتباه ، واستمرت الحرب قوية عنيفة .

وتقدمت ثلاث عشرة دولة افريقية اسيوية ، في الثالث عشر من

يونيو عام ١٩٥٦ ، وقد أقلقها أشد القلق ما يدور من أعمال القمع في الجزائر ، بطلب الى مجلس الامن ترجوه فيه عقد جلسة عاجلة لوضع حد للحرب الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ، ولكن مجلس الامن رفض طلب التدخل .. واستمرت الحرب في الجزائر على شدتها .

وفي اليوم الاول من اكتوبر عام ١٩٥٦ ، وكانت العمليات العسكرية مستمرة في الجزائر ، وكان يصحبها الكثير من اعمال الارهاب والتعذيب ، تقدمت خمس عشرة دولة افريقية اسيوية ، بطلب لادراج قضية الجزائر في جدول اعمال الدورة الحادية عشرة . وقد ادرجت القضية في الجدول، وبحثت بحثا عميقا ، واتخذت الجمعية العامة قرارا اجماعيا ، اعربت فيه عن املها في ايجاد حل ديمقراطي سليم عادل ، بروح من التعاون ، وبالوسائل المعقولة ، ينطبق على مبادىء ميثاق الامم المتحدة . ولكن فرنسا لم تأبه بقرار الامم المتحدة . ولم يبد في الجو ، امل في الوصول الى حل ديمقراطي عادل شريف ، واستمرت الحرب في الجزائر قوية عنيفة .

وفي السادس عشر من تموز يوليو عام ١٩٥٧ تقدمت اثنتان وعشرون دولة افريقية اسيوية ، وقد هالها موقف فرنسا ، بطلب لادراج قضية الجزائر في جدول اعمال الدورة الثانية عشرة . وقد ادرج الموضوع فعلا ، ودرست القضية من جميع نواحيها ، واتخذت الجمعية قرارا اجماعيا اعرب عن القلق الخطير الناجم عن الوضع في الجزائر ، وسجل عرض الوساطة الذي تقدم به ملك المغرب ورئيس تونس .. واكد الرغبة في اجراء محادثات بروح من التعاون الفعال ، تستهدف الوصول الى حل يتفق مع مبادىء ميثاق الامم المتحدة واهدافها ... وتجاهلت فرنسا من جديد هذا القرار .. ولم يبد في الجو امل في الوصول الى حل على اساس الميثاق .. واستمرت الحرب في الجزائر ، ملتهبة مشتعلة .

وفي السادس عشر من يوليو عام ١٩٥٨ ، تقدمت من جديد اربع وعشرون دولة افريقية اسيوية ، وقد تأثرت بالتطورات المؤلمة في الجزائر ، بطلب لادراج القضية في جدول اعمال الدورة الثالثة عشرة . وقد ادرج الموضوع ، ودرست القضية دراسة عميقة ، وقدمت سبع عشرة دولة ، مشروع اقتراح يشير الى حق الشعب الجزائري في الاستقلال ، والى

أستعداد حكومة الجزائر المؤقتة ، للدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية ، وحث القرار الفريقين على الوصول الى تسوية عن طريق التفاوض وتتفق وميثاق الامم المتحدة ، ولكن فرنسا لم تتقدم باية خطوة جديدة واستمرت الحرب في الجزائر ، في عنفها وشدتها .

وطلبت خمس وعشرون دولة افريقية اسيوية في العام الماضي اي في الرابع عشر من يوليو عام ١٩٥٩ ، في محاولة جديدة لوضع حد للحرب الاستعمارية في الجزائر ، ادراج الموضوع في جدول اعمال الدورة الرابعة عشرة . وقد ادرج فعلا ، ودرست القضية دراسة وافية .. واقر مشروع قرار تقدمت به اثنان وعشرون دولة ، باغلبية مطلقة في اللجنة السياسية ، وعندما قدم الى الجمعية العامة عدل بمشروع اخر اكثر اعتدالا وهدوءا ، ولكنه هزم واستمرت الحرب في شدتها وعنفها .

وبسبب ظاهرة غريبة وفريدة في نوعها ، ولا سابق لها في سجلات الامم المتحدة منذ انشائها ، اود التوقف لحظة واحدة ، واستميحكم عذرا في تلخيص ذلك القرار على مسامعكم ...

لقد استعاد مشروع القرار في مقدمته يا سيدي الرئيس ، قرارين سبق للامم المتحدة ان اتخذتهما ، كما استعاد المادة الاولى من الميثاق ، واعرب عن القلق من استمرار الاعمال الحربية في الجزائر . واعترف مشروع القرار في شطره الرئيسي ، بحق الشعب الجزائري في تقرير المصير ، وحث على اجراء محادثات للوصول الى تسوية سلمية على اساس حق تقرير المصير ، وطبقا لمبادىء الميثاق . ولم يكن المشروع في شكله او مادته ، وفي مقدمته او نصه الرئيسي ، الا تكرارا لكلمات الميثاق، وسياسة فرنسا في الجزائر كما اعلنها الرئيس ديغول .

وهكذا كان مشروع القرار ، بسيطا ، وصريحا وبريئا . ولم ينطو على اي استنكار لموقف فرنسا ، كما لم يحتو على اية اشارة مهينة لها . وكان من الواجب ، اقرار مثل هذا المشروع في الامم المتحدة ، لو كانت المنظمة تستمد وحيها والهامها من الميثاق ليس الا ، وان يكون اقراره مشفوعا بالتصفيق والحماس . اجل كان من الواجب اقراره لا بالاقتراع فقط ، بل وبالهتاف ايضا . ولكنه هزم مع ذلك ، ليسجل في هزيمته، هزيمة للامم المتحدة نفسها ، وللمبادىء السامية التي ينطوي عليها

ميثاقها . وستقيم الاحداث الدليل القاطع ، على أن هذه الهزيمة عارضة، لان النصر النهائي سيكون الى جانب الحرية مهما غلت التضحيات ، ومهما طال امد الصراع .

ولكن الطريقة التي هزم فيها مشروع القرار ، اكثر بعثا للاسى والالم، فعند الاقتراع عليه ، فقرة فقرة ، اقرت الجمعية العامة ، باغلبية تفوق اغلبية الثلثين المطلوبة ، الفقرات كلها . ولم يقترع الا صوت واحد ضد حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره . ونالت الفقرة التي تدعو الى عقد محادثات للوصول الى حل سلمي على اساس تقرير المصير ، ثمانية اصوات تزيد على اغلبية الثلثين المطلوبة . ولكن عندما جرى الاقتراع على مشروع القرار بكامله ، وقعت المشكلة المحيرة ، فقد هزم القرار الذي قبل فقرة فقرة !!

ومثل هذه الهزيمة يا سيدي الرئيس ، لا تدعو الى الاسف فحسب ، بل تثير الاشمئزاز والاستنكار . وقد زعم الوفد الفرنسي في الامم المتحدة، في بيان رسمي ، اصدره بعيد الاقتراع ، بان هزيمة مشروع القرار ، كانت نتيجة ، « الخطط والتعاون بين فرنسا ومجموعة من اصدقائها » .

ومن المعقول في المشاكل ذات الطبيعة العادية ، سواء اكانت سياسية او غيرها ، ان تلجأ دولة عضو الى احباط مشروع قرار بخططها واساليبها. فاساليب الاقتراع مقبولة ... ومناورات الاجراءات قد يتساهل بها ، اما في القضايا ذات الاهمية الدولية الخطيرة ، فلا يمكن التسامح بمثل هذه المناورات . هذا هو قانون الاجراءات البرلمانية ، وحسن السلوك . واستخدام الاساليب والمناورات لهزيمة قرار يستند الى فقرة في الميثاق ، ليس بالمحاولة اللائقة الكريمة ، ولا ريب في ان قيام فرنسا بهزم قرار يستند الى سياسة فرنسا ، والى بيانات رئيسها العظيم الجنرال ديجول ، خطة تتناقض مع شرف فرنسا ومع كرامة الامم المتحدة .

ومن حقنا ان نوجه سؤالا ، عن الاساس الذي ادى الى هزيمة مثل هذه المحاولة لاحلال السلام ، وعن كيفية فشل نداء يدعو للتفاوض . وفي وسعي ان اقول ، دون ان اكون مجافيا للدماثة في قولي يا سيدي الرئيس، وبدون اي اطراء او مديح ، بل بمنتهى الصراحة والاخلاص ، ان الدول الغربية ، هي التي تولت في الدورة السابقة قيادة الامم المتحدة الى هاوية ذلك الموقف الباعث على الاسى والاسف . وبدلا من ان تثبت ادعاءها ،

https://albordj.blogspot.com

بالتعلق بالحرية ، وجهت اليها ضربة قاصمة ، وبدلا من الذود عن حياض الديموقراطية ، اختارت تأييد سياسة تقوم على النفاق .

فلقد اتبعت الدول الغربية ، طيلة المناقشة ، مع استثناء بعض الدول الكريمة منها ، خطا واضحا ومحدودا من الدفاع، وكانت هناك خطة واضحة لرد الحجج الاستعمارية ، لم تكن وليدة صدفة عارضة مطلقا ، بل حسرت النقاب عن دلائل استراتيجية واحدة ، فضحها الوفد الفرنسي بعد ان حققت الخطة اهدافها . تماما طبقا لما هو متفق عليه ، اذن حسنا ، فعلينا الان ان نستعرض ولو لحظة واحدة ، اين نقف في الوقت الحاضر .

وكما سبق لي ان اوضحت في هذه اللجنة في العام الماضي ، ان قضيتنا في الجزائر ، بسيطة ، وواضحة اجلى وضوح . فقد فهمنا البيان الذي اصدره الرئيس ديجول في السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٥٩ ، والذي اعترف فيه بحق شعب الجزائر ، بتقرير مصيره ، وعلى الرغم من بعض المنافذ في هذا البيان ، من هنا وهناك ، المصحوبة ببعض الجيوب الخطرة ، التي اخفيت بصورة ماكرة بين الاسطر ، الا ان حكومة الجزائر المؤقتة ، وجدت فيه خطوة ، في الاتجاه السليم ، بعد ان اعترف بحق تقرير المصير كحق طبيعي للشعب الجزائري . واعربت الحكومة الجزائرية ايضا عن استعدادها للفاوض مع فرنسا على الشروط والضمانات ، وبينها وقف اطلاق النار ، التي تمكن الشعب الجزائري ، من ان يقرر بحرية مصيره المقبل . ولا ريب في ان هذا الموقف من جانب الحكومة الجزائرية في منتهى الاعتدال . ولم تصر حكومة الجزائر على الاستقلال الفوري، مع ان هذا حق من حقوقها . ولم تصر ايضا على الاعتراف بها اعترافا واقعيا او قانونيا كاملا .. ولم تطالب باية امتيازات سياسية ، كما لم تقترح اي نظام ، او شكل حكم ، أو دستور معين ، ولكنها اعلنت على النقيض من ذلك بمنتهى الصراحة ، أن مستقبل الجزائر يجب ان يترك الى الشعب الجزائري نفسه ليقرره .. وقد اعلنت حكومة الجزائر يوم قيامها ان المصير السياسي للجزائر ، سيضعه شعب الجزائر نفسه . ولهذا فقد اطلقت على نفسها اسم حكومة الجزائر المؤقتة ، وهذا يفسر ايضا قبولها بسياسة الرئيس ديجول ، الرامية الى اعطاء شعب الجزائر ، حرية الاختيار .. ولما كانت الحكومة الجزائرية واثقة من رغبة الشعب الجزائري ، فقد وافقت على مبدأ حرية الاختيار . واذا ما آثر الشعب الجزائري الاستقلال ، فان اختيارها سيكون الاستقلال ، اما اذا آثر الاندماج مع فرنسا ، فستختار

الاندماج ، واذا آثر الاتحاد الائتلافي « الفيدراسيون » مع فرنسا فستؤثر الاتحاد ايضا . وقد اعلنت حكومة الجزائر ارتباطها بما يختاره الشعب . وكل ما تطلبه ، ان يكون الاختيار حرا ، وان يتم في ظروف تضمن حريته . وقد اعلنت الحكومة الجزائرية رغبة منها في خلق هذا الجو من الحرية ، استعدادها ، للتفاوض مع فرنسا على الخطوات الضرورية الواجب اتخاذها في هذا السبيل ، وبينها وقف اطلاق النار .

هذه هي القضية الجزائرية بحذافيرها ، كما اعلنتها حكومة الجزائر ، وكما نقلتها الوفود الافريقية الاسيوية الى هذه اللجنة الموقرة في العام الماضي .

فما هي قضية فرنسا يا ترى ؟ لقد قدمت فرنسا قضيتها اولا وراء الستار . فقد آثرت فرنسا التغيب عن تلك الجلسة ، كما تتغيب اليوم عن جلستنا هذه . ولقد كانت فرنسا طيلة دورات ست ، تتارجح بين الحضور والغياب ، وبين الاعتراف بصلاحية الامم المتحدة ، وانكار هذه الصلاحية. ولقد اشار الرئيس ديجول ، حتى بعد افتتاح هذه الدورة الى هذه المنظمة بانها « ما تسمى بالامم المتحدة » ويبدو ان فرنسا في حاجة الى من يذكرها بانها عضو في هذه المنظمة « المسماة بالامم المتحدة » . وانها عضو دائم في مجلس امنها . ونحن نوافق الرئيس ديجول ، في ان الامم المتحدة قد فشلت في اكثر من ناحية وفي اكثر من وقت . ولكننا اذا اردنا تعداد الاسباب التي ادت الى هذا الفشل ، تحتم علينا ان نضع تحدي فرنسا في مقدمتها . واذا اردنا ان نضرب مثلا واحدا على ذلك قلنا ان فرنسا قد تحدت في قضية الجزائر ، ميثاق الامم المتحدة والتزاماتها تجاه هذا الميثاق . وليست مشكلة الجزائر ، بالحديثة العهد ، فهي كقضية استعمارية ، مشكلة قائمة منذ اكثر من مائة وثلاثين عاما ، وقد طال امد الحرب فيها اكثر من خمسين عاما ، ويكفي اننا اختلفنا مع فرنسا في هذه اللجنة طيلة السنوات الست الماضية في ثلاث قضايا ، وهي التهدئة والانتخاب والتفاوض ، وايها يجب ان يكون الاول ، وايها يجب ان يكون الثاني او الثالث .

ومهما يكن فلقد كانت خطة فرنسا الستراتيجية في الدورة الماضية كما نفذها اصدقاء فرنسا ومؤيدوها ، مدمرة ، بالاضافة الى ما فيها من غرابة وقتام . ولقد اصرت الدول الغربية على وجوب اعطاء فرنسا الوقت لتنفيذ سياستها المرتكزة على تقرير المصير . وقد وجهت هذه الدول ، في

عبارات متشابهة ، النداء تلو النداء ، بان لا نغضب فرنسا ، وان لا نستثير مشاعرها . وان لا نزعجها لانها ام الديمقراطية ، وقد حثتنا هذه الدول ايضا على تصديق فرنسا ، وعدم ارباك الوضع الدقيق الحساس . كانت هذه النغمة هي المسيطرة طيلة الدورة ، ونحن نذكر ان مندوب المملكة المتحدة ، قد اعلن بان اية كلمة متسرعة ، قد تؤثر على الوضع ، وان السبيل الوحيد الذي يجب اتباعه ، هو عدم اتخاذ اي قرار . وحثت الولايات المتحدة بدورها على ضبط النفس ، واكدت وجوب اتخاذ سبيل في العمل ، ينطوي على عدم العمل . واعلنت استراليا في تأيدها لسياسة عدم اتخاذ اي قرار ، ان ثمة اخطارا في استباق الاحداث ، وان اي قرار قد نتخذه ولا ترضى به فرنسا ، لن يكون مجديا . وايدت ايطاليا بدورها وجوب تجنب الامم المتحدة ، اتخاذ اي اجراء قد يعرقل فرص الوصول الى وقف اطلاق النار والى حل مبكر للمشكلة .

وكان هذا هو الاطار الذي وضعت فيه الخطة الاستراتيجية لدول حلف الاطلنطي ، في منع الامم المتحدة من اتخاذ عمل كريم ، والزامها بتخاذل مخضب بالدماء . وقد وصفت هذا التخاذل ، بالتخضب بالدماء لان سفك الدماء ، ما زال هو الامر اليومي في الجزائر ، فالحل لم يوضع ، ووقف اطلاق النار لم يحدث ، والحاصد العبوس للحرب ، ما زال يحصد الارواح دون تمييز بين رجل وامراة وطفل ، وبين فرنسي وجزائري ، وبين عسكري ومدني .

واذا ما استعرضنا سير مناقشاتنا في العام الماضي، ولكن بضمير حي ، وعقل متفتح ، فعلينا جميعا ، ان نأسف لسياسة التخاذل ، التي سيقت الامم المتحدة اليها ، او ضللت لاتخاذها ، اذا شئنا الصراحة في التعبير ، وانا لا اطالب فرنسا بالندامة ، اذ ان الندامة لن تبعث الالوف من الارواح التي فقدت سواء اكان اصحابها من الفرنسيين ام من الجزائريين . ونحن نحزن لموت الفرنسي ايضا ، فهم اخوان لنا في الانسانية ، ومما يؤسفنا اشد الاسف انهم يموتون في سبيل قضية غير كريمة .

وهكذا يا سيدي الرئيس ، لولا هذا العناد الذي بدا من دول حلف الاطلنطي تأيدا لسياسة التخاذل او عدم العمل ، لكان في الامكان حل مشكلة الجزائر ، ولكان عام ١٩٦٠ سنة سلام بدلا من ان يكون كما نشهده، سنة حرب ، بكل ما تنطوي عليه الحرب من شقاء وثكل ودمار . ولقد دخلت الحرب الجزائرية في الاول من نوفمبر المنصرم ، اي قبل خمسة

اسابيع فقط ، سنتها السابعة ، وقد تحدث ، رئيس وزراء حكومة الجزائر بهذه المناسبة الى الشعب الجزائري مخاطبا اياه بالكلمات التاريخية التالية :

« ستدخل حرب الجزائر غدا ، في الاول من نوفمبر عام ١٩٦٠ سنتها السابعة ... وستستمر الحرب في سبيل التحرر والاستقلال ، مع كل ما تجره في ذيلها من آلام وتضحيات .. وكان في امكان اعلان السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٥٩ ان يكون اساسا لحل سلمي للصراع ، وان يكون عام ١٩٦٠ ، سنة سلام » وقد اقتبست هذه العبارة من خطاب رئيس وزراء الجزائر ، لا لاضع المسؤولية حيث يجب ان تكون ، بل لاؤكد انه بالنسبة الى الجزائر ، لم يكن عام ١٩٦٠ سنة سلام ، بل سنة حرب . والسبب الوحيد في هذا هو ان الامم المتحدة تراجعت الى سياسة التخاذل ، وتنكرت لواجبها ، وتخلت عن مسؤوليتها . ولكن ما يهمنا في الوقت الحاضر ، هو ان نستخلص عبرة من الماضي ، بالنسبة الى المستقبل ، وان نجعل من عام ١٩٦١ ، سنة سلام ، لا سنة اخرى في تقويم الحرب .

وعندما اتحدث متدفقا بالحماس والعاطفة في هذه القضية ، لا اشعر بان من واجبي الاعتذار عن حماسي . فالقضية ليست مجرد موضوع سياسي عادي . فالحرب في الجزائر هي الحرب الوحيدة في العالم التي تدور في عصر الامم المتحدة ، وهي دائرة على اشدها ، وخطرها يهدد السلام العالمي بكامله . وقد بلغت الآلام الانسانية في الجزائر طيلة سنوات عدة ، حدا يفوق التصور ، ففي عام ١٩٤٥ ، وكان العالم يحتفل بيوم النصر ، قامت جماعة من الجزائريين بمظاهرة سلمية تطالب بتطبيق مبادىء شرعة الاطلنطي على الجزائر ، فشن الفرنسيون حملة من القمع والارهاب اسفرت عن مصرع خمسة واربعين الف جزائري .. ولم تنف فرنسا نبأ المذبحة ، ولكنها زعمت ان رقم الضحايا لم يكن صحيحا ! وهناك اليوم اكثر من مليون ونصف المليون من الجزائريين ، حشرهم الجيش الفرنسي بالقوة في المعسكرات ، وهم يواجهون الان خطر الموت جوعا ، اما بالنسبة الى ما فرضته الحرب من جزية ، فيقدر الخبراء العسكريون ، ان مجموع خسائر الفرنسيين قد بلغ زهاء المائة الف ، وان ضحايا الجزائريين يفوقون هذا العدد كثيرا ، وتقدر خسائر فرنسا المادية من الناحية المالية ، باكثر من ثلاثة ملايين دولار في كل يوم . واذا ما تطلعنا الى الحرب الجزائرية من ناحية تاثيرها على الاستقرار السياسي في فرنسا ، وجدنا انها قد وجهت الى هذا الاستقرار ضربة قاصمة ، فمنذ بداية الحرب شهدت فرنسا سبع حكومات

وجمهوريتين ودستورين !! وقد ادت الحرب من الناحية الاقتصادية الى عدد من تدابير تخفيض النقد التي لم يعلن عنها ، والى كثير من الافلاسات التي لم يذع امرها ، وانني اعرض جميع هذه الحقائق ، لكي يتمكن كل فرد منا من التفكير . وعلى اصدقاء فرنسا بصورة خاصة ، ان يبذلوا كل جهد ، لاخراج فرنسا من هذه الحرب المدمرة ، اذا كانوا حقا يسهرون على مستقبل فرنسا ورفاهيتها . .

ولكن اصدقاء فرنسا ، من دول حلف الاطلنطي ، قد شاءوا لسوء الحظ ، ان يقحموا انفسهم في تناقض غريب . فهم في الامم المتحدة ، يتبعون سياسة تقوم على عدم اتخاذ اي قرار ، اي سياسة عدم العمل والتخاذل . اما في خارج الامم المتحدة ، فيتبعون سياسة من التقرير والعمل . فلقد قدم ضمن نطاق حلف الاطلنطي ، كل نوع من انواع المساعدة لفرنسا ، لمواصلة حربها الاستعمارية ، الحرب التي تشنها لاعادة احتلال البلاد ، وهزم قضية الحرية ، التي يبذل شعب الجزائر في سبيلها زهرة شبابه .

واذا اردنا الحديث عن دور حلف الاطلنطي في حرب الجزائر ، فعلينا ان لا نقصر حديثنا على التعميم ، من الواجب اطلاع الامم المتحدة على حقائق هذه المساعدة ، لسبب واحد واضح ، وهو عدم السماح لحلف الاطلنطي بتحطيم المثل الرفيعة للامم المتحدة ، ولا ريب في ان الحقائق اكثر بساطة من ان تذكر وتعد .

فلقد تمكنت فرنسا بفضل الفرق الثلاث التي وضعتها تحت تصرف حلف الاطلنطي في اوروبا من تجهيز جيشها بمعدات حلف الاطلنطي ، قبل ارساله الى مسارح العمليات العسكرية في الجزائر بموافقة دول الاطلنطي . وهكذا وجد الشعب الجزائري نفسه يحارب فرقتين فرنسيتين في شرق بلاده وفرقة اخرى في الغرب ، وهي فرقة المشاة المدرعة والفرقة الآلية السريعة السابعة وفرقة المشاة المدرعة الرابعة .

وجميع معدات الحرب في الجزائر ، حتى معدات الوحدات الصغيرة ، والمستشفيات ، كلها من معدات حلف الاطلنطي ، ويقيم المدربون العسكريون الامريكيون في الجزائر ، اما قطع الغيار ، فهي امريكية الصنع ، ويتم تدريب الطيارين الفرنسيين الذين يعملون في الجزائر تحت اشراف حلف الاطلنطي .

وقرر الحلف في الخامس والعشرين من يونيو عام ١٩٥٥ ، اعطاء الاولوية لفرنسا في تجهيز طائرات الهليو كبتر من طراز سيكورسكي ، وذلك

للعمل في الجزائر .

وطلبت الحكومة الفرنسية في مارس عام ١٩٥٦ ، خمسين طائرة من طائرات الهليوكبتر من الولايات المتحدة وقد ذكرت صحيفة ليموند الفرنسية ان القصد من هذه الطائرات العمل في الجزائر ، وهذه الطائرات من ذوات المحركين وتسمى « بالموز الطائر » او « حصان الشغل » وقد خصصت للعمل في جيش امريكا وأسطولها ، وأطلق عليها اسم H-2 وقد سلمت الشحنة الاولى منها لفرنسا في يونيو عام ١٩٥٦ .

وقدرت مشتروات فرنسا من الاسلحة من الولايات المتحدة في عامي ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، ولا سيما للعمليات الجوية بما يعادل خمسمائةمليوندولار تقريبا .

ووافقت الولايات المتحدة في يونيو عام ١٩٥٩ على ان تبيع للجيش الفرنسي في الجزائر ، خمسا وعشرين طائرة ثقيلة من طائرات الهليوكبتر ، وعدد غير محدود من الطائرات المحاربة من طراز (تـي ٢٨) التي تحتاجها فرنسا للعمل في الجزائر .

وسلمت الولايات المتحدة الى فرنسا في يناير عام ١٩٦٠ ستين طائرة اخرى من طراز (تي ٢٨) كما طلبت فرنسا مؤخرا ستا وتسعين طائرة اخرى .

واوقفت فرنسا اثناء الحرب الجزائرية ، وخلافا للقانون البحري الدولي ، عام ١٩٥٩ نحوا من ٤١٣٠٠ باخرة ، وفتشت ٢٥٦٥ وارغمت ٨٣ منها على تحويل اتجاهها ، والفضل في ذلك كله يعود الى حلف الاطلنطي . ويقوم الاسطول الامريكي ، الذي يعمل باستمرار في البحر الابيض المتوسط، بتقديم خدمات الرادار اللازمة لفرنسا في هذه العمليات .

وتقوم طائرات امريكا البحرية في البحر الابيض المتوسط بتقديم عونها بالاضافة الى كل هذا ، الى فرنسا ، وقد وضعت امريكا اثنتين من حاملات طائراتها التي تزن (١١) الف طن تحت تصرف فرنسا ، وهما تشتبكان في حرب الجزائر ، وقد تبين ان غارات الفرنسيين على ساقية سيدي يوسف التي جرت يوم الجمعة في الثامن من فبراير عام ١٩٥٨ ، والتي حقق فيها مجلس الامن الدولي ، قد تمت بطائرات امريكية الصنع من طراز (بي ٢٦).
ولقد اعلن المستر دوغلاس ديلون ، سفير الولايات المتحدة السابق في

باريس ، « ان استخدام المعدات الامريكية ضد ساقية بن يوسف لا يمكن التسامح به او غفرانه » ..

واعترف المستر ديلون بصدد الاسلحة الاخرى التي استخدمت في هذه المذبحة ، بان بعض هذه الاسلحة ، كان من التجهيزات العسكرية التي قدمتها الولايات المتحدة الى فرنسا ضمن نطاق حلف الاطلنطي . اما البعض الاخر فكان ملكا خاصا لفرنسا .

وقد رفعت دائرة الحسابات العامة الامريكية في تقرير لها الى لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكي ، أرقاما تتناول مساهمة امريكا وحلف الاطلنطي في الاعمال العدوانيةالفرنسية ضد الشعب الجزائري، وقد ذكرت هذه التقديرات « كميات هامة » من الاسلحة الامريكية قد ارسلت من فرنسا الى الجزائر .

وقد دارت جميع هذه الوقائع يا سيدي الرئيس ، باطلاع حلف الاطلنطي الكامل ، واود ان اقول ، باشتراكه ايضا . ولقد اصدر مجلس الحلف بلاغا رسميا في السابع والعشرين من مارس عام ١٩٥٦ جاء فيه :

« لقد استمر مجلس حلف الاطلنطي في الاطلاع على ما اجرته فرنسا من تخفيضات في القوات التي وضعتها تحت تصرف الحلف ، ودرس المجلس الوضع الناجم في اوروبا عن هذه التحركات العسكرية ، وقد اخذ المجلس بعين الملاحظة ان فرنسا تعتبر من الضروري حرصا على امنها الخاص ، زيادة القوات الفرنسية في الجزائر ، وهي جزء من المنطقة التي يشملها الحلف باختصاصه ، ويعترف المجلس باهمية الامن في هذه المنطقة لحلف شمال الاطلنطي » .

اما بالنسبة الى العون المادي الذي قدمه حلف الاطلنطي الى فرنسا ، والذي قدمته الولايات المتحدة بصورة خاصة ، فيكفي ان نلاحظ بان نفقات الحرب في الجزائر تحسب جزءا من اسهام فرنسا في « الدفاع المشترك » . وهذه حقيقة ذات اهمية رئيسية ، اذ تقيم الدليل على مسؤولية حلف الاطلنطي الخطيرة في الحرب الجزائرية ، فالنفقات الحربية التي تصرفها فرنسا على اعمالها في الجزائر ، هي جزء على كل حال من نفقات حلف الاطلنطي .

ومن المهم ان نلاحظ انه في الثلاثين من يناير عام ١٩٥٨ ، منحت

الولايات المتحدة (٦٦٥) مليونا من الدولارات لفرنسا وبعض بلاد دول حلف الاطلنطي . وقد اكد الوفد الفرنسي الذي جاء الى واشنطن للحصول على هذا العون ، في مذكرته ، النتائج المالية الخطيرة للحرب في الجزائر .

وهكذا في وسعنا ان نقول يا سيدي الرئيس ، بكل اطمئنان ان الحرب في الجزائر ، كانت الشيء الوحيد الذي حققه حلف الاطلنطي منذ انشائه ، ولقد ذكر ان الخطط العسكرية التي وضعها الحلف للدفاع عن مجموعة دول شمال الاطلنطي ، كانت فاشلة ، فما زال النقاش يدور حول المواقع التي يجب ان تكدس فيها القنابل النووية ، وحول من يمكنه اطلاقها ، ومتى يمكن اطلاقها . ولم يحقق الحلف في ميدان التعاون الاقتصادي اي تقدم بسبب الاصطراع في المصالح والتنافس على الاسواق والمواد الاولية . وهكذا فان النجاح الوحيد الذي حققه الحلف هو مواصلة الحرب الاستعمارية في الجزائر ، والسبب في هذا، على حد تعبير اندريه فونتين ، المعلق المعروف في صحيفة ليموند ، « ان حلف الاطلنطي ، قد اصبح اتحادا لاولئك الذين يحنون الى الاستعمار ، ولاولئك الذين لا يحلمون ، على الرغم من مزاعمهم الانسانية، الا بالدفاع عن امتيازاتهم ، وتوسيعها » ..

ولا تفقه فرنسا على اي حال ، اشتراكها في حلف الاطلنطي ، الا عن طريق الجزائر ، والجزائر وحدها . فالنظرية الفرنسية تقول بان على جميع الدول الاعضاء في الحلف ، تأييد موقف فرنسا في قضية الجزائر ، دون شرط او تحفظ او سؤال . ولقد ذكر رئيس الوزراء الفرنسي السابق فيليكس غايار ، ان من الخيانة من جانب الدول الاعضاء في الحلف ، ان يتخلوا عن تأييد فرنسا في قضية الجزائر ، ولقد قال: « ان من غير الممكن ان يكون الانسان حليفا في مكان ما ، وان لا يكون هذا الحليف في نفس الوقت وفي كل مكان اخر » . وتذكرني هذه الاقوال يا سيدي الرئيس بالفلسفة النازية ، على الرغم من ان فرنسا كانت من اول ضحاياها . فعلى البوابة الرئيسية لاحد معسكرات الاعتقال النازية في الحرب الكونية الثانية ، كانت هناك جملة منقوشة تقول « انني مع بلادي ، سواء اكانت على حق او على غير حق » .. وهذه هي الحالة مع فرنسا بالنسبة الى حلف الاطلنطي ، فهي تريد منه ان يؤيدها ، سواء اكانت على حق او على باطل .

والحقيقة المجردة تبعا لذلك ، ان الولاء لحلف الاطلنطي ، اصبح هو المفضل على كل شيء ، ان خطأ وان صوابا . وقد غدا الولاءللحلف يحتل مكان الصدارة ، حتى بالنسبة الى الامم المتحدة التي بات الولاء لها في

المؤخرة . وعندما أقترعت اليونان وايسلندة ببسالة في عام ١٩٥٥ الى جانب ادراج القضية الجزائرية في جدول اعمال الامم المتحدة تولى السيد هنري سباك ، الامين العام للحلف ، توبيخ البلدين على سلوكهما في الامم المتحدة ، فقد اعلن في حديث صحفي لجريدة « الشعب » الفرنسية ما نصه « ان مفهومي عن الحلف هو ان من واجب دوله على الاقل ، ان تحاول تنسيق سياساتها الخارجية ، وانا لا استطيع ان اصدق كيف يمكن لدول ان تعقد حلفا بينها لتشترك في القتال ، في الحرب ، اذا كانت لا تستطيع ان تحيا مع بعضها بانسجام في اوقات السلام » . ولا ريب في ان هذا الموقف في منتهى الخطورة ، اذ انه يعني اننا اذا كنا لا نستطيع الاقتراع معا والتصويت معا ، فاننا لا نستطيع ان نحارب معا !!

وهكذا يا سيدي الرئيس فان مشكلة الجزائر ، تعري حلف الاطلنطي تمام العراء ، بميثاقه ونشاطه ، وسلوك اعضائه ، وارى لزاما علي ان اقول ان بعض اعضائه ، قد عزلوا انفسهم عن بعض هذه الجرائم . ولا ريب في ان هؤلاء يستحقون بالغ ثنائنا وجزيل اعجابنا . ولقد اثبتت الحرب الجزائرية ، ان حلف الاطلنطي مناوىء للامم المتحدة . فالولاء للحلف ، يقاس بسلوك اعضائه في الامم المتحدة . وعلى الدولة العضو ان تقترع في الامم المتحدة الى جانب سياسة دول الحلف الاخرى ، والا فانها تلقي اللوم والتوبيخ ، وقد تتعرض للحرمان ايضا ، والحرمان في حاضرنا لا يعني الطرد من الكنيسة ، وانما يعني وقف المساعدات العسكرية والاقتصادية . ومثل هذا الوضع يؤلف خطرا مباشرا على الامم المتحدة ، وتهديدا لسلامة اجراءاتها . واحباطا خطيرا لرسالتها النبيلة في الحفاظ على الامن والسلام .

واود ان اقول اكثر من هذا ، وان اذكر ان حلف الاطلنطي باتباعه هذه السياسة في الجزائر ، يتنكر لاهدافه التي سبق له الاعلان عنها. فالمفروض في الحلف كما زعم مؤسسوه ، ان يتوخى الدفاع عن الحرية والديمقراطية . وقد اثبتت حرب الجزائر ، ان الحلف يشن حربا عدوانية ضد الحرية والديمقراطية . وقد قيل اكثر من مرة ايضا ان الغاية من الحلف الدفاع عن العالم الحر ، ولكن الاعمال الفعلية لا مجرد الاقوال الطنانة الرنانة ، قد اثبتت ان الحلف منظمة عدوانية ، وان العالم « الحر » ، متحرر حقا ولكن من الحرية . وعندما وضع مشروع حلف شمال الاطلنطي للمرة الاولى اراد الرئيس ترومان ، اقناع الكونفرس الامريكي بوجاهة الفكرة ، فقال : اننا نلقى العون من جميع اولئك الذين

يحكمون أنفسهم بأنفسهم ، والذين يريدون أن يكون لهم صوت في ادارة شؤونهم .. وان حلفاءنا سيكونون اولئك الملايين من الناس ، الذين يتضورون جوعا ويظمأون عطشا للعدالة . فهذه هي الفكرة التي انشىء حلف الاطلنطي من اجلها. وهي أن يكون حصنا للعدالة، وان يلتف حوله جميع اولئك الذين يتضورون جوعا ويظمأون عطشا للعدالة . وقد أثبت تأريخ الامم المتحدة في هذه الحقبة ، حقيقة ما في هذه الاهداف المعلن عنها للحلف من اخلاص وصدق واصالة !! وفي جميع القضايا الاستعمارية التي تولينا درسها ، وفي طليعتها قضية الجزائر ، ظهر حلف الاطلنطي بمظهر الصديق الاول للاستعمار ، والعدو الاكبر للحرية ، ولقد كان الرئيس ترومان صادقا عندما تحدث عن الجوع والظمأ في حلف الاطلنطي ،ولكنه جوع الى الاستعمار ، وتعطش الى التوسع . ولا ريب في ان قضية الجزائر تقف خير دليل على ما اقول ، اذا كان النهار في حاجة الى دليل ..

ولهذه الاسباب ، يا سيدي الرئيس ، التي تختص بسيادة الجزائر القومية وبالسلام والامن الدوليين ، قررت حكومة الجزائر المؤقتة في الرابع عشر من اغسطس عام ١٩٦٠ رفض ادخال الجزائر في حلف الاطلنطي ، واعلان بطلان جميع الارتباطات التي التزمت بها فرنسا باسم الجزائر . وقد اعلنت حكومة الجزائر المؤقتة ، أن الجزائر ليست منطقة يشملها ميثاق الاطلنطي ، وقد حددت الحكومة الجزائرية سياستها التي تقوم على عدم الانحياز ، ووجهت ما يعتبر تحذيرا الى دول حلف الاطلنطي ، اذ قالت : « منذ اليوم تعتبر الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، اي اسهام من جانب منظمة حلف الاطلنطي ، أو الدول الاعضاء فيها في حرب الفتح والابادة الاستعمارية ، التي تشنها فرنسا في الجزائر ، عملا من أعمال العدوان ضد الشعب الجزائري » . وان من واجبنا ان نسجل في وثائق الامم المتحدة هذا الاعلان الصادر عن حكومة الجمهورية الجزائرية.

وقد اسهبت يا سيدي الرئيس ، في الحديث عن هذه الناحية من القضية الجزائرية ، وذلك لانها لباب المشكلة كلها . فهذه الحرب الاستعمارية حرب يشنها حلف الاطلنطي بقواته ومعداته وعونه الاقتصادي والسياسي . وطالما ان هذه السياسة ستستمر ، فان الحرب ستستمر ايضا ، اما في اللحظة التي يتوقف فيها هذا العون ، فان حدة الحرب تضعف ، وتقوى الامال في الوصول الى حل سلمي . ولا ينطوي حديثنا من حلف الاطلنطي بصدد موضوع الجزائر ، على اي غرض او تحيز ،

فالحلف غارق في صميم المشكلة الجزائرية الى اذنيه . وان كل ما ارجوه باخلاص وتواضع ، هو القول ، بان الوقت قد حان لانفصال الحلف عن الجزائر وقضيتها . فلقد حلت آلام وكوارث ، ووقع دمار هائل ، وسفك الكثير من الدماء ، واقترف الكثير من الاجحاف والظلم . واننا نوجه الدعوة الى دول حلف الاطلنطي لوقف عونها عن فرنسا ، في حرب تصفها فرنسا نفسها بمنتهى البلاغة بانها « حرب قذرة » وانني اقترح ان تستغفر دول حلف الاطلنطي عن سلوكها وان يتمثل ذلك ، بتحويل مساعداتها الى حكومة الجزائر في حربها المقدسة من اجل التحرر . واذا كانت هذه الدول ، لا تكترث بنداء الميثاق ، فان عليها ان تكترث بنداء الدم في الجزائر ، وبما جرته حربها من آلام وشقاء واحزان . وكل ما يطلب الى دول حلف الاطلنطي هو ان تقلب سياستها في الجزائر وهنا في الامم المتحدة رأسا على عقب . فبدلا من مناصرة فرنسا وتأييدها في حرب استعمارية، وفي حرب قذرة ، من الاكرم لها ان تنصر وتؤيد حربا من اجل التحرر ، لا تقل في امجادها عن ثورة امريكا ، او ثورة فرنسا ، او ثورة انجلترا وان تسهم كلها اسهاما سخيا وكريما في مأثرة عظيمة، هي مأثرة الحرية الانسانية.

وعندما اتحدث على هذا النحو ، آمل ان لا يحكم علي ، باني افلاطوني النزعة ، او مفرق في المثالية . فهذا هو الاتجاه الراهن للنفسية الفرنسية، وليس في وسعكم ان تكونوا اكثر ميلا لفرنسا من الفرنسيين انفسهم ، فهناك موجة عارمة من الليبرالية ، تطغى على فرنسا في الوقت الحاضر ، ولفرنسا فصل مجيد في الليبرالية . وهاهم قادة فرنسا ، وصفوة مثقفيها، يضعون خطة ثورية لمعالجة مشكلة الجزائر ، ولا ريب في ان هذه الخطة مدرسة جديدة في الفكر السياسي ، فلقد حكموا بعد تفكير عميق ، على أن الحرب الدائرة في الجزائر حرب عدوانية ضد شعب الجزائر .. ويقول المثقفون ، انه على ضوء هذه الحقيقة فان الجنود الفرنسيين غير مرغمين على الاشتراك في حرب الجزائر ، واذا ما لجأ الجنود الى الهرب من الخدمة ، فلن هروبهم لا يعتبر جريمة ضد الدولة . هذه هي المأساة التي تثير فرنسا كلها في الوقت الحاضر ، وتعصف بفؤادها ، وعندما يتحرك فؤاد فرنسا ، فان التاريخ سيعلن افتتاح فصل جديد من النهضة والاشراق الفكري .

لكن القضية لم تقتصر على النظريات ، فقد شرع الجنود الفرنسيون، وقد تأثروا بما في حرب فرنسا الاستعمارية في الجزائر من ظلم واجحاف، يهربون من الخدمة العسكرية . وهو فرار من صفوف الاستعمار الى

صفوف الحرية ، ويقف بعضهم اليوم أمام المحاكم العسكرية في فرنسا ، فمن هذه القاعة ، نبعث اليهم بجزيل اطرائنا لهم كابطال يحاولون تحقيق ما لم يتحقق من واجبات الثورة الفرنسية . ولكنهم لا يقفون في قفص الاتهام وحدهم .. فالى جانبهم يحاكم شركاؤهم الجزائريون .. انهم في الحقيقة ليسوا بالشركاء ، بل هم اخوة ورفاق ، يجمعهم كفاح مشترك من اجل الحرية والسيادة .

واود ان احذر الامم المتحدة ، بان هذا الموقف الذي يقفه الجنود الفرنسيون ، ليس منبثقا عن العاطفة والحماس ، انه موقف اتخذ على أساس الدراسة الثابتة الصحيحة التي قام بها فلاسفة فرنسا واساتذتها وساستها ، وصحفيوها ، ومختلف رجالاتها ، ولقد اعلن نحو من مائة وثمانين مفكرا يمثلون صفوة الفكر السياسي والثقافي في فرنسا ، في بيان أصدروه ، ان فرار الجنود الفرنسيين من الحرب في الجزائر ، لا يعتبر خيانة لوطنهم ، وان مثل هذا الفرار يجب ان يقابل على النقيض بالاحترام الزائد . واعلن هؤلاء المثقفون العظماء في نهاية بيانهم ما يلي :

« اننا نحترم كل من يرفض حمل السلاح ضد شعب الجزائر ، ونرى له مبررا في رفضه .

« ونحترم سلوك اولئك الفرنسيين الذين يشعرون بالنيابة عن الشعب الفرنسي . بان من واجبهم اضفاء العون والحماية ، على شعب الجزائر المضطهد ، ونرى لهم مبررا في ذلك .

« وان قضية شعب الجزائر ، التي تسهم اسهاما حاسما ، في تحطيم النظام الاستعماري تحطيما كاملا ، هي قضية جميع الاحرار في كل مكان » .

وقد تلوت هذه الاجزاء من البيان المعروف باسم « اعلان حق عدم الاشتراك في الحرب الجزائرية » ، يا سيدي الرئيس ، لاقول ان فرنسا نفسها ، قد بدات تساعد شعب الجزائر في حربه التحريرية ، وان فرنسا نفسها هي التي تطلب من جنودها ، أن لا يتابعوا الحرب الاستعمارية ، وان فرنسا تضرب المثل والقدوة للامم المتحدة لتحتذي حذوها ، ولا ريب في ان هذا الاعلان ، سيصبح خالدا في التاريخ « كالعهد الاعظم » (١) .

١ - العهد الاعظم Magna Carta هو الوثيقة المشهورة التي منحها الملك يوحنا الانجليزي في رونيميد على نهر التايمز للوردات البلاد عام ١٢١٥ والتي اعتبرت فيما بعد اساس الحريات في انجلترا ، ولعل اهم ما في هذا العهد ان الملك قد وعد للمرة الاولى بالتزام حدود القانون والتقيد به ، وكانت مظالم الملك يوحنا قد اثارت اللوردات عليه فحملوا السلاح ضده .

وسيذكره الناس تماما كما يذكرون الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، واذا كان مثقفو فرنسا يقفون هذا الموقف ، واذا كان الجنود الفرنسيون يهجرون قطعاتهم ، واذا كان الموظفون الفرنسيون يستقيلون من مناصبهم ،تأييدا لقضية الحرية ، فماذا يتحتم على دول حلف الاطلنطي ان يفعلوا للوصول بهذه الحرب في الجزائر الى نهاية ، ونهاية مشرفة .

وانني لاقترح بمنتهى الجد ، ان تقوم دول حلف الاطلنطي ، بما قام به الفرنسيون ، وانا اناشدها ، ان تقترف شرف الفرار من ميدان الجزائر ، حتى تقف بريئة امام محكمة التاريخ ، واذا ما استجابت الى نداء الحرية ، فانها تكون في استجابتها : قد اسدت خدمة عظيمة لقضية السلام . وستكون هذه الخدمة اعظم ، بالطبع ، لو انها حولت مساعداتها الى شعب الجزائر وقضيته . فهي قضية جديرة بالمساعدة ، كما يفعل عدد كبير من الناس في افريقيا وآسيا واوروبا وغيرها . ومثل هذه المساعدة التي احثكم على التقدم بها يمكن ان تكون في كل صورة ، وان تكون في كل شيء .. فنحن نناشدكم العون العسكري ، والمساعدة الاقتصادية ، والتبرع للاجئين ، وتقديم الكساء للاطفال ، والدواء للمرضى ... أما اولئك الذين لا يستطيعون تقديم شيء ، فاني اناشدهم ، اضعف الايمان، وهو ان يخصصوا يوما للصلاة والابتهال لنصر الجزائر .

وانا اوجه هذا النداء يا سيدي الرئيس ، لا لاننا من المغرمين بالحرب، او لان الشعب الجزائري من دعاتها . فلقد فرضت هذه الحرب على شعب الجزائر فرضا بعد مائة وثلاثين عاما من الاستعمار الفرنسي. ولقد لجأ هذا الشعب اليها ، بعد ان فشلت جميع الوسائل السلمية التي حاولها . ومع اعلان الحرب من جانب الجزائر ، صدر اعلان مماثل ، بالاستعداد للتفاوض للوصول الى تسوية سلمية على اساس مبدأ تقرير المصير . ومع البيان الذي صدر عن قيام الحكومة الجزائرية المؤقتة ، صدر بيان آخر ، بالاستعداد للوصول الى حل ديموقراطي عادل ، عن طريق المفاوضات المباشرة ، وعلى اساس تقرير المصير ، ومبدأ تقرير المصير الذي اعلنه الرئيس ديجول في بيانه في ايلول عام ١٩٥٩ ، هو عين

المبدأ الذي يناضل الشعب الجزائري في سبيل تحقيقه ، والذي تكافح الحكومة الجزائرية للوصول اليه . ومع ذلك فقد رفضت فرنسا عرض الحكومة الجزائرية للشروع في مفاوضات حرة ، وجرت اتصالات في اشهر مارس وابريل واغسطس واكتوبر من عام ١٩٥٦ بين الجزائريين وممثلي الحكومة الفرنسية لاعداد العدة لاجراء مفاوضات رسمية ، وقامت فرنسا في اكتوبر من ذلك العام نفسه بعملية قرصنة جوية ، فاختطفت الزعماء الجزائريين وهم في بعثة لاحلال السلام . واحبطت مساعي الوساطة التي قدمها ملك المغرب ورئيس تونس في اكثر من مناسبة . وتقدم عدد من الزعماء العالميين ، الذين لا أرى ضرورة للكشف عن اسمائهم ، عارضين الاستعداد للقيام بالتوفيق بصورة رسمية أو غير رسمية . واقترحت حكومة الجزائر المؤقتة في اكتوبر في عام ١٩٥٨ ، في ردها على خطاب « سلام الشجاع » الذي القاه ديجول ، الوصول الى حل شريف عن طريق التفاوض ، واعلنت استعدادها لايفاد ممثليها للشروع في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية . وعادت حكومة الجزائر فاقترحت في يونيو من عام ١٩٥٩ ، الاعداد لاجتماع يعقد مع فرنسا سعيا للوصول الى حل شريف للمشكلة . وردت حكومة الجزائر في سبتمبر عام ١٩٥٩ على خطاب الجنرال ديجول عن تقرير المصير ، فاعلنت استعدادها ، لايفاد مبعوثيها للاتصال بالحكومة الفرنسية وبحث شروط تطبيق تقرير المصير . وحاولت الحكومة المؤقتة في اكتوبر عام ١٩٥٩ ، عن طريق وساطة ملك المغرب ، البدء بالمفاوضات ، واعلنت في نوفمبر من العام نفسه اسماء خمسة من وزرائها ، للشروع في الاتصالات التمهيدية وذلك ردا على البيان الذي اصدره الجنرال ديجول .

ووجهت حكومة الجزائر المؤقتة في فبراير عام ١٩٦٠ رسالة شخصية الى الجنرال ديجول طلبت فيها ان يقرر ما اذا كان يرغب في استقبال موفد يحمل رسالة شخصية من الحكومة الجزائرية . وبعثت في يونيو من العام نفسه ، كمحاولة اخيرة ، وبعد خطاب الجنرال ديجول في الرابع عشر من يونيو ، مبعوثين الى ميلون ، تمهيدا لوصول وفد جزائري رسمي الى فرنسا .

وقد برهنت هذه المحاولة الاخيرة يا سيدي الرئيس اكثر من اي شيء آخر ، على ان فرنسا لا تنشد السلام ، وانما تنشد اعادة احتلال الجزائر . وها نحن نجد بيننا هنا في هذه القاعة ، المبعوثين الجزائريين بومنجل

وابن يحيى ، وهما على استعداد ، للتحدث اليكم بصورة رسمية او غير رسمية ، عن مهزلة ميلون ، لقد عوملا كما يعامل اسرى الحرب . ولم تكن محادثات ميلون ، محادثات بمعناها الصحيح ، وانما كانت بكلمات واضحة بسيطة انذارا ، وكأن الجزائر تسعى للحصول على شروط الاستسلام . وقد اوضح البلاغ الفرنسي الرسمي الذي نشر في التاسع والعشرين من يوليو بصراحة أن : « ممثلي الحكومة الفرنسية قد اوضحوا الظروف التي يمكن فيها اجراء المحادثات وتنظيمها » . وقد ابلغ المبعوثان الجزائريان بالسلوك الذي يجب ان يتبعه رئيس الحكومة الجزائرية عند وصوله الى فرنسا ، فعليه أن يقيم حيث تطلب اليه الاقامة ، وان يعمل ما يؤمر به ، وان لا يقابل احدا وان لا يتحدث الى اي انسان وافهم المبعوثان بأنه لن يقابل الرئيس ديجول الا بعد توقيع وقف اطلاق النار .

ومن الطبيعي يا سيدي الرئيس ، انه لشرف عظيم ان يقابل اي انسان الرئيس ديجول ، بوصفه بطلا عظيما من ابطال التحرير في الحرب ، ولكن رئيس الحكومة الجزائرية تواق لرؤية التحرير اولا ، ثم بطل التحرير ثانيا . فليس رئيس الحكومة الجزائرية ، ولا غيره من الجزائريين من عبدة الابطال . ان شعب الجزائر يعبد الحرية ، في عبادته لله . وهو لن يتوقف عن اطلاق النار ، لانه واثق من حصوله على حريته . ولكن اذا قدر لمحادثات ميلون ان تفشل ، فان على مناقشاتنا في نيويورك ان تكلل بالنجاح .

وعلى ذلك فان النجاح الحقيقي لقضية الجزائر ، وحلها الصحيح، يقومان في استقلالها . فالسيادة الكاملة والاستقلال التام ، والوحدة الاقليمية ، هي العناصر التي تؤلف الحل الوحيد لقضية الجزائر . ومن حقنا ان ندهش تمام الدهشة ، اذا ما رأينا الاستقلال محرما على الجزائر . فلقد غدت القطر الوحيد في شمال افريقيا الذي لم يستقل بعد . وليست هناك اية دولة في شمال افريقيا ، اكثر جدارة بالاستقلال من الجزائر . ولقد كانت مراكش وتونس وليبيا والجمهورية العربية المتحدة ، تعيش كلها في ظل السيطرة الاجنبية ، ولكنها حصلت على استقلالها . ترى ما هي خطيئة الجزائرحتى ترغم على خوض الحرب للحصول على استقلالها ، وقد وقع في هذه الدورة حادث فرض نفسه فلم يترك مجالا لاي تردد .. وانني اقول بان حق شعب الجزائر ، قد غدا ثابتا وغير قابل للنقاش . ففي هذه الدورة ، وهي دورة تاريخية ، لانها دورةافريقيا ، اعلن استقلال اكثر من اربع عشرة دولة افريقية ، وقبلت في عضويةالامم

المتحدة ، وقد رحبنا بها كلها . ولم يناقش أحد منا حقها في السيادة . فما هو السبب يا ترى في معاملة الجزائر معاملة مختلفة ؟ فلماذا لا تستقل الجزائر وتقبل في عضوية الامم المتحدة .. اننا نرغب رغبة اكيدةومخلصة في معرفة السر ، اذا وجدت العبقرية الكافية لدى اي انسان ليطلعنا على هذا السر . ولقد عرضت النيويورك تايمس في مقال افتتاحي اخير الوضع بالكلمات التالية :

« اما وقد غدت في هذا العام ، خمس عشرة مستعمرة فرنسيةسابقة دولا مستقلة ، فقد بات واضحا ان من غير المنطق أو المعقول ان تظل الجزائر ،وهي أكثر تقدما منها محرومة من حق تقرير المصير الذي وعد به الجنرال ديجول . وليس من المعقول أيضا بالنسبة الى ديجول ،وهو الانسان العملي ، ان يسلك في هذه القضية سلوك من يعتبرها غير ذاتشأن دولي ، وان يرفض حتى مجرد البحث فيها في الامم المتحدة » .

وانا لا اقول ما قالته النيويورك تايمس ، بان الجزائر اكثر تقدما من عدد من الدول الافريقية التي قبلت في عضوية الامم المتحدة ، فليس ثمة من ابتهج بهذا التطور اكثر من الجزائر ، التي تعتبر استقلال هذه الدول الافريقية عيدا لها . ولكنني اتفق مع النيويورك تايمس في ما قالته، من ان من غير المعقول ان ننكر على شعب الجزائر ، ما اعترفنا به لاخوانه من الشعوب الاخرى في نفس القارة . فما هو السبب وما هي العلة يا ترى ؟.

ولقد قيل ان في الجزائر مصالح فرنسية ضخمة ، واقلية فرنسية كبيرة . فدعوني اعالج هذه الاقوال ، واحدا واحدا ..

ان لفرنسا في الجزائر ، يا سيدي الرئيس ، من المصالح ، ما يشبه تلك التي عكفت جميع الدول الاستعمارية على اقامتها في مستعمراتها . ولا أود الخوض في اصل هذه المصالح ، وهل هي مشروعة أو غيرمشروعة. ولكنني أريد ان اقول ، انه ليست هناك دولة استعمارية واحدة ، وهذا يشمل فرنسا طبعا ، لم تكن لها مصالحها في البلاد غير المستقلة . ولكن هذه المصالح لم تكن في يوم ما عائقا في طريق الاستقلال . فلقد كانتالهند الدرة الكبيرة فيالتاج البريطاني ، ومع ذلك فقد اعترفت بريطانيا باستقلالها ، محتفظة بالمصالح المشروعة التي تملكها فيها . ولا يمكن الحفاظ على المصالح الاستعمارية ، ولا سيما المشروع منها ، الا عن طريق الاعتراف

بالاستقلال . اما عندما يسلب الشعب حقه في الاستقلال ، فانه يثور ، ويحمل السلاح ، وتتعرض هذه المصالح لخطــر الدمار الشامل . ولا ارى حاجة الى نصح فرنسا في هذه القضية ، فقد تلقت درسا نافعا ومرا في الهند الصينية ، هذا اذا كانت تابه بدروس التاريخ وعبره .

وكانت الحكومةالجزائرية مع ذلك ، رشيدة ومتزنة . فلقد اعلنت مرات ومرات ، استعدادها لاحترام مصالح فرنسا المشروعة . والاستقلال لا يعني للحكومة الجزائرية العزلة ، وانما يعني مقدمة التعاون الحر مع جميع دول العالم ، وبينها فرنسا ، ولقد اوضحت الحكومة الجزائرية في بيان رسمي لها ان الشعب الجزائري لا يحمل عداء لفرنسا ، وانما يعتبر الاستعمار عدوه الوحيد ... ونحن نتطلع الى تعاون صادق مع فرنسا ، ونحن نضع هذا ضمن الاطار التالي : فرنسا من ناحية ، والمغرب الحر المتحد من الناحية الاخرى . وفي وسع فرنسا ان تجد في المغرب مكان الافضلية ، في الحقل الاقتصادي ، اذا قبلت فرنسا بحل عن طريق التفاوض للمشكلة الجزائرية .

وعلينا ان لا ننسى ، ان السبيل الوحيد لاحترام هذه المصالح وحمايتها هو التفاوض ، اما اذا استمرت الحرب ، فانني اخشى ان يتطور الوضع الى هند صينية اخرى ، حيث ترغم فرنسا على الخروج من البلاد ، بعد ان تتحطم كافة مصالحها .

اما بشأن قضية الاقلية الاوروبية ، فمن الضروري استبعاد بعض الصور المشوهة ، والمفاهيم الخاطئة . واذا ما فعلنا ذلك ، اصبحت المشكلة سهلة على العلاج والفهم .

والتشويه الرئيسي في هذا الموضوع ، يقوم في عدد هؤلاء المستوطنين الاوروبيين وطبيعتهم . ولقد ضخمت فرنسا دائما من عددهم وقوتهم لاختراع حجة ضد استقلال الجزائر .. وكثيرا ما سمعنا فرنسا تصل بعددهم الى المليون ونصف المليون . والحقيقة ان هذا الرقم هو ضعف الرقم الحقيقي ، فقد قدر « الاحصاء السنوي للجزائر » عدد الاوروبيين بثمانمائة وخمسين الفا ، من مجموع عشرة ملايين هم سكان البلاد . والطريف في الموضوع ، ان فرنسا تضم الى عدد المستوطنين الفرنسيين المائة والخمسين الفا من يهود الجزائر . فهؤلاء اليهود ليسوا من المستوطنين وانما هم من الجزائريين . ولقد مضى على القسم الغالب منهم فيالجزائر ،

اكثر من الفي عام . ويناضل اليهود الجزائريون مع مواطنيهم الجزائريين في سبيل حرية الجزائر . ولقد تعرضوا هم ايضا في الماضي لطغيان التمييز العنصري الفرنسي في اكثر من مناسبة .... ويشترك يهود الجزائر ، في ميادين القتال ، وفي السجون وفي المحاكم العسكرية ، مع مواطنيهم الجزائريين في المصير المشترك كشعب واحد ، يناضل في سبيل الحرية.

وهناك ناحية اخرى تجب ملاحظتها وهي ان جميع الثمانمائة والخمسين الفا من الاوروبيين ليسوا من الفرنسيين . انهم ينتمون الى جنسيات مختلفة . وعندما تكون الواجبات موضع الحديث ، تعتبرهم فرنسا فرنسيين ، أما عند الحقوق ، فانهم اجانب غرباء . هذا هو وضعهم بالنسبة الى فرنسا . وقد أيدت نشرة فرنسية رسمية اسمها « التعايش في الجزائر » ان هؤلاء الاوروبيين هم خليط من شعوب البحر الابيض المتوسط ،جاءوا الى الجزائر في مختلف العهود ، وكان الاسبان اول من وصل منهم ، فأقاموا في وهران ، ثم تبعهم الايطاليون حيث تركزوا في قسطنطينة فالمالطيون الذين اقاموا في الشرق .. وكتب الحجة الفرنسي المشهور ، ريمون اينارد ، يقول في « نشرة المعلومات التي يصدرها الحاكم العام للجزائر » ان التقديرات تشير الى ان واحدا وعشرين في المائة فقط من مجموع الاوروبيين في الجزائر هم من اصل فرنسي . وذكر كاتب سويدي أن « الناس في منطقة وهران ، يتحدثون بالاسبانية اكثر من حديثهم بالفرنسية ». وهكذا تتهاوى هذه الاسطورة عن المستوطنين الفرنسيين الى الحضيض . ولا يمثل هؤلاء المستوطنون لفرنسا اكثر من مخلب قط ، لفرض سيطرتها الدائمة على الجزائر .

وسواء أكان هؤلاء المستوطنون ، فرنسيين او اسبانا او ايطاليين او مالطيين ، فليس من حقهم ان يؤلفوا مشكلة ، وحتى لو كانوا جميعا من الفرنسيين في الصميم ، فوضعهم لا يثير اية صعوبة . فالمجال فسيح امامهم لاختيار احد سبيلين . ففي استطاعتهم اولا ، ان يكونوا جزائريين ، وهذا حق طبيعي لهم ، فهم جزائريون ولدوا في الجزائر ، ولهم الحق في كل ما في الرعوية الجزائرية من حقوق ، دون اي تمييز على اي اساس من الاسس . وفي استطاعتهم ثانيا ، ان يؤثروا البقاء كمواطنين فرنسيين وان يمنحوا حق الاقامة في الجزائر وان يمارسوا بحرية كل نشاط مشروع في اي سبيل من سبل الحياة في الجزائر ، ضمن نطاق القانون .

ومهما كان اختيار هؤلاء الاوروبيين فهناك حقيقة مهمة ، يجب أن

لا تغيب عن اذهاننا ، فلن يكون هناك تمييز في الجزائر على اي اساس من الاسس . وليس ثمة من سبب يدعو الاوروبيين الى البقاء كأقلية . ففي وسعهم ان يكونوا جزائريين من كل ناحية ، وان يتمتعوا باستقلال الجزائر في قرارة قلوبهم تماما كما يتمتع الامريكيون باستقلال بلادهم ، على الرغم من جذورهم الفرنسية او الايطالية او الاسبانية . وبالطبع لن يكون من حقهم المطالبة بامتيازات خاصة في الجزائر المستقلة ، كما ليس من حق الامريكيين من ذوي الجذور الفرنسية او الايطالية او الاسبانية ، المطالبة بمثل هذه الامتيازات . وسيقوم مقياس الحياة في الجزائر المستقلة على المساواة أمام القانون وتكافؤ الفرص .

وليست هذه التأكيدات صادرة عني يا سيدي الرئيس ، بل انها تمثل الموقف الذي اعلنته حكومة الجزائر في كل مناسبة .

فقد اعلنت جبهة التحرير الوطني الجزائري في السادس عشر من ابريل عام ١٩٥٦ ما يلي :ـ

« ستتمتع الاقلية الاوروبية في الدولة الجزائرية الحرة ، بالمساواة الكاملة في الحقوق والالتزامات ، دون اي تمييز من اي نوع » .

واعلنت جبهة التحرير في بيان آخر اصدرته في العشرين من اغسطس عام ١٩٥٦ ما يلي :ـ

« الثورة الجزائرية ليست حربا اهلية او دينية . انها تريد ان تقيم جمهورية اشتراكية وديموقراطية تؤمن المساواة الحقيقية بين جميع المواطنين ، في بلاد واحدة دون اي تمييز » .

وفي اول بيان وزاري اصدرته الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، اعلنت ما نصه :ـ

« من المؤكد ، انه بعد تحرر الجزائر من المستعمرين ، لن يكون ثمة مواطنون من الدرجة الاولى او من الدرجة الثانية . ولن تقوم الجمهورية الجزائرية باي تمييز بسبب العنصر او الدين بالنسبة الى أولئك الراغبين في البقاء كجزائريين .. ان جميع المصالح المشروعة ستصان وتحفظ » .

وهكذا لم تأل الحكومة الجزائرية جهدا ، ولم تضع فرصة ، في تأكيد سياستها في قضية الاوروبيين في الجزائر ، او الفرنسيين في الجزائر ، اذا شئتم هذه التسمية . ولقد وجه رئيس الحكومة الجزائرية في السابع عشر

من فبراير عام ١٩٦٠ ، نداء مؤثرا الى الاوروبيين ضمنه العبارات التالية :ـ

« ان الجزائر ملك للجميع . ولقد مضت اجيال عدة ، وانتم تطلقون على انفسكم اسم الجزائريين . فمن ينكر عليكم هذا اللقب ؟ ان الجزائر للجزائريين جميعا ، مهما كان اصلهم . وهذه القاعدة ليست اسطورة انها حقيقة حية ، ترتكز الى حياة مشتركة . وسيتوافر في الجمهورية الجزائرية التي سنقوم ببنائها معا ، المجال للجميع ، والعمل للجميع .. ونحن نريد منكم الاشتراك في هذا البناء » .

فهل ينتظر يا سيدي الرئيس ، من الشعب الجزائري ، اي شيء آخر ، يعرضه بعد هذه البيانات الصادقة ، وبعد هذا الموقف الديموقراطي الذي تقفه حكومته . انه اكثر المواقف التي يمكن لحكومة مسؤولة ان تقفها سخاء وشهامة . وقد اسميته بالسخاء والشهامة ، لانني لا اريد ان انبش الماضي وما تعرض له الشعب الجزائري اذا ما تحقق الاستقلال ، فسيظل هذا الماضي مغلقا الى الابد .

وعلينا ان لا نبدي اي اكتراث ، في هذا الصدد ، بما يقوم بـه من يوصفون بالمتطرفين الفرنسيين في الجزائر من اضطراب ومعارضة . انهم لا يمثلون الا اقلية لا يؤبه بها . اما بقية الاوروبيين فيؤثرون العيش بسلام وطمانينة في الجزائر ، وسينعمون بالسلام حتما . اما هؤلاء المتطرفون فقد افسدهم تدليل بعض الدوائر العسكرية في فرنسا . عندما يعترف بالاستقلال للجزائر ، فان سلوك هؤلاء المتطرفين سيتبدل ، فلن يعود لهم امل في امتيازات او استثناءات ولن يطمعوا في حماية هذه الامتيازات والاستثناءات . ولن يسود في دولة الجزائر المستقلة ، وذات السيادة الكاملة ، الا شعار فرنسا العظيم : « الحرية والاخاء والمساواة » .

ولاغلاق هذا الفصل المؤلم الى الابد ، يتحتم على الامم المتحدة ، ان تلعب دورها في فتح فصل جديد ، دائم الاشراق والاشعاع . وليس في وسع الامم المتحدة ان تشهد حربا ، وان تكتفي بالجلوس ، وقد مدت ساقيها ، وطوت ذراعيها ، ليس في مكنة الامم المتحدة ان ترى كارثة تحل بشعب كامل ، وان تقبع في برج عاجي من التجاهل وعدم الاكتراث . فمصير عشرة ملايين من اخوانكم وكرامتهم ، ووجودهم في الحاضر والمستقبل ، تتعرض كلها للخطر ، ويتعرض للخطر ايضا ، سلام المنطقة وطمانينتها . وعلينا ان نرى

الدور الذي ستلعبه الامم المتحدة في عام ١٩٦٠ ، والـــذي سيقدر لــه ان يحذف مشكلة الجزائر من جدول اعمالنا لعام ١٩٦١ .

وانني لاقول يا سيدي الرئيس ، اننا تعلمنا الكثير اثناء مناقشاتنا لهذا الموضوع طيلة السنوات الست الماضية ، انني لابتهل الى الله ، ان يكـــون مرشدنا ما تعلمناه ، وان يكون حافزنا ما نصبوا اليه ، وان يكـــون نافعنا ما حصلنا عليه .. وانني ادعي ، ولي الحق في ذلك ، اننا كسبنا الكثير مـــن الخبرة في موقف فرنسا السياسي والنفساني تجاه مشكلة الجزائر . وليس في مكنتنا ان ننكر ان الجنرال ديجول ، قد عبر نهر الروبيكون (١) كمـــا لـــم يعبره غيره من قبل . ولكن الجسر الذي اقامه ، يتأرجح في جميع الاتجاهات . ومن واجب الامم المتحدة ان تقيـــم جسرا ثابتـــا ، تستطيـــع الحريـــة والديموقراطية ، الانتقال عليه بامان الى الجزائر ، حيث يقـــوم دور الامم المتحدة . وقد نعود بذاكرتنا الى ان الرئيس ديجول عازم على طرح القضية كلها امام فرنسا ، فهناك استفتاء شعبي يوشك ان يجري ..

وفي وسعنا هنا في الامم المتحدة ، ان ناخـــذ علما بهـــذه الحقيقة .. فالاستفتاء الفرنسي ، قضية داخلية ، لا علاقة لها بمشاوراتنا ، ويجب ان لا تؤثر على سير عملنا . فلقد احس ديجول ان سلطته في بلاده قـــد غدت موضع التحدي، فاراد ان يضمن ثقة فرنسا بـــه ، او ليتأكد مـــن رغبات فرنسا في قضية الجزائر. ان جماهير الشعب في فرنسا ، كغيرها من الجماهير اذا تركت الى غرائزها ، تؤيد الحرية . ولكـــن مهما كانت نتيجـــة هذا الاستفتاء ، فان حق الجزائر في تقرير المصير ، يظل قائما لا يقبل التحدي . وحق شعب الجزائر في الاستقلال ، لا ينبثق من رغبات فرنسا ، ولا يمكن ان يتاثر باية صورة من الصور باستفتاء الرئيس ديجول . وسنفرح بالطبع اذا ابدت فرنسا استقلال الجزائر ، ولكننا لن نحيد عن اهدافنا او نتوقف عـــن العمل هنا في الامم المتحدة ، اذا آثـــرت فرنسا الاقتراع بصورة مغايرة . فرغبة الجزائر ، هي الشيء المهم . انها القاعدة ، بل القاعدة الوحيدة . ولذا

---

(١) الروبيكون نهر صغير في ايطاليا يصب في الادرياتيك الى الشمال من ريميني وكان يؤلف الحد الفاصل بين روما ومقاطعاتها في العهد الروماني . وقد اشتهر امر هـــذا النهر عندما عبره يوليوس قيصر عام ٤٩ قبل الميلاد على راس جيشه مما رمز الى اعلانه الحرب ضد مجلس الشيوخ الروماني ، وغـــدت لعبور النهر شهـــرة تاريخية ، حتى اصبح مضرب الامثال .

فان على الامم المتحدة ان تجري استفتاء في الجزائر لتتأكد من رغبات شعبها في اجواء من الحرية والهدوء والنظام .

وقد اقترحت استفتاء شعبيا تقوم به الامم المتحدة ، لاننا نريد ان نكون منصفين مع الجميع . وعلينا ان نعدل مع الكل . وان نمد يد المساواة للجميع . ان فرنسا طرف في القضية ، بل انها طرف في الصراع ، وليس من المعقول ان نكل بمصير الجزائر الى ايدي فرنسا . ان الجزائر في حالة حرب مع فرنسا ، ومن الغبن الصارخ للعدالة ان ندع استفتاء الجزائر تحت رحمة فرنسا .

والادارة كلها في الجزائر من الناحية الثانية معادية تمام العداء لشعب الجزائر ولآماله القومية . انها ادارة استعمارية ، وهل سبق لاية ادارة استعمارية ان كانت عادلة ومنصفة مع شعب مستعمر .

ومن الناحية الثالثة ، فان الجيش الفرنسي وقوات الامن في الجزائر ، قد اشبعا بنزعة الكراهية لمبدأ حق تقرير المصير . ولقد بعث وزير حربية فرنسا برسالة الى القائد الفرنسي العام في الجزائر يقول : « وعندما يتم تنظيم مستقبل الجزائر السياسي ، سيظل الجيش في الجزائر ، لاداء رسالته الخالدة وهي الدفاع المشترك عن فرنسا والجزائر » . واذا ما تفهمنا هذه الرسالة الموجهة الى الجيش الفرنسي في الجزائر ، فكيف يمكن لنا ان نثق بان الاستفتاء الذي ستجريه فرنسا سيكون حرا .

وهناك حقيقة اخرى ، وهي ان كل جندي فرنسي يذهب الى الحرب في الجزائر ، يسلم كتيبا ، يحمل في صدره بيانا يقول : « ان الجزائر لا تستحق القومية المستقلة ، وان الجزائريين هم من المواطنين الفرنسيين » . وفي ظل مثل هذه التعليمات ، كيف يمكن لنا يا سيدي الرئيس ان نثق بان استفتاء في ظل فرنسا يمكن ان يكون حرا .

وقد اقسمت الحكومة الفرنسية من الناحية الثالثة . على محاربة مبدأ تقرير المصير محاربة عنيدة . لقد ذكر المسيو دوبريه رئيس وزراء فرنسا في تعليماته التي وجهها الى المقيم الفرنسي العام في الجزائر ، التوجيهات التالية ، « ان النقطة الرئيسية ، هي ان نتبع كل سبيل ممكن لضمان الاقتراع ضد الانفصال ، وانتصار الوحدة الوثيقة مع فرنسا » . ومع مثل هذه التوجيهات التي تصدر عن رئيس وزراء فرنسا ، كيف يمكن

لنا يا سيدي الرئيس ان نثق بان اي استفتاء تجربه فرنسا يمكن ان يكون حرا ؟!

وللرئيس ديجول من الناحية الرابعة ، وهذا شيء مهم للغاية ، مفهوم خاص ، وتعريف معين ، وتطبيق نموذجي لمبدا تقرير المصير ، وهي عوامل تنزع من مبدأ تقرير المصير كل ما فيه من لحم وعظم واعصاب . وقد تحدث الرئيس ديجول في بيانه في شهر سبتمبر عام ١٩٥٩ الى الجزائريين «كافراد» وانكر الحقيقة التاريخية بوجود وحدة وسيادة جزائريتين . وقد هدد الجزائريين بانهم اذا آثروا الاستقلال ، فسيعانون الفاقة والفوضى والمذابح والديكتاتورية الشيوعية . اما اذا آثروا الاتحاد مع فرنسا فقد مناهم بالجوائز .. ووعد الفرنسيين بالتقسيم وشطر الصحراء عن الجزائر ، والاستيلاء على ما فيها من ثروات طبيعية !!

وقد حسر الرئيس ديجول في بيانات متوالية النقاب عن تعريفات اخرى لمبدا تقرير المصير كما يراه .. وقد اعلن في رسالة وجهها الى القوات المسلحة في الجزائر « ان من الضروري في الوقت الراهن .. اعطاء الجزائريين كل سبب ادبي ومادي ، يحملهم على الرغبة في الاتحاد مع فرنسا » ، واعلن الرئيس ديجول ايضا في احدى جولاته : « اننا نريد السلام في الجزائر لاننا نريد اولا الاحتفاظ بفرنسا فيها ولكن بظروف مغايرة تماما » . ومع مثل هذه البيانات الصادرة عن الرئيس ديجول كيف يمكن لنا ان نثق بان الاستفتاء في ظل فرنسا يمكن ان يكون حرا .

وحتى في غضون هذه الدورة ، يا سيدي الرئيس ، فان الرئيس ديجول قد اقام الدليل الشامل ، على ان اي استفتاء في ظل فرنسا ، سيكون بطبيعة الامر خاليا من الحرية ، وغارقا في اللاشرعية . وقبل شهر واحد ، اي في الرابع من نوفمبر عام ١٩٦٠ القى الجنرال ديجول خطابا قال فيه : « سنقوم بالاجراءات اللازمة ، لحماية اولئك الجزائريين الذين يؤثرون البقاء كفرنسيين من ناحية ، ولضمان مصالحنا من الناحية الثانية » . اولا يكشف هذا القول ، يا سيدي الرئيس ، عن الرغبة في تقسيم الجزائر ؟!

يضاف الى هذا ان الرئيس ديجول ، اشار الى رجال الحكومة الجزائرية بانهم « اولئك الزعماء الثوريون الذين عاشوا خارج الجزائر ، مدة ستة اعوام » . وانهم يتخذون مواقفهم « وكانهم قد عينوا ، مسبقا مني ،

كحكام للجزائر » . ان هذا البيان غير منصف يا سيدي الرئيس ، لا لحكومة الجزائر ، ولا لسجل الجنرال ديجول المجيد بوصفه زعيم حركة التحرر في فرنسا . فلقد كان الجنرال ديجول نفسه بعيدا عن فرنسا عدة سنوات يقود حركة التحرر من لندن وافريقيا . وكان عمله هذا مصدر فخار له لا مصدر عيب وعار . وارى لزاما علي ان اقول من الناحية الاخرى ان حكومة الجزائر ، لم تحاول ان تعين لتحكم الجزائر ، فان وزراء الجزائر يريدون ان يختارهم شعبهم ، لا ان يعينهم الرئيس ديجول ، وهدفهم هو استقلال بلادهم ، سواء اختارهم شعبهم او لم يخترهم ، تماما كما فعل الجنرال ديجول عندما ناضل لتحرير فرنسا ، قبل ان تختاره فرنسا حاكما لها . ولو كان هم الوزراء الجزائريين منصرفا الى ان يعينوا كحكام للجزائر ، لما قادوا الحرب الجزائرية . فهناك طريق اسهل ، وبثمن ابخس ، وهو ان يكونوا كويزليين أو فيشيين (١) ، ولكنهم آثروا ان يكونوا مواطنين جزائريين ، او طبقا للتعبير الفرنسي ، ديجوليين ، يكافحون لتحرير بلادهم من آخر مظاهر الاستعمار الفرنسي .

ويتحدث الرئيس ديجول ايضا في خطابه عن الجزائر الجزائرية . ولكن الواضح ، من اشاراته ان يستقر في سويداء عقل فرنسا وقلبها ، جزائر افرنسية خاصة ، انها ستكون طرازا آخر من حكومة فيشي على الارض الجزائرية ، مستعدة للاقتراع بصوتها كما قال الجنرال ديجول « لتحويل الوضع الواقع الى وضع قانوني . وهذا الوضع ، هو الجزائر ، التي اعتقد بجماع فؤادي وعصارة فكري ، انها ستؤثر الاتحاد مع فرنسا » ، هذه هي كلمات الرئيس ديجول نفسه . لا كما ترجمتها من الفرنسية او كما ترجمتها النيويورك تايمس ، انه النص الذي جاءنا بالبريد من سفارة فرنسا ، مكتب الصحافة والمعلومات ، برقم ٩٧٢ الشارع الخامس ــ نيويورك ، وازاء مثل هذا البيان الصادر عن الرئيس ديجول ، كيف يسعنا يا سيدي الرئيس ، ان نثق بان الاستفتاءالذي ستجريه فرنسا سيكون استفتاء شعبيا حرا . .

وبالنظر الى جميع هذه الاعتبارات ، يا سيدي الرئيس ، يجب ان يكون استفتاء الجزائر تحت اشراف الامم المتحدة مباشرة . واذا كانت فرنسا

---

(١) نسبة الى كويزلنغ النرويج وحكومة فيشي الفرنسية ، اللذين تعاونا مع الالمان في الحرب واصبحا رمزا للخيانة .

مخلصة ، ونحن نامل في انها ستكون مخلصة ، فلن يكون ثمة اعتراض على قيام الامم المتحدة باجراء الاستفتاء . اما اذا كانت فرنسا تبيت لخطط معينة ، كما يعتقد بعضنا ، فان هذا سبب كاف ليحمل الامم المتحدة على التدخل ، لان هذه هي الضمانة الوحيدة لحرية الاختيار ، وسلامة الاستفتاء . .

وانا مخول من حكومة الجزائر المؤقتة في هذا الصدد ، ان اقول بالنيابة عنها ، انها تقبل نتيجة اي استفتاء حر في الجزائر ، تنظمه الامم المتحدة ، شريطة ان يتحرر هذا الاستفتاء من كل ضغط ، ووعد ووعيد ، من اي نوع ، يصدر عن الفرنسيين في الجزائر . واذا كانت النتيجة الدمج او الاتحاد ، فاننا سنقبل الاختيار ، اما اذا كانت النتيجة الاستقلال ، وهو ما نحن واثقون منه ، فعلى فرنسا ان تقبل بها ، وان تترك شعب الجزائر حرا يقرر مصيره .

واود ان اؤكد ايضا ، ان ليس ثمة ما يدعو فرنسا الى معارضة استفتاء الامم المتحدة . فالاستفتاء نفسه ليس غريبا عن فرنسا ، فقد طبق الاستفتاء في عهد نابليون الثالث في امارتي سافوى ونيس وفي دوفيان شمال ايطاليا ، واقترح مؤتمر الصلح في عام ١٩١٩ اجراء سبعة عشر استفتاء . واسفر استفتاء السار في عام ١٩٣٥ عن عودته الى المانيا . واقترع السار في استفتاء عام ١٩٤٧ على العودة الى فرنسا . وكانت هذه الاستفتاءات تجري دائما بصورة دولية لا قومية ، وتحت اشراف دولي .

وهناك سبب آخر يدعو الى اجراء الاستفتاء تحت اشراف الامم المتحدة ، اذ ان الجزائر لم تكن في يوم ما فرنسية ، ولن تكون فرنسية . وقد فشلت مائة وثلاثون عاما من « الفرنسة » من ايجاد الجزائر الفرنسية ، وقد حان الوقت للاعتراف بالحقيقة التاريخية ، وهي ان الجزائر كانت وستظل بلادا عربية ، وجزءا لا يتجزأ من القارة الافريقية .

واود عند التأكيد على ضرورة اجراء استفتاء الامم المتحدة ، ان اذكركم بان الرئيس ديجول في بيانه في سبتمبر عام ١٩٥٩ ، الذي اكده ببيانه في نوفمبر عام ١٩٦٠ قد اعلن بانه سيدعو ممثلين من اوساط الصحفيين ودوائر المعلومات من كافة انحاء العالم للمجيء كمراقبين ، ليشهدوا صحة الاستفتاء . ولا ريب في ان هذا العرض يتيح اساسا اصدق لو تم الاستفتاء على ايدي الامم المتحدة . فاذا كانت فرنسا تقبل الصحفيين كمراقبين ، فلماذا لا تقبل

ان يتولى المستر همرشولد العملية بنفسه ، فالمستر همرشولد ، يتمتع بثقة فرنسا وحكومة الجزائر ، ودول افريقيا والامم المتحدة .

واود ان اختم كلامي في النهاية ، يا سيدي الرئيس ، باقوال مستقاة من احد كبار القادة الاحياء . انه زعيم عظيم ، على وشك ان يصنع التاريخ، واذا ما عجزتم عن معرفة اسمه ، فساذكر هذا الاسم في النهاية .

فقد تحدث هذا الزعيم العظيم عن الجزائر فقال : « ان القوة المفردة العظيمة في العالم اليوم ، ليست هي الشيوعية او الراسمالية ، لا ولا القنبلة الهيدروجينية او الصاروخ الموجه ، وانما هي رغبة الانسان الخالدة في ان يعيش حرا مستقلا » .

وقال هذا الزعيم العظيم ، حاثا شعبه على كفاح الاستعمار « وفي هذا الاختبار ، ستتعرض بلادنا للحكم الناقد من ملايين المحايدين وغير الملتزمين في آسيا وافريقيا .. واذا فشلنا في مواجهة هذا التحدي .. من الاستعمار الغربي ، فلن يكون في مكنة اي عـون خارجي او اي تضخم في الاسلحة ان يحول دون نكسات اخرى تمنى بها سلامتنا » .

وتحدث هذا الزعيم العظيم ، بصورة خاصة عن الجزائر فقال : « هناك حالات عدة من التصادم بين الاستقلال والاستعمار في العالم الغربي ، ولعل من ابرز هذه الاصطدامات واكثرها حراجة اليوم ، قضية الجزائر » .

وتحدث عن حلف الاطلنطي فقال : « ان حرب الجزائر التي يشتبك فيها اكثر من اربعمائة الف جندي فرنسي ، قـد نزعت مـن قوات حلف الاطلنطي كل امكاناتها » .

واشار الرجل العظيم الى شرور حرب الجزائر فقال : « لقد اثرت على موقفنا في عيون العالم الحر ، كما اثرت على قيادتنا للنضال لابقاء هذا العالم حرا ، وعلى سمعتنا وسلامتنا » .

واشار الى اثر الحرب على فرنسا ، فقال : « لقـد استنزفت حرب الجزائر باستمرار من فرنسا رجالها ومواردها ، وافقدت احـدى حليفاتنا القديمات والمهمات روحها وحيويتها » ..

وانتقد الزعيم العظيم غضبا عندما اكد الطبيعة الدولية لمشكلة الجزائر فقال : « لا ، ان الجزائر ، لم تعد مشكلة تهم فرنسا وحدها ، ولن تكـون كذلك مرة ثانية » .

وقال في معرض تصحيح الخطأ الشائع عن رقم الاوروبيين في الجزائر ما نصه « يقال ان السكان الفرنسيين يبلغون المليون عددا ، ولكنهم اذا عدوا عدا دقيقيا وصحيحا ، لم يتجاوز تعدادهم السبعمائة الف » .

واشار الرجل العظيم الى قضية المفاوضات فقال : « انني ارى ان من واجب فرنسا ان تسير في المفاوضات مع الوطنيين على اساس الاستقلال » .

واستشاط الزعيم العظيم غيظا عندما تحدث عن مساعدات امريكا العسكرية لفرنسا فقال : « وبدلا من ان نسهم بجهودنا للوصول الى وقف اطلاق النار وتحقيق تسوية ، نرى المعدات العسكرية الامريكية ، ولا سيما طائرات الهليوكبتر تباع في هذه البلاد .. لتستخدم ضد الثائرين .. »

واستنكر الزعيم الكبير ، سجل الولايات المتحدة في موضوع الجزائر فقال : « انه ليس بالسجل الذي ننظر اليه بعين الزهو ، عندما يقترب يوم الاستقلال .. فسجل الولايات المتحدة في قضية الجزائر ، سجل تراجع عن مبادىء الاستقلال ومناهضة الاستعمار .. » .

وتذكر الرجل الكبير تسامح الجزائر فقل : « وانا لا اعتقد انه عندما يتم وضع تسوية ، فان اي فرنسي هناك سيطرد من البلاد او تنتزع منه ممتلكاته » .

وتوجه بكلمة نصح الى فرنسا والدول الغربية فقال : « وسواء احبت فرنسا ذلك او لم تحبه ، وسواء قبلت به ام لم تقبل ، وسواء تلقت تأييدنا او لم تتلقه ، فان ممتلكاتها عبر البحار ، ستحطم اغلالها ، وتنظر بعين الشك الى الدول الغربية ، التي عرقلت خطواتها نحو الاستقلال » .

ودافع الزعيم العظيم عن استقلال الجزائر فقال : « ويجب ان لا تحول الكياسة مهما توافرت ، بين فرنسا وبين الولايات المتحدة ، وبين رؤية الحقيقة وهي انه اذا ارادت فرنسا ان يكون لها نفوذ في شمال افريقيا .. فان الخطوة الاساسية الاولى التي يجب ان تخطوها ، هي ان تعطي للجزائر استقلالها كما سبق لها ان فعلت مع تونس ومراكش » .

ان هذا الزعيم العظيم ، يا سيدي الرئيس ، هو الرئيس المنتخب ، المستر كنيدي (١) . وهذه الاقتباسات التي تلوتها ، مستقاة من خطاب القاه

---

(١) كان السيد كندي ، رئيسا منتخبا ، ولم يباشر بعد سلطاته الدستورية .

في مجلس الشيوخ في الثاني من مايو عام ١٩٥٧ ، وهو خطاب لا يقل في طوله واسهابه عن خطابي اليوم . وانني اغتنم هذه الفرصة لاقدم اوفر الاحترام لهذا الزعيم الكبير ، على التأييد العظيم الذي قدمه لقضية الجزائر .

ولكنني لم استخدم هذه الاقتباسات ، رغبة مني في مجرد تلاوتها ، لقد قرأتها لاطلب الى زملائنا من وفود الدول الغربية ، ان يؤيدوا استقلال الجزائر ، واقول « اطلب » لانني بعد ان سمعت هذا البيان القوي من المستر كنيدي ، اصبح من حقنا ان نطلب اليكم مساندة حرية الجزائر .

وانني اوجه الكلام الان الى الدول الغربية ، لان هذه الدول ، على حد تعبير المستر كنيدي هي التي تعرقل استقلال الجزائر ، وعندما تؤكد المطالبة باستقلال الجزائر ، يقول البعض منكم اننا من المتطرفين ، واننا غلاظ القلوب ، ودعاة حرب . ولكن ها هو بيان المستر كنيدي امامكم ، وهو يتحدث بنفس اللغة ونفس الاسلوب ، وقد حان الوقت ليترجم هذا البيان الى مواقف حاسمة ، تتخذونها هنا في الامم المتحدة . .

وانا لم اوجه كلامي الى الكتلة السوفياتية . لان هذه الكتلة ايدت قضية الجزائر منذ عرضت على الامم المتحدة لاول مرة ، واستمرت في تأييدها دون تحفظ . ومثل هذا التأييد سواء اكانت له دوافعه او لم تكن ، جدير بالاعجاب والثناء . والاسوا بالنسبة اليكم ، ان تقفوا الى جانب الاستعمار في الوقت الذي تزعمون فيه انكم تمثلون العالم الحر .

وانني اتحداكم مثل هذا التحدي المرير ، لان الآلام التي يعانيها شعب الجزائر ، مغرقة في الوحشية ، ولا تأذن بالكلمات الناعمات . .

وفي هذا التحدي ، الذي اضعه امام الغرب، وجها الى وجه، وبصراحة، اود من هذه الدول الغربية ، ان تذكر ، ان زعيمها العظيم ، زعيم الدول الغربية ، قد لخص القضية بوضوح ، وحتم عليها الاختيار بين الاستقلال او الاستعمار .

واني لاتضرع الى الله يا سيدي الرئيس ان يختار الغرب بزعامة الولايات المتحدة الامريكية الوقوف الى جانب الاستقلال .

ان مثل هذا الاتجاه ، يا سيدي الرئيس ، جدير بالامم المتحدة وبقضية السلام ، وقضية الكرامة الانسانية .

هذا هو املنا ، وهذا محط ثقتنا ، وموضوع ابتهالنا .

الجنرال ديغول
يقامر في افيان ؟

ديسمبر ١٩٦١

في تاريخ الشعب الجزائري ، في كفاحه المجيد لنيل حريته واستقلاله، ايام فاصلة ، لها ذكرياتها العميقة الحافلة ، وانا لنذكر بالم ومرارة ، اليوم الخامس من شهر يوليو عام ١٨٣٠ حين استسلمت الجزائر لفرنسا بعد تلك المعارك البطولية الضارية التي قادها الامير عبد القادر الجزائري ، وفي حزن عميق نذكر اليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩٤٥ حينما ذبح خمسون الف جزائري على ايدي القوات الافرنسية وهي تحتفل بيوم « النصر » .. وفي فخر واعتزاز نذكر اليوم الاول من شهر نوفمبر من عام ١٩٥٤ حينما اعلن الشعب الجزائري حربه المقدسة على فرنسا لتحرير وطنه ، وتحقيق آماله القومية في السيادة والاستقلال .

وفي الامم المتحدة، للقضية الجزائرية كذلك ايام تاريخية، ولست اريد ان استعرضها جميعا ، ولكني ساقتصر على الاشارة الى اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٦٠ ، ففي ذلك اليوم اصدرت الامم المتحدة قرارها المعروف رقم ١٥٧٣ في دورتها الحادية عشر ، بعد مناقشات شاملة وافية ، قدمت خلالها مقترحات متعددة ، وقد تضمن هذا القرار اربعة امور رئيسية ..

اولا : ان الجمعية العامة « قد احيطت علما بان الفريقين قد وافقا على حق تقرير المصير كأساس لحل القضية الجزائرية » .

ثانيا : ان الجمعية العامة « اعترفت بحق الشعب الجزائري بتقرير المصير والاستقلال » .

ثالثا : ان الجمعية العامة « اكدت الحاجة القصوى لوضع الضمانات الفعلية المناسبة التي تكفل تطبيق مبدا تقرير المصير بنجاح وعدالة ، على

أساس الاعتراف بالوحدة والسلامة الاقليمية للجزائر » .

رابعا : ان الجمعية العامة تعترف بأن على الامم المتحدة « مسئولية في المساهمة في تنفيذ حق الشعب الجزائري بكل نجاح وعدالة .. » .

وانه يهمنا في الدورة الحاضرة ان نستعرض مدى النجاح الذي كنا نتطلع اليه في الدورة السابقة ، ذلك انه حقنا وواجبنا ان نضع ايدينا على النتائج التي وصلت اليها المبادىء الاربعة التي قررتها الامم المتحدة في العام الماضي .. فلننظر ، اذن ، في الحساب الختامي الذي انتهى اليه ذلك القرار لنعرف كيف استجاب الفريقان لرغبات الامم المتحدة ، وكيف نستطيع في هذا العام أن نساهم لدفع القضية الجزائرية الى الامام وصولا الى حل سلمي شريف على اساس تقرير المصير والاستقلال .

بعد ان صدر قراركم السابق باربعة عشر يوما ، اخذ احد الفريقين بزمام المبادرة في سبيل تنفيذه ، وما اظنكم في حاجة الى بحث طويل لتعرفوا من هو ذلك الفريق .. ان ذلك الفريق هو الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر .. فلقد بادرت الحكومة الجزائرية الى العمل على تنفيذ القرار الذي اجمعتم عليه في العام الماضي .. وما انتهت فرنسا من الاستفتاء الشعبي في ٨ يناير ، حتى اعلنت الحكومة الجزائرية استعدادها للدخول في مفاوضات مع الحكومة الافرنسية على اساس تقرير المصير والاستقلال .

وانصافا للتاريخ ، فان الحكومة الجزائرية كانت دائما تقترح المفاوضات ، كما كانت فرنسا ترفض المفاوضات . والواقع ان الشعب الجزائري قد لجأ الى الحرب لان فرنسا قد رفضت ان تتفاوض مع الجزائر لتحقيق تسوية سلمية .. ولقد اعرب احد وزراء فرنسا ، ذات مرة ، في غضب بالغ عن اعتقاده بان المفاوضات معناها الحرب .. وكذلك فان الاستقلال ، الذي كرستموه في قراركم السابق ، قد اعتبرته فرنسا مظهرا من مظاهر الحماقة والجنون .. ثم ان فرنسا كثيرا ما اشارت الى الزعماء الجزائريين بانهم « مصابون بالجنون ، ويكفي للدلالة على ذلك انهم يطالبون بالاستقلال للجزائر » .

ورغما عن ذلك فان الجزائريين لم يدعوا فرصة تمر الا واعلنوا فيها رغبتهم بالمفاوضات ، وحتى حين كانت الحرب الجزائرية على اشدها تنزل الضربات القاصمة بالقوات الافرنسية ، لم تتردد جبهة التحرير الجزائرية ، المرة بعد المرة ، في الدعوة الى المفاوضات لايجاد تسوية سلمية ، ففي مارس،

وابريل ، واغسطس واكتوبر من عام ١٩٥٦ بذل الزعماء الجزائريون كل جهودهم لاقناع فرنسا بالموافقة على مبدأ المفاوضات ، وفي عام ١٩٥٧ في اكتوبر ونوفمبر جدد الزعماء الجزائريون سعيهم المتواصل في هذا السبيل.. وفي عام ١٩٥٨ في سبتمبر واكتوبر تابع الجزائريون مطالبتهم بالمفاوضات ، وفي عام ١٩٥٩ بادرت الحكومة الجزائرية، بعد انشائها ، للقيام باربع محاولات للمفاوضات ، في يونيو وسبتمبر واكتوبر ونوفمبر ، وحتى اجتماع ميلون في يوليو ١٩٦٠ للاعداد للمفاوضات ، قد تم بناء على مبادرة الزعماء الجزائريين .. وهنا .. هنا في اروقة الامم المتحدة كان الوزراء الجزائريون يسعون سعيا حثيثا مع وفود الدول الاعضاء ليكون قرار الامم المتحدة متضمنا مبدأ المفاوضات .

وكان موقف فرنسا في هذا الصدد ، متناقضا ومتباينا ، ففي بعض الاوقات كانت فرنسا ترفض المفاوضات رفضا قاطعا ، وفي مرات اخرى كانت فرنسا ترفض استخدام لفظ المفاوضات .. واخيرا فان الصائغين البارعين في الامم المتحدة ، وهم ينبشون القواميس الدبلوماسية، عثروا على تعبير افرنسي يقابل كلمة المحادثات ، وذلك ليرضوا المشاعر الافرنسية الحساسة .. وهذا ما دعا الجمعية العامة ان تستخدم هذا التعبير الافرنسي في قرار الدورة السابقة ..(١) ذلك انه لم يعد سرا ، انه عبر السنين الماضيات، كان ينهال علينا سيل من المناشدات والنداءات، بان نأخذ بعين الاعتبار مصالح فرنسا ، وان نمجد عظمتها ، وان نشبع غرورها ، وان نبالغ في امتداحها والثناء عليها ، وان نراعي عاطفتها الحساسة ، ورقة شعورها .. وكثيرا ما كنا نستجيب لهذه النداءات .

ولم يقتصر الشعب الجزائري على المطالبة بالمفاوضات ، بل ان حق تقرير المصير للشعب الجزائري كما اعلنه الرئيس ديجول في بيان ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ وقبلته الحكومة الجزائرية في ٢٨ سبتمبر ١٩٥٩ ، كان مطلبا جزائريا على الدوام .. لقد كان حق تقرير المصير هو كلمة السر في الحرب الجزائرية والشعار القومي للشعب الجزائري .. ولولا الحساسيات الافرنسية لوجب علينا حين نشير في قراراتنا الى المفاوضات وحق تقرير المصير ان نوجه نداءنا الى فرنسا والى فرنسا وحدها ، فلقد كانت الجزائر تقف

---

(١) التعبير الافرنسي : Pourparlers ، وقد اصرت عليه فرنسا بدلا من لفظ المفاوضات Negotiation

دائما الى جانب مبدأ المفاوضات لتجري بصورة امينة صادقة ، والى جانب تقرير المصير يطبق بكل جد وعدالة .. ولكن فرنسا هي التي كانت تتخلف مرة ، وتنتحل الاعذار مرة اخرى .

ولقد استطردت الى هذه الجوانب من القضية الجزائرية عن قصد متعمد ، لا عن غفلة ساهية .. فان الذي اريد ان اؤكده لكم ، يا سيدي الرئيس ان الحكومة الجزائرية في الوقت الذي كانت فيه مستعدة للحرب، كانت كذلك مستعدة للسلام .. لقد كانت الحرب هي البديل الوحيد امام الجزائر ، بعد أن استنفذت جميع الوسائل السلمية .. لقد كان زمام المبادرة دائما بيد الجزائر ، للحرب والسلام ، على السواء .. وانني اؤكد لكم انه حين كان الجزائريون يلحون على المفاوضات ، والسلام عن طريق المفاوضات ، فقد كان الحاحهم صادرا من مركز القوة ، حين كانوا يسجلون انتصاراتهم في الميدان ، ظفرا بعد ظفر ، وهذا هو سر قوتهم ..

ومن اجل ذلك، كان جليا للعيان، انه حينما اعلنت الحكومة الجزائرية في يناير سنة ١٩٦١ انها على استعداد لان تقبل بصورة رسمية الدخول في مفاوضات مع الحكومة الافرنسية استجابة لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة ، انما فعلت ذلك رغبة منها في السلام ، وفي الحرية التي تستهدف السلام ، لقداخذت الحكومة الجزائرية زمام المبادرة وادى ذلك الى مؤتمر افيان الذي عقد في مايو ١٩٦١ .. ولقد كان سرورنا عظيما ان فرنسا قد تخلت اخيرا عن اسطورة « الجزائر افرنسية » ، وشرعت في مفاوضات مباشرة مع الحكومة الجزائرية .. ولكن اسفنا كان عظيما كذلك ان هذه المفاوضات قد فشلت ، وكان سجل هذا العام يتسم بطابع خاص ،تعاقب فيه الاسف على السرور ، فقد بدات المفاوضات وكان لفرنسا الفضل في بدايتها ولكنها تتحمل وزر فشلها .. لقد عاد لفرنسا عنادها القديم في موضوع الصحراء ، ووحدة التراب الجزائري .. وكان حريا بالجنرال ديجول ، وقد ارتبط اسمه بشمال افريقيا ان يكون اكثر معرفة بالتاريخ والجغرافيا .. ان وحدة الجزائر حتمية كالقدر ، وان سلامتها الاقليمية، بشواطئها وجبالها وصحرائها ، حاسمة قاطعة .. لا تقبل جدالا ، ولا قيلا وقالا .. ان الجزائر ترفض ان تطرح هذه الامور على مائدة المفاوضات، حتى لو ادى ذلك ان تصبح الحرب الجزائرية حرب المائة عام (١)..

---

(١) وهي حرب المائة عام ، الشهيرة في التاريخ ، وقد وقعت بين انجلترا وفرنسا في عام ١٣٣٧ وانتهت في عام ١٤٥٣ .

ان في القضايا الوطنية امورا اساسية لها مناعتها وحصانتها ، انها تأبى بطبيعتها ان تكون موضع مفاوضات .. وبالنسبة للقضية الجزائرية فان وحدة الشعب الجزائري ووحدة وطنه لا تقبل المفاوضة او المساومة.. ونحن نرفض ذلك الان والى الابد .. واننا لنتساءل هل كان الجنرال ديجول ، وهو يقود النضال الافرنسي مستعدا لان يرضى بالمفاوضة على وحدة الشعب الافرنسي ووحدة الوطن الافرنسي ، ان الواقع التاريخي المجيد ان الجنرال ديجول قد بدأ حربه التحريرية بمقاومة اولئك العملاء الافرنسيين الذين لم يخلصوا لوحدة الشعب الافرنسي ، ووحدة الوطن الافرنسي .. لقد اعتبرهم الجنرال ديجول خونة مارقين ، واعلن الحرب عليهم كما اعلنها على جميع اعداء الوطن .

ومهما يكن الامر فان المفاوضات قد اظهرت اين يقف هذا الفريق، واين يقف ذاك الفريق ، واظهرت كذلك ، بما لا يرقى اليه الشك ، موقف الفريقين من قرار الامم المتحدة ، وايهما دخل المفاوضات برغبة صادقة وباعتراف مخلص بالمبادىء الثلاثة : الاستقلال ، وحق تقرير المصير ، والوحدة الجزائرية .. والواقع ان مؤتمر افيان قد اوضح اي الفريقين هو الذي نسف الهدف الذي من اجله عقد المؤتمر ، ان وقائع المفاوضات بمختلف مراحلها واضحة امامنا الان كل الوضوح ، ومنها نستطيع ان نستنتج ، وبها نستطيع ان نحكم .. على من يستحق الحكم .

وفيما يتعلق بالحكومة الجزائرية فان سجل المفاوضات ، واضح ابدا ، وناصع ابدا ، ولقد كان مؤتمر ايفيان من غير جدول اعمال متفق عليه ، ولكن الحكومة الجزائرية لم تشأ ان تعلق اهمية على هذا الموضوع البالغ الاهمية .. وقد تجاوزت الحكومة الجزائرية عن كثير من جوانب الغموض التي احاطت بالمؤتمر وموضوعاته منذ البداية .. ففي ٣٠ مارس ١٩٦١ اصدرت الحكومة الافرنسية بلاغا رسميا مبهما اعلنت فيه ان المفاوضات ستدور حول « تقرير المصير والامور المتصلة به » . ولم تشأ الحكومة الجزائرية ان تلفت النظر الى هذه الصيغة المغلفة بالغموض ، وارتأت ان تسير في هذه الرحلة الى نهايتها ، رغما عن الالغام التي كانت فرنسا قد زرعتها في الطريق منذ بدايتها ..

ان هذا الموقف الذي اتخذته الحكومة الجزائرية كان في منتهى الايجابية

البناءة ، وليس هذا هو تحليلي الشخصي ، ولكنه هـو في صميم السياسة المعلنة التي اقرتها الحكومة الجزائرية اراديا وتلقائيا .. ففي عشية مؤتمر افيان في ١٩ مايو ١٩٦١ أصدرت الحكومة الجزائرية من مقرها في تونس بيانا سياسيا كشفت فيه عن خطتها في مؤتمر افيان .. ولم تقتصر الحكومة الجزائرية على الاعراب عن اطيب تمنياتها بنجاح المؤتمر ، ولكنها سردت المبادىء العامة التي تؤدي الى نجاحه ، متناولة كل جوانب القضية الجزائرية .. والواقع ان الحكومة الجزائرية قد اتخذت من مفاوضات ايفيان مناسبة حية لتكشف عن حقائق القضية الجزائرية امام الراي العام الدولي ، حقائق عارية في رابعة النهار .. وليس في القضية الجزائرية ما يفرض الخفاء ، فانها تطالب بالحرية للجميع ، والاخوة للجميع ، والمساواة للجميع ، وهذا هو شعار فرنسا الشهير .. واستنادا الى ذلك فان بيان الحكومة الجزائرية قد نص على ما يأتي : ان المفاوضات بين الحكومة الافرنسية والحكومة الجزائرية ستبدأ غدا في ايفيان .. وان وفدنا سيحضر هذا المؤتمر برغبة قاطعة للوصول الى حل حاسم للمشكلة التي نشأت منذ ١٣٠ عاما ، ان وفدنا سيحضر المؤتمر على امل بان توضع نهاية للحرب ، وان السلام ممكن اذا توفرت الضمانات التي لا غنى عنها.. ان هدف الاجتماع في ايفيان يجب ان يكون تحرير الجزائر تحريرا حقيقيا شاملا ، وان معنى هذا ، ان الشعب الجزائري يجب ان يجد نفسه متحررا من العبودية ، بعد ان اخضع ١٣٠ عاما للقانون الافرنسي ، قانون الأقوى.. ومنذ نوفمبر ١٩٤٥ الى يومنا هذا قاتل الجزائريون من اجل استقلالهم وماتوا في سبيله ، ولم تبخل الجزائر لتحقيق هذه الغاية بالارواح والاموال.. وقد اصبح عسيرا ان تحصي شهداءنا .. وان كفاح جيش التحرير الجزائري الذي لا يقهر ، هو الذي جعل مفاوضات الغد ممكنة .. وان هذه المفاوضات يجب ان تيسر لشعبنا ان يمارس ممارسة حقيقية سيادته ، وان يحقق استقلاله .. »

وفيما يتصل بالسياسة الخارجية والعلاقات مع فرنسا فقد اعلنت الحكومة الجزائرية ما يلي :

« في الشئون الخارجية ان سياسة الجزائر تستهدف اقامة العلاقات المثمرة المتواصلة مع جميع الشعوب ، وبطبيعة الحال مع الشعب الافرنسي. وان الجزائر وقد اغنتها تجارب حرب السبع سنوات ، لترغب ان تساهم

في بناء السلم العالمي .. وان الجزائر المستقلة مستعدة ان تمد يدها الى فرنسا .. وهي مستعدة كذلك ان تحترم المصالح الافرنسية التي لا تتعارض مع المصالح الجزائرية . وانه من طبيعة الاشياء ان الشعب الجزائري ، متحررا من قيود العبودية ، ستكون له احسن العلاقات بالشعب الافرنسي .. وسرعان ما تنتهي الحرب ويتحقق الاستقلال ،فان العلاقات العادية بين الشعبين ليست ممكنة فحسب ولكنها مرغوب فيها .. وبين شعبينا فسيكون المجال واسعا للتعاون الحر » .

اما بشأن الاقلية الاوروبية فقد اعلنت الحكومة الجزائرية قولها : « اننا نأمل ان تفهم الاقلية الاوروبية في الجزائر بصورة قاطعة اننا على ابواب عهد جديد ، وانه ليس لهم ما ينفعهم من ارتباطهم بالاستعمار .. وفي الجزائر سيكون لكل جزائري المكانة المرموقة .. ونحن نتطلع الى مستقبل مليء بالسلام والتقدم في الجزائر » .

ثم ذهبت الحكومة الجزائرية الى مدى ابعد في الرغبة بنسيان الماضي، والتوجه الى مستقبل مشرق، فاعلنت نداء مؤثرا بكلمات، جاء فيها «اذا كانت فرنسا مستعدة باخلاص ان تقلب صفحة الماضي الاستعماري بصورة نهائية قاطعة ، فنحن مستعدون من جانبنا ان نضمد جراحنا ونتغلب على مشاعر المرارة في نفوسنا .. »

وبهذه الروح الخيرة ، يا سيدي الرئيس، اتجه وفد الحكومة الجزائرية الى افيان يحمل العزم الصادق ، والاخلاص العميق ، تطلعا الى الحل السلمي الشريف العادل ، وكان الوفد ممثلا لوزارات الخارجية والمالية ، والتنمية الاقتصادية والاعلام ، وجيش التحرير الجزائري ، وكان الوفد مخولا ان يبحث جميع المسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية ،ومفوضا ان يدخل في مفاوضات حرة مع فرنسا ، من غير شروط مسبقة الا ما نص عليه قرار الامم المتحدة ، تقرير المصير على اساس وحدة الشعب الجزائري وسلامة الوطن الجزائري ، وعلينا ان نقف قليلا لنتابع سير المفاوضات في افيان .

انعقد المؤتمر في مايو ١٩٦١ في افيان ، وبادر الوفد الجزائري الى عرض القضية الجزائرية على ابسط ما يكون ، وبموضوعية واضحة ..

فاعطى للجزائر ما للجزائر ، ولفرنسا ما لفرنسا .. ابتدأ الوفد الجزائري بيانه قائلا « ان الموضوع الذي يواجهنا في هذه الدقيقة هو استئصال الاستعمار من جذوره .. » وان هاتين الكلمتين « استئصال الاستعمار» على ايجازهما تحددان المشكلة وتحددان الحل .. ان القضية الجزائرية في لحمها وعظمها، هي قضية استعمار.. ولذلك فان حلها، شأنها شأن جميع القضايا الاستعمارية هو باستئصال الاستعمار .. وليس هذا ما يفرضه المنطق البسيط ، بل ان هذه هي روح العصر ، بل هي روح اليوم الذي نعيشه .. وبهذه الروح مضى الوفد الجزائري يؤكد في بيانه « ان تقرير المصير يجب انيمارسه الشعب الجزائري ، في معزل عن اية شروط » . وبهذه الروح نفسها اكد الوفد الجزائري الضرورة الملحة لإحترام حق الشعب الجزائري في وحدته وسلامة وطنه ، في جميع الظروف والاحوال.. ويتضح من هذا ان موقف الوفد الجزائري متفق تماما مع قرار الامم المتحدة ، وكأنما كان الوفد الجزائري يقرأ في افيان ، ما قررته الامم المتحدة في نيويورك ..

ولم يكتف الوفد الجزائري بان سرد مطالب الشعب الجزائري ووقف عندها ، بل انه ذهب الى ابعد من ذلك ، في محاولة صادقة لازالة مخاوف فرنسا .. فلم يترك لها ما تخشاه حين اعلن « ان استقلال الجزائر ليس معناه العداء للأجنبي ، وليس له ان يؤدي الى الكراهية .. نحن نفهم الاستقلال في اطارالعلاقات النافعة بين شعبين متحررين .. وان هذه العلاقات يمكن تنميتها ، ويمكن ان تنفع الشعب الافرنسي والشعب الجزائري » .

اني لا احسب ، ياسيدي الرئيس انه يمكن ان يكون هنالك كلام اوضح من هذا الكلام الواضح ، ولا احسب انه يمكن ان تكون هنالك عواطف أصدق من هذه العواطف الصادقة ، لقد وضع الوفد الجزائري كل اوراقه على مائدة المفاوضات من غير مخادعة ، ذلك ان الحكومة الجزائرية لم يكن عندها ما تخفيه ، وما يحملها على اللف والدوران .. لقد كان موقفها منطبقا تطابقا هندسيا مع قرار الامم المتحدة : تقرير المصير على اساس وحدة الشعب الجزائري وسلامة وطنه .

ثم ان الوفد الجزائري قد عرض اكثر من ذلك .. لقد مد يد الصداقة مع فرنسا .. لقد اكد ان من اليسير ان يقوم تعاون مثمر

وفعال ، وصداقة مخلصة بين فرنسا من جانب ، والجزائر المستقلة من جانب آخر .. ان الاستقلال في نظر الجزائر هو لتحقيق اسمى المطالب القومية وانبل الاماني الوطنية لتتجلى في بناء دولة ديمقراطية ترعى حياة الجزائريين ، جميعا من غير تمييز .. ان استقلال الجزائر معناه الاتصال لا الانفصال ، معناه التعاون لا القطيعة ، معناه الصداقة لا الكراهية ، معناه المستقبل المشرق لا الماضي المرير – كل ذلك على اساس السيادة المتكافئة والاحترام المتبادل للمصالح المشتركة .. كان ذلك هو موقف الجزائر في افيان ، موقف يتسم بالاستقامة والصدق ، فماذا كان موقف فرنسا ..

لقد كان موقف فرنسا ، يا سيدي الرئيس ، قائما منذ البداية على استراتيجية ملتوية ، وتاكتيك منحرف .. ان فرنسا لم تحضر مؤتمر افيان في نية صادقة لتنفيذ القرار الذي اصدرته الامم المتحدة في العام الماضي .. لقد جاءت فرنسا الى ايفيان لتقامر لا لتفاوض .. وكما هو معروف فان افيان هي دار القمار الاولى في اوروبا .. وكذلك فقد جاءت فرنسا الى المؤتمر لتغرق القضية الجزائرية في افيان ، وهي المعروفة بحماماتها الشهيرة .. فهل يريد الجنرال ديجول ان يقامر في ايفيان وعلى حساب القضية الجزائرية .. ليس هذا السؤال من باب المجاز ، فلنلق نظرة الى الوراء على مؤتمر افيان ، الى يوم ٢٠ مايو ١٩٦١ ، اليوم الذي افتتح فيه المؤتمر ..

في ذلك اليوم ، وعلى وجه التحديد بعد اربعين دقيقة من افتتاح المؤتمر ، حين كان الوفد الافرنسي يلقي بيانه الاول ، اعلنت الحكومة الافرنسية هدنة في الجزائر .. وفي ظاهر الامر كانت هذه الخطوة من جانب فرنسا مدعاة الى التقدير ، فوق انها تدل على « الورع والتقوى » ، ولكن لم تنقض لحظات بعد ذلك حتى ادرك الراي العام الدولي ، بفطرته السليمة ، حقائق الموضوع يتساقط على جنباته القناع والستار .. لقد انكشف اولا ان هذه الهدنة هي هدنة افرنسية ، وحيدة الطرف ، حتى ان الحكومة الجزائرية لم تبلغ بها .. ليست هذه هدنة .. ان الهدنة هي تدبير متفق عليه ، يتم بالمفاوضة بين الفريقين المتحاربين .. فاذا اعلنه فريق واحد فهو خدعة لا هدنة .. ولا يكون الا تكتيكا مفضوحا ، خاليا من روح التكتيك ..

لقد ظنت فرنسا انها بهذه الخطوة تستطيع ان تاسر خيال رجل

الشارع في فرنسا ، وتربح الراي العام الدولي ، وتحرج الحكومة الجزائرية..
ولكن فرنسا قد اخفقت في تحقيق هذه الاهداف الثلاثة ، فلقد خاب ظن المواطن الافرنسي في حكومته ، وهزأ الراي العام الدولي بفرنسا ، وسخر الشعب الجزائري من هذه اللعبة المكشوفة .. ذلك ان الخدعة سرعان ما اكتشفت ، وبدا واضحا ان الهدنة كانت مجرد اعلان من طرف واحد..
ثم ان الامر كان اكثر اثارة للسخرية حينما عرفت التعليمات الخاصة التي وجهها المندوب الافرنسي العام في الجزائر بشان تنفيذ الهدنة، وكانما الحكاية لا تعدو ان تكون مسرحية اخرى في « الكوميدي فرانسيز » ، لقد خولت تلك التعليمات الحرية الكاملة للجيش ، « القيام بعمليات هجومية حيثما كان ، وحينما تقضي الظروف » . وبدا جليا ان هذه الهدنة هي اشبه ما تكون بمهرجان الكرنفال ، ولكن خاليا من جماله وروعته .

أما بالنسبة للحكومة الجزائرية فقد كانت « الهدنة » مفاجأة لها ، وان لم تذهلها هذه المفاجاة .. هذه الهدنة لم تحرج الحكومة الجزائرية ، ذلك انها لم تكن اكثر من « ضربة تسلل » وان الذين يعرفون لعبة الكرة يعرفون معنى « ضربة التسلل » ، والمتمرسون برماية النار يسمونها طلقة فارغة ، أو طلقة الى الخلف ، لا تصل الى الهدف ولكنها تصيب صاحبها..
ولقد اصدرت الحكومة الجزائرية من مقرها في تونس بيانا بتاريخ ٢١ مايو ١٩٦١ اعلنت فيه انها لا تعلم شيئا عن هذه الهدنة الافرنسية .. وبذلك لم يتيسر للخدعة ان تخدع احدا ..

وفيما يتعلق بجوهر المفاوضات في افيان فان موقف الحكومة الافرنسية كان اسوأ من حكاية الهدنة ، وانكم يا سيدي الرئيس قد تغفرون لفرنسا خدعتها ومناوراتها بصدد الهدنة ، مجاملة لها ، ولكني واثق بانكم لن تقبلوا لها عذرا ولا دفاعا بصدد جوهر الموضوع نفسه .. ان موقف فرنسا يجلب لها المهانة ويجعلها جديرة بالادانة .. لقد تصرف الوفد الافرنسي بصدد المفاوضات تصرفاً جعل من افيان ذات الحمامات ، افيان ذات حقل الالغام .. وكانما زرعت تلك الالغام في افيان لتنسف تقرير المصير وتدمر الاستقلال ، ففي ٨ يونيو ١٩٦١ قدم الوفد الافرنسي خطة لما اسماه « ازالة الاستعمار » غير ان الامر لم يكن يحتاج الى ذكاء خارق ليكشف المرء ان ما اسمته فرنسا « ازالة الاستعمار » ، انما هو استعمار جديد تحت شعار جديد .. وحتى نزلاء مصحة الامراض العقلية في باريس، كان يسيرا عليهم ان يروا ان الخطة الافرنسية ، انما هي استعمار عن طريق

المفاوضات .. واذا قبلت الجزائر الخطة الافرنسية فان النتيجة ستكون استعمارا بالتراضي .. بل ان ذلك ليعني بصورة اكيدة ان الجزائر قد قاتلت ١٣٠ عاما لتضفي الصفة الشرعية على السيطرة الافرنسية ..واليكم النقاط الرئيسية في الخطة الافرنسية .

ولنبدأ بموضوع الاقلية الاوروبية ، فلقد نص الوفد الافرنسي في بيانه على وجود « الجماعة » الاوروبية بضمانات « كيانية » ودستورية.. ويتضمن هذا النص ، في جملة ما يتضمن ، حق التمثيل في البرلمان الافرنسي لهذه « الجماعة الاوروبية » في كيان منفصل .. وبهذا فانالخطة الافرنسية تقيم في داخل « الدولة الجزائرية » دويلة اوروبية ، اوروبية ، دائما ومفضلة متميزة دائما .

وبصدد الصحراء ، فان الخطة الافرنسية تقوم على الاسطورةالقديمة ـ الصحراء الافرنسية . ذلك ان فرنسا تزعم ان الصحراء ليست قطعة من الجزائر ولكنها قطعة من فرنسا .. وهذا زي افرنسي قديم ، ليس له جمال الازياء ولا فتنتها .. وواضح ان الكلمة الاجنبية « سهارا » مأخوذة عن اللفظ العامي والفصيح « للصحراء » ، منذ كانت اللغة العربية ومنذ كانت الصحراء .... واذا كانت اسطورة الجزائر الافرنسية قد تحطمت ، فان هذا يستتبع ان تتحطم معها اسطورة الصحراءالافرنسية في الجزائر الحرة ، بل في افريقيا الحرة .. ان اسطورة الصحراءالافرنسية لن تكون موجودة الا في صحراء الاسطورة الاستعمارية ، وما اخصبها في خيال الاستعمار الافرنسي العقيم !

وفوق هذا فان الخطة الافرنسية تتضمن خرافات سياسية اخرى.. لقد طالب الوفد الافرنسي بانشاء مناطق عسكرية داخل الدولة الجزائرية.. وليست هذه قواعد حربية ولكنها ، مناطق شاسعة بكاملها ، مخصصة لاغراض عسكرية ، ويكون لفرنسا عليها سيادة كاملة ، وبهذا يكون لفرنسا دويلات عسكرية موزعة هنا وهناك في داخل الدولة الجزائرية .

يضاف الى ذلك ان الخطة الافرنسية تدعوالى انشاء نظام خاص في مدن معينة ، يعاد فيها تجميع الاوروبيين ، وبهذا تنشأ دول المدن (١) ، لتذكرنا بدول المدنالتي كانت سائدة في اليونان القديمة .

City State (١)

ولهذا فان الخطة الافرنسية يا سيدي الرئيس هي خطة كاملة ، ولكن .. من اجل تهشيم تقرير المصير ، وتجزئة الوطن الجزائري ،وتحطيم وحدة الشعب الجزائري .. وفوق هذا وذاك فانهـا تصنع كوكتيلا من الدول ، على المذاق الافرنسي .. الدولة الاوروبية دولة المدن ، دولة الصحراء واخيرا دولة الجزائر ، محطمة مهشمة ممزقة .

ورغما عن ان هذه الخطة الافرنسية كانت مشينة ، فقد استمر الوفد الجزائري ، يعارض ، مناقشا ومجادلا بصبر بارد وحماسة دافئة.. وراح يفند الخطة الافرنسية موضوعا موضوعا .. ولكن جميع الحجج لم تكن تقنع الوفد الافرنسي بالرضوخ الى قرار الامم المتحدة والىميثاقها، حتى تلك الحجج المنبثقة من قرار الامم المتحدة وميثاقها .. وليضيف الاهانة الى الاذى فقد قرر الوفد الافرنسي ، فجاة وبعد ثلاثة اسابيع من المفاوضات وقف اعمال المؤتمر ، بدون بيان اي سبب من الاسباب .

وكان هذا الموقف من جانب فرنسا بغير علم الوفد الجزائري او موافقته ، تماما كموقفها من حكاية الهدنة في بداية اعمال المؤتمر ..وحتى لعبة الكرة لها نظام ولها تقاليد ، ولا يصح لاحد الفريقين ان يوقف اللعب وحده ، بناء على مشيئته واختياره .. ولكن الوفد الجزائري اعتصم بالصبر والاناة ، واعرب عن استعداده لاستئناف المفاوضات حينما يحلو للفريق الافرنسي ان يعود الى اللعب مرة ثانية .

وبدلا من ان تنصرف فرنسا في ذلك الوقت الى دراسة الموقف من جديد ، اثبتت الاحداث فيما بعد ، ان فرنسا قد اطلقت حملة من الحرب النفسية .. فلقد القت فرنسا الذنب في تعثر المفاوضات على عتبات الوفد الجزائري .. فلقد القى المسيو لويس جوكس الوزير الافرنسي لشئون الجزائر ، بيانا اذيع في الراديو والتلفزيون ، عن سير المفاوضات في مؤتمر افيان ، ملخصا موقف الوفد الجزائري كما يلي : « نحن لم نستطع ان نتبين موقف جبهة التحرير الجزائرية بصدد اي من المواضيع المطروحة على المؤتمر .. حتى انا وجدنا انفسنا نلام للقرار الذي اتخذناه بشان وقف الاعمال الحربية ، ذلك القرار الذي اعتبر مناورة عسكرية .. وفي المواضيع الاخرى كان ممثلو جبهة التحرير الجزائرية يقيدون انفسهم بامور نظرية مجردة ، او يلتزمون الصمت ، او انهم يعربون عن نوايا طيبة ، سرعان ما نجدها تطير في

الهواء حينما نحاول أن نمسك بها » .

ان هذا البيان الافرنسي ، على لسان الوزير الافرنسي ، هو بيان قائم على الاباطيل ، ونحن نأسف ان الوزير الافرنسي للشئون الجزائرية قد جعل من نفسه وزيرا للتضليل في الشئون الجزائرية !!

لقد اوضحت لكم ان الوفد الجزائري قد كشف عن موقفه في جميع المواضيع كشفا صريحا شاملا وانه افتئات على الحقيقة ان يقول الوزير الافرنسي ان الوفد الجزائري قد قيد نفسه بأمور نظرية مجردة ، ان الوفد الجزائري قد طرح جميع المشاكل واقترح جميع الحلول ، حلا لكل مشكلة .. مشكلة .. وانه افتراء على الصدق كذلك ، ان يقول الوزير الافرنسي ان الوفد الجزائري قد التزم الصمت .. لقد شرح الوفد الجزائري موقفه من القضية الجزائرية بكل جوانبها ، وبكل صراحة .. وليست لديه اسرار يخفيها ، ولا شئون يخجل منها .. وهل تستطيعون تصديق هذا الكلام ، وهل يعقل ان يلوذ الوفد الجزائري بالصمت ، ومدافع جيش التحرير الجزائري يتجاوب هديرها في جبال الجزائر وسهولها وأوديتها تدوي بمطالب النضال الجزائري في الحرية والاستقلال .

والواقع ان الوفد الجزائري قد اعلن موقفه في جميع جوانب القضية الجزائرية ، ببيانات رسمية مدونة ، ففي ١٠ يونيو ١٩٦١ قدم الوفد الجزائري الى مؤتمر افيان ، وما اظن ذلك من اسرار المفاوضات ، مذكرة خطية وصفها الوفد الجزائري بانها « تاخذ بعين الاعتبار جميع الحقائق ، وجميع العوامل الانسانية والنفسية في نطاق خطة صادقة لازالة الاستعمار والتعاون المثمر » .

واني استاذنكم يا سيدي الرئيس ان اخرج من نطاق التعميم الى التخصيص ، لنضع الامور في نصابها الصحيح ..

في ما يتعلق بالصحراء فلقد اوضح الوفد الجزائري « بان الجزائر لن تنسى بان الصحراء تحت السيادة الجزائرية ستكون مفتوحة امام الانتاج الكامل ، وان تستغل ثروتها الى أبعد حد .. وسنأخذ بعين الاعتبار مصالح الأقطار المجاورة ، وكذلك مصالح افريقيا وفرنسا نفسها ، وسيكون المجال مفتوحا كذلك امام جميع الدول الراغبة في التعاون معنا على قدم المساواة» .. ليس هذا صمتا ولا افكارا مجردة من جانب الجزائر ، كما زعم الوفد الافرنسي . ان هذه كلمات واضحة ارسلها الوفد الجزائري في صيحة عالية في داخل المؤتمر ، تنادي بالتعاون مع الجميع لصالح الجميع ، وفرنسا مشمولة في ذلك .

وفيما يتعلق بالاقلية الاوروبية فقد اكد الوفد الجزائري بأن « الجزائر لا تمنع الجنسية الجزائرية عن الاقلية الاوروبية ولكنها لا تفرضها عليها .. ان الحكومة الجزائرية تعرض الجنسية الجزائرية على الاقلية الاوروبية ، من شاء منهم ان يرغب فيها ، وان هذا الحل ينطوي على اقصى قدر من الواقعية والانسانية والديمقراطية .. وان نتائج هذا الحل واضحة كل الوضوح .. سيكون لجميع الجزائريين من غير تمييز نفس الحقوق ونفس الواجبات ، وسيشاركون في الحياة السياسية العامة للشعب » . ولا شك يا سيدي الرئيس انكم ستقولون مع الوفد الجزائري ان هذا الحل ينطوي على اقصى قدر من الواقعية والانسانية والديمقراطية .

اما فيما يتعلق بالضمانات المحددة الخاصة بالاوروبيين ، فقد اعلن الوفد الجزائري ما يلي : « نحن حريصون ان نوضح تماما حقوق الجزائريين الذين هم من اصل اوروبي .. نحن على استعداد ان نبحث جميع الضمانات التي تكفل لهم الحقوق الانسانية والمدنية ، سواء بالنسبة للاحوال الشخصية ، والتعليم ، والحرية الدينية ، او في سائر المجالات التي تضمن لهم ممارسة جميع نشاطاتهم من غير اكراه ولا اجبار » .. ثم مضى الوفد الجزائري في شرح هذا الموضوع قائلا : « ان الاوروبيين الذين يريدون ان يبقوا افرنسيين فذلك حقهم ، وبهذا فانهم يختارون ان يكونوا اجانب ، وبهذه الصفة فانهم يستطيعون ان يتمتعوا بالضمانات المقررة .. اما الافرنسيون الذين يريدون ان يحتفظوا بجنسيتهم فنحن مستعدون ان نبحث موضوعهم بصورة واقعية ... ومهما كان عددهم ووضعهم ، فنحن على استعداد ان نحدد الضمانات التي تكفل لهم بصورة مشروعة الاستمرار في الاقامة في الجزائر ، في اطار السيادة الكاملة للدولة الجزائرية » . هذا هو موقف الجزائر بالنسبة للاقلية الاوروبية من حيث المبدأ ومن حيث التفاصيل ، فهل يمكن ان يوصف هذا الموقف بانه ينطوي على الصمت ؟ الا اذا كان للصمت معنى آخر في القاموس الافرنسي .

اما بشأن القواعد العسكرية فقد كان موقف الوفد الجزائري غاية في المسئولية الرشيدة والسداد ، فقد قال الوفد الجزائري ما يلي : « ان الوفد الجزائري لم يعالج هذا الموضوع من الزاوية المعروفة .. لقد جعله الوفد الافرنسي موضوعا اقليميا ، تريد فرنسا من ورائه ان تحتفظ عليه بسيادة كاملة ، وبهذا فانها تنتقص من وحدتنا الاقليمية وسيادتنا الوطنية » . لقد كان هذا الموقف من جانب الوفد الجزائري موقفا دبلوماسيا بارعا ذكيا ، نابعا

من ذهن متفتح .. لقد ذكر الوفد الجزائري بمقدرة وكفاءة ، الوفد الافرنسي بان يعالج الموضوع من زاوية المعتاد لا على اعتبار انه موضوع اقليمي ، بل من زاوية اخرى يتفق عليها بين الفريقين .

هذه يا سيدي الرئيس ، هي الجوانب المتعددة للقضية الجزائرية ـ الصحراء ، الاقلية الاوروبية ، والقواعد العسكرية ، ولقد عالج الوفد الجزائري هذه القضايا معالجة كاملة شاملة ، فلم يلجأ الى الصمت ولا لجأ الى الجدل النظري ، وفي كل موضوع تقدم الوفد الجزائري بحلول تتفق مع ميثاق الامم المتحدة ، وتنسجم مع قراركم الذي اصدرتموه في في العام الماضي .

والواقع ان البعثة الجزائرية الدائمة لدى الامم المتحدة قدافاضت في شرح موقف الجزائر في تقرير تقدمت به الى المجموعة الاسيوية الافريقية .. وقد عالج هذا التقرير مختلف جوانب القضية الجزائرية ، على هدى المبادىء الاساسية التي التزمت بها الامم المتحدة .

ففي صدد الاقلية الاوروبية اوضح التقرير ان الدولة الجزائرية المقبلة ستضمن لجميع الجزائريين جميع الحقوق من غير نظر الى اصولهم، واعلن التقرير ان « الجزائر ترفض رفضا باتا اية فكرة من شأنها ان تمنح اية جماعة عنصرية امتيازات خاصة ، وتعتبر هذا العمل منافيا للديمقراطية ان تصنيف الجزائريين على اسس عنصرية انما هو تهديد للاستقلال الذي كافح الشعب الجزائري من اجله زمنا طويلا .. غير ان الحكومة الجزائرية لا يغيب عن بالها الخصائص الذاتية للاقلية الاوروبية ، في النواحي الثقافية واللغوية والدينية .. لقد اعلنت الحكومة الجزائرية المرة بعد المرة انها على استعداد لان تمنح الجنسية الجزائرية لجميع الاوروبيين الذين يرغبون ان يصبحوا جزائريين ... ومن ناحية اخرى فان الذين يريدون ان يبقوا افرنسيين ، وان يستمروا في العيش في الجزائر ، فلهم الحرية الكاملة في ذلك .. وستوفر لهم الضمانات اللازمة التي تتفق مع السيادة الجزائرية، ومع القوانين المعمول بها .. ونحن نتطلع الى حل يستند الى مفهوم الديمقراطية الصحيح .. نحن نعترف بالخصائص الذاتية للاقلية الاوروبية نحن مستعدون ان نمنح الجنسية الجزائرية الكاملة والمساواة الشاملة للاقلية الاوروبية وفيها عددا من اشد اعدائنا » .

واني لاعجب يا سيدي الرئيس ، واتساءل ، هل تطلب فرنسا مزيدا

على ذلك من الحكومة الجزائرية ؟! ان هذه الضمانات ، وأقولها بكل صراحة ، هي ضمانات مميزة تكاد ان تصبح نظاما مفضلا ، لم تمنحه اي من الخمسين دولة التي حازت على استقلالها ، منذ ان نشأت الامم المتحدة .

وفيما يتعلق بموضوع الصحراء فقد ذكر تقرير البعثة الجزائرية ما يلي « أن الحكومة الجزائرية تميز بين السيادة على الصحراء ،وموضوع استثمار ثرواتها الطبيعية ، ان الثروة الطبيعية يجب ان تنتفع بها افريقيا عن طريق التعاون المثمر .. وان هذا التعاون يمكن ان يتحقق مع فرنسا ، خصوصا انها قد بدأت فعلا في مشروعات الاستثمار » .

وهذه ، ياسيدي الرئيس ، هي السياسة المعلنة للجزائر بشأن الصحراء .. ان الجزائر تدعو فرنسا الى الاستثمار المشترك ، وفرنسا تصر على الاحتكار .. واننا نترك الامر لكم ، لتحكموا اي الفريقين اكثر عدلا ، واصدق موقفا ؟؟

اما بشأن المناطق العسكرية فقد ذكر تقرير البعثة الجزائرية « ان فرنسا قد طلبت اقامة مناطق عسكرية في الجزائر .. لا قواعد عسكرية فحسب ، ولكن مناطق بكاملهاتمارس فرنسا عليها سيادة كاملة .. وان هذا الطلب يتنافى مع الوحدة الاقليمية للوطن الجزائري ومع مبدأ تقرير المصير ، لان هذا المبدأ يجب ان ينطبق على جميع الجزائر وجميع الجزائريين .. »

هذا يا سيدي الرئيس موقف الجزائر من القضية الجزائرية ، كما عرض في مؤتمر ايفيان وفي الامم المتحدة ، وهو موقف في غاية الوضوح والشمول ، ولا يمكن تشويهه وتزييفه ، ان ادوات التجميل في باريس تستطيع ان تصنع الجمال .. هذا ما نعترف به ، ولكنها لا تستطيع ان تجعل الجميل قبيحا !!

ولكن فرنسا لم تقتصر على التشويه والتزييف ، بل انها استغلت فترة ايقاف مؤتمر ايفيان ، وراحتتضرب فيميدان الدسائسوالمؤامرات.. وبدلا من ان تستخدم تلك الفترة في مراجعة الموقف مراجعة رشيدة ،سددت فرنسا ضرباتها في ثلاث جبهات لتضعف موقف الحكومة الجزائرية ، غير ان

فرنسا قد هزمت في الجبهات الثلاثة .. وكانت هزيمة مجيدة !!

ولقد كانت الهزيمة الاولى مع الدول الافريقية المجاورة للصحراء .. فقد لجات فرنسا الى الاسلوب القديم – فرق تسد – فاتصلت بتلك الدول ، وهمست في اذانهم ان مطالب الجزائر بشأن الصحراء لن تترك لمصالحهم اي مجال ، وستسد الطريق على جميع ادعاءاتهم .. ولكن الحكومة الجزائرية قد افسدت على فرنسا هذه الفرية ، فاتصلت بوزارات الخارجية في تلك الدول واوضحت لها موقف الجزائر من موضوع الصحراء ، وكانت النتيجة نصرا للجزائر وهزيمة لفرنسا .. وقد تجلى ذلك في الموقف الرائع الذي اعلنته الدول الافريقية ، في ان موضوع الصحراء يمكن ان يحل بصورة ودية بين الدول الافريقية ذاتها ، ولكن بعد استقلال الجزائر .

اما الجبهة الثانية فقد فتحتها فرنسا في الجزائر نفسها .. فلقد طار المسيو جوكس ، بعد مؤتمر ايفيان مباشرة الى الجزائر في محاولة يائسة لانشاء « سلطة تنفيذية » من زعماء الجزائر المسلمين ، وهي السلطة التي حاولت فرنسا انشاءها عدة مرات .. ولقد اتصل المسيو جوكس ومعاونوه بجميع الزعماء الجزائريين في جميع المدن والمقاطعات الجزائرية.. ولقد جرت احاديث تفصيلية بين الجانبين الافرنسي والجزائري.. ولكن جواب الجزائريين كان قاطعا حاسما .. فقد رفض الزعماء الجزائريون ان يتعاونوا مع السلطة الافرنسية من غير موافقة الحكومة الجزائرية .. لقد واجه المسيو جوكس كلمة « لا » حتى من اولئك الذين يعرفون بانهم جماعة « نعم » في الجزائر ، وجماعة « نعم » يمكن ان تكون في كل شعب ، وعلى حافة كل حركة تحريرية في العالم . وهكذا فقد فشل المسيو جوكس وطار الى فرنسا ليرفع تقريرا عن فشله الذريع ، وثبت مرة اخرى اكثر من اي وقت مضى ، انه يستحيل على فرنسا ان تصل الى اية نتيجة من غير موافقة الحكومة الجزائرية .. وانه لجهد يقصم الظهر ، ان تحاول فرنسا العمل من وراء ظهر الحكومة الجزائرية ...

وكانت الجبهة الثالثة مركزة على موضوع تقسيم الجزائر .. وقد قاد هذه الحملة الرئيس ديجول بنفسه .. ففي الحفلة الكبرى التي اقامها في حديقة الاليزيه تفجر الرئيس ديجول ، ثورة وغضبا ، على الحكومة الجزائرية لانها رفضت خطة « الجمعية الجزائرية الافرنسية » وقد بدا في ملاحظاته

تهديد صريح بتطبيق فكرة التقسيم في الجزائر .. لقد تحدث الرئيس ديجول عن « اعادة التجميع » ، وهو تعبير ابتدعه الرئيس ديجول ، يدعو بموجبه الى تجميع الذين يريدون ان يبقوا افرنسيين في منطقة محددة من الجزائر ، اذا اختار الجزائريون الاستقلال .. « واعادة التجميع » هو « كبسولة » حلوة تخفي مرارة التقسيم .

وانه ليس سرا يا سيدي الرئيس ، ان بين ملفات وزارة الخارجية الافرنسية ملفا ضخما خاصا بتقسيم الجزائر ، ويتضمن هذا الملف خطة متصلة يكون بموجبها للجزائريين الصحراء القاحلة .. والمناطق الجبلية ، اما الافرنسيون فان هذه الخطة تعطيهم منطقة وهران ـ اوزو ، مستغانم التي تحتوي ٤٤ في المائة من كروم الجزائر و٢٧ في المائة من الموالح و ٥٠ في المائة من الاسمنت ، مع السيطرة على غاز حاسي الرمل .. وتعطيهم كذلك سهل ميجا وشاطىء الجزائر ، بما يحتوي من ٢٠ في المائة من الكروم وعشرين في المائة من التبغ و ٤٢ في المائة من الموالح و ٥٠ في المائة من الانتاج الصناعي .. وتعطيهم كذلك منطقة بوجي التي تسيطر على نقل مصنوعات الحديد في حاسي بون ، وتحتوي على ٦٥ في المائة من انتاج القطن ، و ٥٠ في المائة من التبغ ، و ١٢ في المائة من الموالح و ١٩ في المائة من انتاج الكهرباء.. وبموجب هذه الخطة فان فرنسا تسيطر على ٧٥٠ كيلومتر من الف كيلومتر من الشاطىء الجزائري ، واغنى الاراضي التي تمون الانتاج الزراعي بما تقدر قيمته باثنين بليون فرنك « جديد » ، من اصل اثنين ونصف بليون فرنك تمثل مجموع الانتاج في البلاد .

وبهذه الخطة ما تفتأ فرنسا تهدد الحكومة الجزائرية ، وخاصة بعد مؤتمر ايفيان ، ولكن الجزائر حكومة وشعبا لا يمكن ان ترتجف امام هذه الخطط الاستعمارية .. ان الجزائر اصلب عودا مما تظن فرنسا ، ولا يمكن ان ينثني عزمها امام هذه التهديدات والمناورات .. لقد قاتل الشعب الجزائري من اجل وطنه قرابة ١٣٠ عاما .. وفي الحربين العالميتين صمد المقاتلون الجزائريون الى النهاية ، دفاعا عن حرية فرنسا ، حينما كان مرشالات وجنرالات فرنسا يوقعون صكوك الاستسلام ، واتفاقات الهزيمة والعار .

وجوابا على تهديدات الرئيس ديجول التي اطلقها في حدائق الاليزيه .. اعلنت الحكومة الجزائرية تحديا مكشوفا ، لا في القصور ولا في الحدائق ،

ولكن في الجزائر كلها ، في مدنها وقراها وفي جبالهـــا وسهولها ، الـى اخر اكواخها وخيامها .. لقد اعلنت الحكومة الجزائرية اليوم الخامس من شهر يوليو « اليوم الوطني ضد التقسيم » ، ولقد اصبح ذلـك اليوم تاريخيا في عمر الجزائر . وكانت النتيجة فوق ما يتوقع اكثـــر الناس تفاؤلا .. فلقد اضربت الجزائر لمدة ٢٤ ساعة .. واخفقت كل وسائـــل الارهاب لاحباط الاضراب .. وفي الجزائر العاصمة وحدها ، كان ما يقرب من ٣٥ الفا مـن رجال الجيش والشرطة ليقمعوا المظاهرات العامة .. ولم تكن هذه مظاهرات عادية .. في ذلك اليوم كـــان الشعب الجزائري كلـــه في الشوارع ، وفي الساحات ، في الميادين العامة ، احتجاجا على التقسيم .. وفي مجلة « كايمي انترناسيونو » في عددها الصادر في يوليو ــ اغسطس ، اعلن الكاتب الافرنسي المعروف « مسيو لنسن » ان صيحات « لا تقسيم في الجزائر » ترددت الوف المرات في ذلك اليوم .. ثم تساءل الكاتب .. وقد تساقط المئات من القتلى والجرحى ، « من الذي يشك في قوة الحكومة الجزائرية ، بعد هذا الاستفتاء الشعبي الذي سالت فيه الدماء في الشوارع » .

حقا يا سيدي الرئيس ، لقد كان الخامس من يوليو يوما قوميا عظيما ، لقد قالها الشعب الجزائري كلمة واحدة للجنرال ديجول : ان الجزائر واحدة ولا يمكن تقسيمها .. ولقد دهشت صحيفة المساجرو في روما وهي المعروفة بولائها لباريس ، فقالت : « لقد اثبت اليوم الخامس من يوليو القدرة الفائقة للحكومة الجزائرية ، التـــي استطاعت في الوقت المناسب ان تعبيء شعور المسلمين جميعا في الجزائر .. والواقـــع ان المسلمين في الجزائر يعتبرون الحكومة الجزائرية حكومتهم الشرعية .. وان اليوم الخامس من يوليو كان انتصارا مجيدا للثوار ، من ناحية سياسية ومعنوية » .

وحتى قبل ان يبدأ الاضراب ، تنبأ مديـــر دائـــرة الانباء في الادارة الافرنسية في الجزائر ، بأن مئة في المئة من المسلمين في الجزائر سيلبون نداء الاضراب ، وكما توقع المسيو كودي فرجيك ، مدير الدائرة المشار اليه ، فقد اوقع الاضراب في ذلك اليوم شلـــلا كاملا في النشاط الاقتصادي في جميع انحاء البلاد ..

وبعد انقضاء خمسة اسابيع على هذه الهزائم ، في الفترة التي توقفت فيها اعمال مؤتمر ايفيان ، استؤنفت المفاوضات بـين الجانبين في ٢٠ يوليو ، ولكن هذه المرة في « لوغران » .. ولقد ادركت فرنسا انهـــا لـن تـستطيع

أغراقُ القضيةُ الجزائرية في حمامات أيفيان ، فنقلت مقــر المؤتمر الـى « لوغران » ، فتعالوا معي لنرى مصير المفاوضات في مرحلتها الثانية ..

وكما في ايفيان فقد اعاد الفريقان موقفيهما في « لوغران » ، وفي هـذه المرة أعد جدول اعمال دقيق بناء على طلب الحكومة الجزائرية .. ولم يترك هذا الجدول أي موضوع يتصل بتطبيق مبـدأ تقرير المصير ، او في الامور التي يجب ان تقرر بالنسبة لمستقبل الجزائر .. وقد تولى الوفد الجزائري بسط القضية الجزائرية بصورة كاملة مفصلة .. وابتدأ بموضوع الاقليـة الاوروبية فكان غاية في الديمقراطية الحرة .. فاعلن قوله « ان الجزائر هي البلد المستعمر الوحيد الذي يعرض من تلقاء نفسه حقوق الجنسية على رعايا الدولة المستعمرة .. وبهذا نحن لا نثبت باننا منسجمون مـع روح العصر الذي نعيشه فحسب، ولكننا نؤكد ان سياستنا قائمة على الحكمة والواقعية، الى جانب العدل والاحترام المطلق للانسان .. » .

اما موضوع الصحراء ، وهو مسألة مفتوحة للمفاوضات مـع الجزائر المستقلة فقد اكد الوفد الجزائري انه يجب استطلاع جميع آفاق التعاون.. واعلن الوفد الجزائري من جديد استعداد الجزائر للوصول الى اتفاق بشأن استثمار الصحراء .. ولكن على اساس انهـا جزء لا يتجزأ مـن الجزائر المستقلـة .

ولكن الوفد الافرنسي بقي مخندقا في خنادقه لا يتراجع خطوة واحدة في سبيل الوصول الى التفاهم ، ولقد ربطوا مصير المؤتمر بالصحراء ، وربطوا مصير الصحراء بالمصالح الافرنسية ، فلقد كانت الصحراء لفرنسا ، مشكلة قائمة بذاتها ، وذلك هو الشعار الذي كان يردده الوفد الافرنسي .. ولكـن الصحراء لا يمكن ان تكون « مشكلة بذاتهـا » ، ان الصحراء تؤلف اربعـة اخماس الجزائر ، وان وحدة الوطن الجزائري تعبير لا معنى له اذا كان اربعة اخماس الوطن يؤلف منطقة منفصلة قائمة بذاتهـا .. ولا يمكن أن يكـون هنالك وطن جزائري بدون الصحراء ، ان الحديـد في تندوف ، والفحم في جنوب وهران ، والمعادن المشعة في هوجـار ، والزيت في حاسي مسعـود والدحبيلة ، والغاز في الرمل ، كل هذه الثروات الطبيعية يجب ان لا تكون سببا في تجزئة الجزائر بل في وحدتها .. ان هذه الثروة الطبيعية يجب ان تكون نعمة ، لا نقمة على الشعب الجزائـري ، فاننـا لا نعرف خطـرا أدهى وامر من التقسيم .

وفضلا عن ذلك ، فان الامم المتحدة ، منذ انشائها ، وهي مهتمة بالمعاونة الاقتصادية والفنية تقدمها للدول النامية .. وانها تكون ، بلا شك ، هزيمة منكرة للامم المتحدة اذا كان على اي بلد ان يحرم من سيادته على رقعة من ارضه بسبب الثروة الطبيعية الكامنة فيها .. ان الجزائر ، وهذا اقل واجبات الامم المتحدة ، يجب ان تساعد لتساعد نفسها في استثمار ثرواتها الطبيعية .. ان سيادة الجزائر على الصحراء هي اولى المقومات الرئيسية للتنمية الاقتصادية في الجزائر .. والجزائر لم ترفض اي اقتراح معقول لاستثمار الصحراء في اطار الدولة الجزائرية المستقلة .. ولكن اقتطاع الصحراء يؤدي الى تهشيم الوطن الجزائري ، والى افقار الشعب الجزائري.

غير ان الوفد الافرنسي لجأ اخر الامر الى محاولة اخيرة ، فقد اقترح في محادثات لوغران ان تجمد قضية الصحراء وتوضع في « الثلاجة » الا ان الوفد الجزائري رفض هذا الاقتراح بكل تصميم ، ذلك ان كل شيء يمكن ان يجمد ويوضع في الثلاجة الا الصحراء .. ان الصحراء بطبيعتها تأبى ان تحتويها اية ثلاجة !! ومهما كانت كمية الثلج التي استخدمتها فرنسا ، فان الصحراء تهزأ بهذه المحاولة !! ولا بد للثلج ان يذوب كما يذوب الاستعمار الافرنسي ، تحت التحرير اللاهب الذي يخوضه الشعب الجزائري في معركته المقدسة .

هذه هي الظروف والاسباب ، يا سيدي الرئيس التي ادت الى فشل مؤتمر لوغران .. وكان لا بد لهذا المؤتمر ان يفشل ، وان تقع مسئولية الفشل على كاهل فرنسا وحدها .. وكما كان الحال في ايفيان ، فقد ذهبت فرنسا الى لوغران مستعدة ان تقبل كل شيء ، الا حق تقرير المصير ، وان ترضى بكل شيء الا وحدة الوطن الجزائري ، والشعب الجزائري .

ولكن فرنسا ، على ما يبدو ، لم تخجل من موقفها الذي اتخذته في مؤتمري افيان ولوغران .. ولم تتورع ان تعلن موقفها هذا على الملأ ، وبهذا اضافت العار الى العار .. فلقد القى الرئيس ديجول خطابا على الشعب الافرنسي في الراديو والتلفزيون في ١٢ يوليو ١٩٦١ ، مستعرضا مختلف جوانب القضية الجزائرية.. فأشار الرئيس ديجول الى ان القضية الجزائرية تنطوي على صعوبة خاصة لانه ، كما قال ، « لم يعمل شيء في الجزائر منذ عام ١٨٣٠ لايجاد حل للقضية الجزائرية » .. ان هذا الكلام من جانب الرئيس ديجول هو بمثابة ادانة تثبت الجريمة ، لا دليل يثبت البراءة ، وان

هذا الدفاع الذي لجأ اليه الرئيس ديجول هو الجناية بنفسها .. ان حقبة ۱۳۰ عاما ، وقد طوت اربعة اجيال من القتال والمقاتلين ، تكفي وحدها لان تدل على الجريمة ، كما انها تكفي لتدل على طريق الحل .. انها تعني ببساطة ووضوح انه قد آن الاوان ، ان لم يكن قد تأخر ، لان تخرج فرنسا من الجزائر ، وان تترك الجزائر للجزائريين .

ثم ان الرئيس ديجول ذهب في دفاعه الى ابعد من ذلك حين قال : « يوجد في الجزائر ما يزيد على مليون من السكان من اصل اوروبي ، لا يمكن ان يوضعوا تحت رحمة الغير » ، وهذه يا سيدي الرئيس حجة افرنسية باطلة ، ليس لها ظل من الحقيقة والواقع .. ان الحكومة الجزائرية لم يخطر ببالها لدقيقة واحدة ان تضع الجالية الاوروبية تحت رحمة احد .. ان الجزائر مستعدة ان تمنحهم حق الجنسية ، اذا ارادوا ان يكونوا مواطنين جزائريين .. وان تمنحهم حق السكنى في الجزائر ، اذا كانوا يريدون ان يكونوا من سكانها ، ومن غير جنسية جزائرية .. فماذا يطلب من الجزائر اكثر من ذلك حتى لا تكون الجالية الاوروبية تحت رحمة الغير ؟؟ وكلنا نعلم ان الشعب الجزائري كان وما يزال حتى الان تحت رحمة الجالية الاوروبية منذ ۱۳۰ عاما .. وقد آن الاوان ان تقوم المساواة في الجزائر بين الاوروبيين وغير الاوروبيين .. واذا كان الرئيس ديجول لا يريد ان يصبح المليون من الاوروبيين تحت رحمة الغير ، فكيف يريد للعشرة ملايين جزائري ان يكونوا تحت رحمة الاقلية الاوروبية ؟؟ ان الحكومة الجزائرية من غير ان تلتفت لحظة واحدة الى الماضي التعيس ، قد عرضت المساواة التامة من غير تمييز ، فهل ينادي الرئيس ديجول بالاستعلاء والتمييز العنصري ؟ هل هذه هي فرنسا التي يعلنون عنها على الدوام انها ام الديمقراطية ؟ وهل من اجل هذا ، ومن اجل ان يبرر هذا الظلم ، يصيح الرئيس ديجول في نهاية خطابه هاتفا « لتحيا الجمهورية ، ولتحيا فرنسا » ؟؟ !!

ثم ان الرئيس ديجول عاد مرة ثانية الى التهديد بالتقسيم ، في مناورة غير بارعة .. فلقد قال الرئيس ديجول ، انه اذا لم يتم الاتحاد بين فرنسا والجزائر .. « فسيكون من الضروري في النهاية ان تجمع فرنسا في منطقة واحدة ، جميع السكان الذين يرفضون ان يكونوا في دولة مصيرها الفوضى .. » ان الجزائر المستقلة ، يا سيدي الرئيس ، سيكون مصيرها التقدم والازدهار ، لا الفوضى والخراب ، ان هذا التفكير الافرنسي هو الذي

https://albordj.blogspot.com

سيكون مصيره الفوضى والخراب .. ان على السكان الذين يرفضون ان يعيشوا في الجزائر المستقلة ان يخرجوا من الجزائر .. عليهم ان يرحلوا عن الجزائر حالا .. اننا لا نعرف بلدا يخضع مصيره الى رغبات جزء من السكان يرفضون انَ يتبعوا وطنهم ، تماما كما ترفض فرنسا ان تربط الوطن برغبات هستيرية تنادي بها اية جماعة في فرنسا ، ترفض ان تتبع فرنسا ..

والواقع ، يا سيدي الرئيس ، ان حكاية الاقلية الاوروبية هي خرافة افرنسية اخرى .. ان كثيرا من الاوروبيين الموجودين في الجزائر يريدون ان يعيشوا بسلام في الجزائر .. انها لسماحة بالغة ان الجزائر لا ترغب ان تستذكر الماضي الدموي الذي جاء بهؤلاء الاوروبيين الى الجزائر ، ليستعبدوا الشعب ، ويحتكروا ثرواته وينهبوا خيراته .. يكفي أن الجزائر تريد ان تنظر الى الامام لا الى الوراء .. ناسية آلام الماضي لتسدل ستار العفو والغفران .. ان الجزائر مصممة ان تبني دولة ديمقراطية حيث تستطيع الاقلية الاوروبية ان تعيش بتقدم وطمأنينة .. ان « الحركة الاوروبية » التي يعلن عنها كثيرا زورا وباطلا ليست حركة اوروبية في حقيقتها .. انها من صنع الجنرالات المتقاعدين الباحثين عن السلطة ، المتطلعين الى الحكم .. انها احلام المارشالات يتآمرون ليصنعوا انقلابا يأتي بالجمهورية الافرنسية السادسة ، ويأتون بمارشال مغامر يكون رئيسا للجمهورية الافرنسية !!

ليس في الجزائر « حركة اوروبية » لا تحت الارض ولا فوق الارض.. وستجدون انه حتى المتطرفين من الاوروبيين سيتصرفون تصرفا هادئا لانقا حينما يغادر الجيش الافرنسي ارض الجزائر .. ان بعضهم في الوقت الحاضر يمثلون الاولاد المدللين للجيش الجزائري ولهذا فانهم يتصرفون ، تصرف العبث بالقانون والنظام .. وحينما يجلو الجيش الافرنسي عن الجزائر ، ستجدون ان هؤلاء سيخلدون الى السكينة .. وينصاعون لحكم القانون .. او انهم سيحملون على الانصياع لحكم القانون .. انتظروا وانظروا ..

غير ان الموقف الافرنسي قد انكشفت فضائحه على يد فرنسا نفسها ، فلقد القى رئيس الوفد الافرنسي خطابا بالراديو والتلفزيون الافرنسي في اغسطس ١٩٦١ خطابا هتك فيه اسرارا غير كريمة عن مؤتمري افيان ولوغران ، فلقد اباح لنفسه المسيو جوكس الوزير الافرنسي لشئون الجزائر ، ورئيس الوفد ، ان يتحدث عن الاقلية الافرنسية واصفا اياهم

« مواطنونا » ، وهذا الكلام يوضح من غير خفاء ، الروح التي تعالج بها فرنسا موضوع الاقلية الاوروبية .. وكل ما نستطيع ان نقوله لرئيس الوفد الافرنسي ، اذا كان هؤلاء هم « مواطنوكم » فلماذا لا ترحلوا بهم الى فرنسا، حيث تستطيعون ان تسبغوا عليهم كل الامتيازات التي تريدونها .. اما اذا كنتم تريدونهم ان يعيشوا في الجزائر فلا يمكن ان يظلوا « مواطنيكم » ، يجب ان يصبحوا جزائريين ، ولا حرج عليّ ان اقول يجب ان يصبحوا افريقيين ، ان الرجل الابيض في افريقيا يجب ان يصبح افريقيا .. واني استميحكم عذرا يا سيدي الرئيس ان اقول من غير تحفظ ، يجب على الرجل الابيض في افريقيا ان يسود وجهه ويبيض ضميره .. انه لا يستطيع ان يظل افريقيا واوروبيا في وقت واحد ، ان عليه ان يختار بين الاثنين .. وعلى كل حال فان الاوروبيين في افريقيا يعاملون معاملة افضل بكثير من الافريقيين في اوروبا .. وهذا وحده يكفي ان يكون فخرا للشرق وعارا للغرب ..

وبعد هذا ، فقد راح رئيس الوفد الافرنسي يهزأ بالوفد الجزائري والموقف الجزائري .. لقد قال رئيس الوفد الافرنسي « أعلن الوفد الجزائري انه مستعد ان يبحث كل شيء ، وان يذلل كل الصعوبات ، وان يقترح صيغا متعددة وصولا الى الاتفاق .. ولكن الوفد الجزائري ، وفي اول جلسة من جلسات المؤتمر وقف جامدا امام كلمة « الصحراء » ، ورفض ان يسير خطوة واحدة قبل ان تعترف له بالسيادة على الصحراء » .

وانه لمن دواعي السرور ، ان الوفد الافرنسي ، يا سيدي الرئيس قد لخص موقف الوفد الجزائري على هذه الصورة .. ان ذلك يوضح بكل جلاء الموقف البناء للوفد الجزائري ، والموقف المدمر للوفد الافرنسي . لقد كان الوفد الجزائري مستعدا ان يبحث جميع جوانب القضية الجزائرية.. وكل ما أصر عليه الوفد الجزائري هو الاعتراف بالسيادة الجزائرية على الصحراء .. هذا هو الخطأ الذي ينسبه الوفد الافرنسي الى الوفد الجزائري.. ولكن اي خطأ هذا ؟ انه عين الصواب .. ان السيادة الجزائرية على الصحراء هي بديهية لا تقبل مناقشة ولا جدلا .. ولكن الوفد الافرنسي رفض هذه البديهية .. لقد بتر الوفد الافرنسي « الراس » وراح يشكو ان الجثة هامدة .. هذه سخرية فاضحة ، وهزؤ بالامم المتحدة وميثاقها وقراراتها ..

ومع هذا فان الوفد الافرنسي ، ليبرر موقفه هذا ، قد انتحل اسبابا ،

اثبتت في النهاية ان موقفه لا مبرر له .. فلقد اقترح رئيس الوفد الافرنسي ان يكون مصير الصحراء مرهونا بما تقرره مجموعات السكان في الصحراء ، وان يقوم ترابط بين الصحراء وفرنسا والجزائر .. وانه من المؤسف حقا ان مثل هذا التبرير قد ايده الرئيس ديجول نفسه !!

ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده في ٥ سبتمبر ١٩٦١ في قصر الاليزيه، أعلن الجنرال ديجول « ان « مجموعات السكان » الذين يقطنون في الصحراء يجب ان يؤخذ رايهم بشأن مصيرهم وفق شروط تتلاءم مع تفرقهم في البلاد وتعدد تجمعاتهم » .. ان هذا الحديث من جانب الرئيس ديجول هو فوضى عريقة ، على مستوى رئاسي .. لا يوجد في الصحراء « مجموعات من السكان » متباينة الآراء والرغبات .. ان اهل الصحراء هم اهل الجزائر ، لقد غلبوا معا في عام ١٨٣٠ ، ومنذ ذلك الوقت حاربوا فرنسا معا ،من اجل حريتهم واستقلالهم .

ان مستقبل الصحراء هو مستقبل الجزائر .. تماما كما ان مستقبل نورماندي هو مستقبل فرنسا .. ان الصحراء ليست منطقة قائمة بذاتها ، حتى تربط بفرنسا والجزائر كما اقترح الوفد الفرنسي ، وليس في الصحراء « مجموعات من السكان » ، لهم كيان منفصل ، كما ادعى الجنرال ديجول .. ان الصحراء هي جزء من الجزائر ، وسكانها هم جزء من الشعب الجزائري .. ان مصير الصحراء يقرره الشعب الجزائري في مجموعه ، وليس سكان الصحراء وحدهم .. واذا كان لكم يا سيدي الرئيس ، ان تقبلوا منطق الرئيس ديجول ، تكون النتيجة تقسيما مضاعفا ، تمزيق وحدة الشعب ، وتفتيت وحدة الوطن ، ان الاستفتاء الشعبي في الجزائريجب ان يكون على اساس شعبي شامل .. يشمل كل الشعب وكل الوطن، والصحراء جزء لا يتجزأ من الوطن .. والا اصبح الاستفتاء هزؤا وسخرية ، يذكرنا « بالانتخابات الجزائرية » السابقة التي اصبحت مضرب الامثال في العالم بأسره ، ويكفي ان يشار اليها بانها انتخابات على « الطريقة الجزائرية » ..

ولقد فشلت مفاوضات لوغران بسبب موقف فرنسا هذا ، ولا سبب سواه .. واضافت الى الفشل انها لا تقدم الى الامم المتحدة تقريرا عن الفشل واسبابه ، كما يجب ان يفعل كل عضو في الامم المتحدة يدرك

مسئولياته الدولية التي فرضها الميثاق .. ان فرنسا متغيبة عن الاجتماعات في هذه الدورة ، كمافعلت في اكثر الدورات السابقة ، وان كنا نستطيع ان نعتبرها موجودة بوجود عدد من حلفائها من دول الاطلنطي .. وان العرض الذي قدمته اليكم عن سير المفاوضات في ايفيان ولوغران ليس مستندا الى قصاصات الصحف ، ولكني اعتمدت المحاضر الرسمية ، واني اتحدى حلفاء فرنسا ان ينقضوا كلمة واحدة مما قدمته اليكم عن سير المباحثات .. ومن شاء ان يتحدى فليتفضل !!

وكائنا ما يكون الامر ، يا سيدي الرئيس ، فاني اريد ان اؤكد لكم شيئا واحدا .. اذا كنا نجتمع اليوم مرة اخرى لننظر في القضية الجزائرية .. واذا كانت الدماء ما تزال تنزف غزيرة في الجزائر .. واذا كانت الحرب الجزائرية تدخل الان عامها الثامن ، فان السبب في ذلك كله هو فرنسا .. انه الموقف السلبي العنيد الذي تقفه فرنسا ، واني لاستميحكم عذرا اذا لجأت الى تعبير غير كريم ، ان فرنسا ما تزال تمضغ المفاوضات ، وتتقيأ تقرير المصير ..

ومن الناحية الاخرى فان حكومة الجزائر ، وقد اعترفت بها قرابة ثلاثين دولة تمثل نحو ثلثي سكان العالم ، قد قطعت شوطا طويلا في مسيرة التوفيق والصبر والاحتمال .. ان الشعب الجزائري كما قالت الحكومة الجزائرية « لا يحارب من اجل الحرب ، وليست الحرب صناعته » .. ولكن صبر الشعب الجزائري له حدود .. لقد اعلنت الحكومة الجزائرية في اول بيان لها في ١٥ سبتمبر ١٩٦١ ما يلي « اذا كنا مصممين على القتال ، وتقويته وتدعيمه ومتابعته .. فنحن مستعدون كذلك لان نبحث عن حل سلمي للنزاع القائم بيننا وبين فرنسا .. واننا نعتبرها محاولة عقيمة من جانب فرنسا ان تؤخر تحقيق استقلالنا وحريتنا .. وسيكون ذلك خطرا على السلم العالمي وعلى علاقات المستقبل بين الشعبين الافرنسي والجزائري .. انه من الممكن الوصول الى حل عادل عملي .. ولكن من الضروري ان تقلع فرنسا عن سياستها السلبية التي كانت سببا في وقف المحادثات في ايفيان ولوغران » ..

وقد اختتمت الحكومة الجزائرية بيانها بعبارة احسب انها موجهة الى الامم المتحدة ، وانني اجيز لنفسي ان اضعها بين ايديكم نيابة عن الحكومة

الجزائرية .. يقول البيان .. وانا اقتبس خاتمته « ان قضيتنا عادلة.وان نصرنا محقق .. وفي هذه اللحظة التي يتهيأ فيها عدد من الشعوب ان ترقى الى مرتبة الاستقلال يستحيل علينا ان نقبل دوام الحكم الاجنبي ، ونحن الذين دفعنا اغلى التضحيات في ميدان الحرية .. » .

اجل يا سيدي الرئيس ، انه من المستحيل ان تبقى الجزائر تحت الحكم الاجنبي ، الى هذه الدقيقة وقد هبت رياح التغير فغيرت جميع الالوان والظلال من على خارطة القارة الافريقية ... ودخلت اربعة عشر دولة افريقية الى الامم المتحدة ، وفي دورة واحدة ..

لقد كان ذلك يوما مجيدا رائعا في حياة الامم المتحدة ، واننا نمجده ولا نحسده .. ولكن هل يصح ان تظل الجزائر خارج الامم المتحدة ؟ هل يصح ان يجلس الوزراء الجزائريون في مقاعد الزوار هنا في الامم المتحدة وكلنا نجلس في مقاعدنا نتحدث من وراء ميكرفوناتنا ، فندلي بارائنا ونطرح اصواتنا ؟ لماذا هذا التمييز !! ان الميثاق ينكر التمييز، فلماذا نحن هنا في الامم المتحدة نطبق سياسة التميز ؟ واني ادعو اي عضو منكم ان يجيبني على هذه الاسئلة نيابة عن فرنسا ... انني اريد جوابا .. جوابا عاقلا سديدا.

ان الحكومة الجزائرية قد بذلت كل جهدها لتصل بالمفاوضات الى النجاح .. ولقد تخلفت الجزائر فقط ، في افشال المفاوضات .. على حين نجحت فرنسا فقط ، في دفعها الى الفشل .. لقد اظهرت الحكومة الجزائرية نصيبا وافرا من الحكمة والاعتدال الى اخر مرحلة من مراحل المفاوضات ، وحتى بعد توقف المفاوضات .. ففي شهر نوفمبر ١٩١٦ نقلت مجلة « افريك اكسيون » بيانا للحكومة الجزائرية قالت فيه « نحن ندرك جيدا ان فرنسا لا تستطيع ان ترحل ثمانماية الف انسان في ليلة واحدة » فاي موقف اكثر اعتدالا من هذا الموقف المعتدل ..

ان الانصاف يقتضي يا سيدي الرئيس ، ان اضع امامكم وجهة نظر الجزائر من البيانات الرسمية الجزائرية ، وان انقلها اليكم بكل امانة ، فليس للجزائر صوت في هذه القاعة ، ولهذا فاني اريد ان انوب عن الحكومة الجزائرية لاقتبس من البيان الاخير الذي اصدرته الحكومة الجزائرية ، وفيه تلخيص للموقف يتفق مع مفهوم الديمقراطية الصحيحة .. يقول البيان « نحن متشددون فيما يختص بالسيادة الجزائرية في الميدانين الداخلي

والخارجي .. واذا توصلنا الى فترة انتقال فنحن لا نتصور جلاء جميع القوات الافرنسية في خلال فترة الانتقال .. ان فرنسا ، وهي تبعد ساعة واحدة بالطائرة عن الجزائر ، لا يمكن ان تجد نفسها قد عدمت وسائل الدفاع عن مصالحها او عن الاقلية الافرنسية في الجزائر .. خلال فترة الانتقال يصبح واجب الافرنسيين ان يكيفوا انفسهم في ظل دولة الجزائر ، كما يصبح واجب الجزائريين ان يألفوا وجود الافرنسيين بينهم ، ووجود المصالح الافرنسية .. وعلى الجميع ان يكيفوا انفسهم في ظل ظروف المستقبل .. يجب ان يقوم تعاون بالنسبة للصحراء وفي شمال الجزائر .. يجب ان يكون تعاون في حقول الثقافة والمواصلات ، ولا مناص من ان يكون هذا التعاون مع فرنسا .. وسيرى العالم بنفسه اننا سننشىء قوة بوليس لحماية منشآت البترول والغاز ، الذي سيصدر اكثره الى فرنسا واوروبا الغربية .. لاننا نحن في افريقيا لم نبلغ بعد المرحلة الكافية لاستهلاك مقادير كبيرة من البترول والغاز .. اما موضوع الاقلية الافرنسية فيجب ان نجد له حلا سليما .. وكل ما نطلبه ان لا يظل الافرنسيون يعتبرون انفسهم مواطنين مميزين .. نحن مصممون ان نمنحهم جميع الحقوق التي تكفل لهم حياة كاملة في الجزائر ، حتى اذا لم يرغبوا ان يكونوا جزائريين » .

ان هذه الضمانات ، يا سيدي الرئيس ، هي اقصى ما تستطيع ان تمنحه اية دولة في العالم .. وما يزيد على ذلك فمعناه الجزائر الفرنسية .. وهنا يكمن سبب الحرب وسبب استمرار الحرب . ان حرب التحرير الجزائرية هي اطول حرب تحريرية شهدها العالم المعاصر .. وفي هذا كفاية .

وفيما يتعلق بالصحراء ، فانها ليست ارضا لا صاحب لها .. من شواطىء الاطلنطي حتى دلتا النيل تقع الصحراء تحت سيادة الدول المتاخمة ، اقليما بعد اقليم ، ليست الجزائر وحدها صاحبة صحراء في هذه الصحراء الكبرى .. ان لكل من تونس والمغرب ومالي ونيجيريا وتشاد وليبيا والجمهورية العربية المتحدة ، صحراء خاصة بها واقعة تحت سيادتها .. ونحن نرفض ان تكون الجزائر مستثناة من هذه الصحراء الكبرى .

والواقع ان التشريع الافرنسي نفسه قد اعترف للجزائر بصحرائها .. ففي ١٩٠٢ اصدرت الحكومة الافرنسية تشريعا بقي نافذ المفعول قرابة نصف قرن .. وفيه اعتراف صريح بان الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر

.. وقد أشار هذا التشريع الى الصحراء بانها « أقليم جنوب الجزائـر » ، ثم ان الصحراء كانت ممثلة في المجلس الوطنـــي الجزائري ، ومشمولة في التمثيل الجزائري في البرلمان الافرنســي ، وليست هنالك من جدوى اذا نحن راينا في الخارطة الافرنسـية الحديثة « الصحراء الافرنسية » فهـــذه الوان لا بد أن تزول ، كما زالت الوان الامبراطورية الافرنسـية مـــن على خريطة العالم ..

واسمحوا لي يا سيدي الرئيس ، ان أؤكد لكـم ان بين الواحد وتسـعين موضوعا المدرجة على جدول اعمال هذا العام ، لن تجدوا مـــا هو اخطر ولا ابعد اثرا من القضية الجزائرية .. ليست القضية الجزائرية واحدة من تلك القضايا الموسمية التي تروح وتجيء امامكم بصورة عادية .. هذه القضيـة ، للشعب الجزائري هي قضية سيادة وطنية ، ولافريقيا هـي قضيـة تضامن من اجل الحرية ، ولكنها للامم المتحدة هـــي قضيـــة حرب ام سلام .. ان الحرب الجزائرية هي الحرب الوحيدة في العالم التي تتجاوب اصداؤها على مسمع من الامم المتحدة .. ان في الميزان مصير شعب بكامـلـه .. وفي الميزان كذلك كرامة الامم المتحدة ..

لقد اصدرت الامم المتحدة في العام الماضي قرارا يلح على الفريقين ان يدخلا في مفاوضات لايجاد حل سلمي عادل ، يقوم علـــى اساس الاستقلال ووحدة الوطن الجزائري .. لقد فشلت المفاوضات ولم يتوصل الفريقان الى الحل المطلوب ، ولا تزال الحرب هي الحرب التي تقتل بالالوف .. الحـرب التي ترمل بالالوف .. الحرب التي تدمر ، ولا تبقي ولا تذر ..

ولهذا فان على الامم المتحدة ان تصر من جديد على موقفها ، وان تطالب الفريقين ، فرنسـا والجزائر ، ليستانفا المفاوضات آخذيـــن بعين الاعتبار المبادىء الآتية :

اولا : يجب الاعتراف بحق تقرير المصير واحترامه .. ان حق تقرير المصير يجب ان يطبق علـــى الشعب الجزائري باسره . ليس في الجزائـر مجموعات من الســكان ، وانما شعب واحد ، يرفض كل الوان التجزئة .

ثانيا : يجب الاعتراف بوحـدة الوطـن الجزائـري واحترامهـا . ان السواحل والجبال والصحراء هي اجزاء من الوطن الواحد ـ الجزائر ـ ان

الوطن الجزائري وحدة لا تتجزأ .

ثالثا :الشعب الواحد لا بد له من دولة واحدة ، هي دولة الجزائر الواحدة .. ويجب انلا يكون في داخل الدولة الجزائرية مجموعات من الدول .. دولة اوروبية ـ دولة عسكرية ـ ودولة بترولية في الصحراء .. وان الجزائر مستعدة للتعاون وللاعتراف بالحقوق المشروعة لفرنسا .

رابعا : ان وقف اطلاق النار ليس عملا فرديا وحيد الطرف ، يجب الاعتراف به واحترامه حينما يكون عملا ثنائيا يتم الاتفاق عليه ضمن تسوية سياسية شاملة .

خامسا : يجب اطلاق سراح الزعماء الجزائريين الذين اختطفتهم فرنسا من الجو ، وذلك تمهيدا لخلق جو يؤدي الى نجاح المفاوضات .

سادسا : يجب ان يعامل السجناء والمعتقلون الجزائريون معاملة تتفق مع القوانين والاعراف الدولية ، وعلى الامم المتحدة ان تطلب الى الصليب الاحمر ان يقدم تقارير دورية عن حالتهم ومعاملتهم . ليس السجناء الجزائريون مجرمين عاديين ، انهم سجناء سياسيون واسرى حرب ، يحاربون من اجل اقدس قضية هي قضية الحرية الانسانية .. ونحن لا نطالب بمعاملتهم معاملةانسانية ، وانما معاملة نبيلة شريفة تتفق مع اسمى تقاليد الفروسية .

هذا هو الطريق للسلام في راينا .. وان الجزائر مستعدة للسلام على اساس ميثاق الامم المتحدة ، وبقي على فرنسا ان تختار الحرب ام السلام ... فاذا اختارت فرنسا السلام فان الجزائر مستعدة ان تختار السلام ، الان والى الابد ، ولكن اذا اختارت فرنسا الحرب ، فان الجزائر مستعدة للحرب ، والى الابد .. والى ان تحقق الحرية والاستقلال .

ولكن حرية الجزائر آتية لا ريب فيها .. والامر امر وقت ليس الا، وتلك مسيرة التاريخ.. غير ان الامم المتحدة ليس لها ان تنتظر ، انعليها ان تقوم بدورها فيهذه المعركة المجيدة ، من اجل الحرية ، ومن اجل السلام في اطار الحرية .

أن على الامم المتحدة ان تعمل اكثر مما عملت ، ان قضية الشعب الجزائري البطل في حاجة الى المزيد والمزيد .. واذا كانت الامم المتحدة حريصة على ان تنجح المفاوضات بين فرنسا والجزائر ، واذا كانت حريصة ان يستقر السلام في افريقيا ، واذا كانت حريصة ان تنتصر الحرية ، فعلى الامم المتحدة ان تعمل اكثر واكثر ..ان فرنسا ، على ما يبدو ، لا تكترث لميثاق الامم المتحدة على انه دستور ينظم العلاقات الدولية ، وفي الواقع ان فرنسا لا تكترث بالامم المتحدة كمنظمة دولية. ان الامم المتحدة على حد تعبير الرئيس ديجول هي «منظمة عالمية غير منظمة»، ومن ناحية معينة فاننا نوافق الرئيس ديجول على ان الامم المتحدة قد اصبحت منظمة غير منظمة .. وان فرنسا هي واحد من الاسباب التي جعلت هذه المنظمة العالمية غير منظمة .. ان فرنسا قد انتهكت قرارات الامم المتحدة غير مرة ولا تزال تتبوأ مقعدها في الامم المتحدة .. ان فرنسا خالفت قرارات مجلس الامن ولا تزال تتبوأ مقعدها كعضو دائم في مجلس الامن ، ولو ان الرئيس ديجول ينصاع لمنطقة لكان عليه ان يخلي مقعده في مجلس الامن وفي الامم المتحدة باسرها ، وليفعل ذلك ابتداء من هذه الدورة ، فلعل الامم المتحدة تصبح بعد ذلك منظمة منظمة ، ادعى الى الكرامة والاحترام ..

وفي الختام يا سيدي الرئيس ، فاني ادعوكم الى مزيد من التأييد لقضية الحرية في الجزائر .. الى مزيد من الدعم .. الى مزيد من الاصوات بل الى مزيد من السلاح والعتاد ، ذلك ان فرنسا لن تذعن الا لقوة السلاح لا لقوة الميثاق.

اكتوبر ١٩٦٢

ها قد جاءت اليكم الجزائر .. انها الجمهورية الجزائرية .. الدولة الافريقية ، المغربية العربية وقد حققت كامل حريتها وسيادتها واستقلالها.

ها قد جاءت اليكم الجزائر وقد اعلنت عشية استقلالها سياستها القومية وفي طليعتها الحياد الأيجابي وعدم الانحياز .

وها قد جاء اليكم وفد الحكومة الجزائرية ، الى هذه المنظمةالعالمية، يحمل اليكم اوراق اعتماده ، كتبت في الميدان وما يزال غبار المعركة يملأ حواشيها ..

وانني اغتنم هذه الفرصة المهيبة لاعرب عن اصدق التهنئة الاخوية للجزائر ، لحكومتها ولشعبها الباسل .. اننا معتزون بانتصار الشعب الجزائري الشقيق ، فخورون ببطولته ، مبتهجون بنضاله المجيد ..

ولقد اصبحت الجزائر ، وبعد زمان طويل ، معنا في هذه المنظمة العالمية ، دولة حرة كاملة السيادة والاستقلال .. ولقد كانت الجزائر الى عهد قريب ، ولثماني سنين خلت ، واحدا من البنود التي تدرج على جدول اعمال الامم المتحدة.. وكم وكم جرى النقاش طويلا حول ما اذا كانت القضية الجزائرية يجب ان تدرج على جدول الاعمال او تستبعد منه .. وكم افضنا في شرح عدالة هذه القضية .. وكم اسهبنا في سرد وقائعها واحداثها .. لقد انتهى كل ذلك الآن واسدل الستار الى الابد .. ولم تعد القضية الجزائرية ، بعد اليوم ، بندا على جدول الاعمال .. ان الجزائر ، فيهذا اليوم ، تتبوأ مقعدها الرفيع في المجتمع الدولي بكل جدارة واستحقاق ..

وان هذا الاحتفال الرائع ، بانضمام الجزائر الى الامم المتحدة ،ليس

من المراسم المألوفة ولا من التقاليد المعتادة .. ولا هو مجاملة تفرضها الآداب الدولية .. ان في حجم هذا الاحتفال من المعاني ما هو اجل وارفع .. انه يوم نقيم فيه صلاة النصر، لانتصار الحرية والاستقلال .. اننا نعتبره يوم الشكر بالنسبة للامم المتحدة بأسرها تقديرا لنعمة الاستقلال وعرفانا لفضائل الحرية وتتويجا للنضال الانساني من اجل الكرامة والسيادة ..

دعوني اؤكد لكم اني لا اقول قولي هذا شوقا الى الفصاحة او رغبة في البلاغة .. انه الحق لا مراء فيه والحقيقة لا ريب فيها .. فلسنا نحن الآن امام مناسبة نحتفل فيها بدخول عضو آخر الى الامم المتحدة، مع جلال هذه المناسبة وروعتها .. انها تتجاوز تكريس دولة جديدة تدخل الاسرة الدولية .. ان الذي يوشك ان يدخل هذه المنظمة العالمية ليس مجرد دولة فحسب ... ذلك ان في ركاب هذه الدولة تدخل طائفة من المبادىء الحية، ومجموعة من العقائد النيرة، وفيض من الذكريات الغالية، وكنز من التضحيات والفداء، بل سيرة مجيدة للكفاح الدامي الذي يخوض الانسان في سبيل تحقيق ذاته وتقرير مصيره ..

ان تمثال الحرية ينتصب عاليا على شواطىء القارة الامريكية، وهكذا تنتصب الجزائر اليوم بيننا شامخة لتعبر عن اقدس المعاني الانسانية .. ان الجزائر بترابها الغالي وشعبها الباسل تقف بيننا لتكون مثلا للبطولة، وتجسيدا للشجاعة، ورمزا للثبات والمثابرة، وعنوانا رائعا لارادة الانسان وتصميمه على العيش بحرية في عالم تسوده الحرية .. حرية حقيقية تحرره من الظلم والاستعباد .

وفي هذه اللحظة التاريخية، فانا لنذكر بعقولنا وقلوبنا الكفاح البطولي لشعب الجزائر .. لقد خاض هذا الشعب العظيم معركة مريرة لا يتسع المقام لسرد سيرتها الان .. ولست اريد ان اذكر الالوف والوف من زهرة الاجيال الجزائرية المتعاقبة الذين قضوا نحبهم في معارك التحرير عبر مئة واثنين وثلاثين عاما من الكفاح .. لا ولا اريد ان اذكر الالوف من الضحايا الافرنسيين الذين سقطوا في الميدان، سقطوا ابرياء ولكن من اجل قضية باطلة .. ولست اريد ان اذكر قصص العناء والشقاء التي تمرس

بها شعب بكامله في نضاله من اجل الحرية .. بل انني لا اريد ان اذكر حملات التدمير والاجرام التي قامت بها الجماعات الافرنسية المتطرفة ، لتكون الدليل القاطع ان الاستعمار في النهاية يلقي مصرعه على ايدي القوى الاستعمارية نفسها ..

اجل اننا لا نريد ان نذكر هذه المآسي التي تقشعر لهولها الابدان.. فهذه لحظة فرح وابتهاج ..معان تلك المآسي وذكرياتها الرهيبةتملك علينا مشاعرنا ، نحس الان في اعماق ضميرنا اننا فرحون مبتهجون .. ان هذه اللحظة البهيجة التي نعيشها الان تفرض علينا مشاعر الفرح ، وتفرض علينا أن نسلم انفسنا للفرح .. وها نحن نجتمع الآن في هذه القاعة لنفرح ..

ودعوني ايها السادة اقول ، من غير اساءة لاحد ، أو اهانة لاحد.. دعوني اقول من هذا المنبر العالمي ، دون ان اخشى تفنيدا ، انه ما من شعب قدتحمل اعباء النضال ، بصبر وعزم وايمان كما تحمل الشعب الجزائري الشجاع .. وانني اقف الآن على هذا المنبر لاحيي في الشعب الجزائري بطولته النادرة وتصميمه الذي لا يقهر .

وفي نفس الوقت ، فانني اشعر بأنه يجب علي ان اوجه كلمة الى فرنسا ، والى الجنرال ديجول بالذات .. في الدورات السابقة لقد وجهت الى فرنسا كلمات قاسية وفي لهجة خشنة .. واني لأعترف أن كلماتي في أوقات معينة كانت بالغة الصرامة والضراوة وان تكن الحق كل الحق.. لقد كانت الظروف الصارمة الضارية هي التي فرضت تلك العبارات الصارمة الضارية ..

ولكننا الآن نجد انفسنا وجها لوجه امام ظروف اخرى .. ان الصداقة مع الجزائر هي صداقة مع الامة العربية بأسرها .. نحن مع الجزائر في السراء والضراء .. ان اصدقاء الجزائر هم اصدقاؤنا ، وان اعداء الجزائر هم اعداؤنا .. نحن مع الجزائر في الحرب وفي السلم ، في الولاء وفي العداء ، في الشدة وفي الرخاء .. ولهذا فان فرنسا تستطيع أن تتأكد ان مهدا جديدا من العلاقات العربية الافرنسية ينتظر المصالح المشتركة بين الامة العربية من جانب ، وفرنسا من جانب آخر ..

وان مساهمة الرئيس ديجول في هذا المجال لا شك انها تكون عظيمة

قدر الشخصية العظيمة التي يتمتع بها الرئيس ديجول .. لقد كان للرئيس ديجول دورا رفيعا في بناء صرح الحرية ولا نملك الا ان نسجل لـه هـذه المكرمة البارزة بكل تقدير واعجاب ..

ان الرئيس ديجول قد حرر فرنسا مرتين، واني اقول مرتين بكـل تأكيد ، في المرة الاولى استطاع الرئيس ديجول ان يحرر فرنسا من النازية، وفي المرة الثانية كان للرئيس ديجول دور كبير في تحرير فرنسا من الاستعمار ـ استعمار الجزائر .. ولكني ارغب ان اؤكد ان المرة الثانية ادعى للخلود من المرة الاولى ، انه لامر مجيد ان يحرر المرء نفسه من استعباد الغير ، ولكن الاروع والارفع ان يحرر المرء نفسه من ان يستعبد الغير .. وانطلاقا من هذه المفاضلة فاننا نزن عظمة الجنرال ديجول ونقيم شخصيته الرفيعة.

لقد فتحت الجزائر ابواب الامم المتحدة على مصراعيهـا ، بالدماء والعرق والدموع ، وظلت مقفلة في وجهها ، وانـنا نناشدكم ان تظل الامم المتحدة مفتحة الابواب حتى يتيسر لجميع الشعوب أن تدخلها وهي تمارس حريتها وسيادتها واستقلالها .

يومئذ تصبح الامم المتحدة ، منظمة عالمية حرة ، جديرة بأسمهـا وميثاقهـا ..

فهرست

الموضوع	الصفحة
الكتاب والمؤلف	٥
منشية الذباب ، والاستعمار الافرنسي	٩
الرئيس ديجول ، خيب آمالنا في الجنرال ديجول	٣٩
الرئيس ديجول ، يخون الجنرال ديجول	٦٤
الشيخ كندي يتحدى الرئيس كندي	٩٦
الجنرال ديغول يقامر في افيان	١٢٩
الجنرال ديجول حرر فرنسا مرتين	١٦٠

دواوين ومجموعة اعمال
صدرت عن دار العودة

دواوين	عمر ابو ريشة	دواوين	ادونيس
«	محمود درويش	«	حسن القرشي
«	صلاح عبدالصبور	«	احمد عبدالمعطي حجازي
«	سميح القاسم		
«	عبدالوهاب البياتي	مؤلفات	احمد الشقيري
«	توفيق زياد	«	سيد احمد الحردلو
«	معين بسيسو	«	الطيب صالح
«	عزالدين المناصرة	«	اميل حبيبي
«	محمد الفيتوري	«	توفيق فياض
«	سليمان العيسى	«	طلال سلمان
«	حنا ابو حنا	«	الدكتور عزالدين اسماعيل
«	امال الزهاوي		
«	امل جراح	«	غسان كنفاني
		«	مطاع صفدي

الثمن ٣٠٠ ق. ل. – ٥٠ ق. مصري

https://albordj.blogspot.com
https://albordj.blogspot.com